جودت حيدر

مشوار العمر

رسْم الغلاف
وضعه خصّيصًا للكتاب
الفنان وجيه نحله
تحيةً للشاعر

جودت حيدر

مشوار العمر

إهداء

إلى من كان لي أخًا وأبًا ومربيًا

إلى روح أخي محمد رستم حيدر

جودت حيدر

مشوار العمر

جمعه الدكتور يوسف أحمد بقاعي
نقحه الدكتور ميشال خليل جحا

المقدمة بقلم العميد الدكتور أنيس مسلّم

المحتويات

مقدمة .... بقلم العميد الدكتور أنيس مسلّم

صديقي جودت حيدر .... بقلم الدكتور ميشال خليل جحا

١ ـ الفصل الأول ٢٩

آل حيدر ونشأت جودت حيدر ٣١

٢ ـ الفصل الثاني: التحصيل العلمي ٤٥

أ ـ مرحلة التحصيل العلمي في لبنان وفرنسا ٤٧

ب ـ مرحلة التحصيل العلمي في الولايات المتحدة الأميركية ٥٨

٣ ـ الفصل الثالث: في الوطن ٧١

أ ـ عمله في التعليم ٧٣

ب ـ في شركة نفط العراق ٨٤

٤ ـ الفصل الرابع: عائلته ٩٩

أ ـ زواجه وأولاده ١٠١

ب ـ رسائله إلى زوجته أثناء الخطوبة ١٠٨

ت ـ أخوه محمد رستم حيدر ١٢١

ث ـ وحيده بسام ١٣٦

٥ ـ الفصل الخامس: في معترك الحياة ١٤٥

أ ـ بعد شركة نفط العراق ١٤٧

ب ـ مع مجرى الحياة ١٥٠

ت ـ نشاطه الأدبي ١٦٤

• انسياب الشعر من قلمه ١٦٤

• واحة الأدب في البقاع ١٧٦

• ترميم وإعادة تمثال خليل مطران إلى ساحته في بعلبك ١٨٣

ملاحق ١٩٥

أ ـ عن جودت حيدر ١٩٧

ب ـ الأوسمة ٢٠٦

ت ـ منزله ٢١٤

ث ـ أقوال في جودت حيدر ٢١٧

ج ـ بعضٌ من أدبه وخواطره ٢٢٤

الخاتمة ٢٥٩

المقدمة

جودت حيدر
هذا البوهيميّ المرتدّ

يتصدّر مدخل الحديقة العامة
في مدينة تارب (Tharbes) الفرنسيّة هذا البيان:
«ممنوع الدخول إلى الحديقة وأنتم تحملون الزهور»

لا أعرف لماذا عاودتني صورة حديقة تارب المدهشة، ولا كيف طالعتني مساكب ورودها ونضارة زهرها وبيان مدخلها الشهير؟ ولا أخفي عن القرّاءِ أنني اشتممْتُ عبيرَ حبقها، حين جلست أعد هذه الكلمة.

المهم كَوْني أدركت أن دخول بعض الأحرام له طقوس، بعينها. لذا لن أحمل أية زهرة وأنا أدخل حديقة الشاعر، بل سألج معكم حرم هذه المملكة مثل أميرٍ صغيرٍ يخرج لأوّل مرّة من قصره حمسًا، يتأمّل في الطبيعة، يتساءل، يتجاسرعاجزًا عن إخفاء دهشته وكتم إعجابه بروائع الكون.

حياة جودت حيدر تميّزت بالسفر والأحلام الكبيرة، فتنقّل بين لبنان وفرنسا والولايات المتّحدة الأميركيّة، وتجوّل في أقطار المنطقة وبلدانها، فجوهر السفرُ ذاته، صقلها، بلْوَرَ أحلامَه فازدادت ألقًا.

درس مطلع العشرينات، في الجامعة الأميركية، وفيها أنهى سنته الاعداديّة، ثم حمله طموحه إلى فرنسا فانكبَّ على التخصّص ِفي الزراعة، ومنها انتقل الى الولايات المتّحدة الأميركيّة، فتابع تخصّصه في هذا الحقل، إلى أَنْ جذبته العلوم الإنسانيّة،

فغاص في علم النفس والتربية والتعليم، وإبَّان هذه المرحلة، راح يُقارب الشعرَ، يسامر اللغة، يقرأ أكابرها بالانكليزيّة والعربيّة، متوقّفًا عند المفارق الأساسيّة وعالي المشارف.

نشر خمسة دواوين بالإنكليزيّة، بَعضُها تُرجم الى اكثر من لغة.

في مقدمة وضعها الأديب جون مونرو، رئيس قسم اللغة الانكليزيّة في الجامعة الأميركيّة لديوان الشاعر «أصداء»، قارن فيها بين أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وجودت حيدر، قال مونرو ما هذا بعضُ معناه: جودت حيدر يُبْعِدُ الغمَّ عنا، يواسينا، يحترمنا وينشِّط فينا العقل.

شغل حيدر عدة مناصب مهمّة، فكان مديرًا لجامعة عاليه الوطنية، ومن ثَمَّ رئيسًا لجامعة «النجاح» في نابلس بفلسطين، وعضوًا في مجلس التعليم العالي التابع لحكومتها. كما تبوَّأ مراكز أساسيّة في شركة نفط العراق .I.P.C.

أحبّ البحر، قاربه، حاور أمواجَه والنسائم، فكتب فيه وأجاد.

لم ينتمِ إلى مدرسة معيّنة في الشعر.

مارس السياسية في العديد من مجالاتها، خاض الانتخابات في منطقة بعلبك، ولكنّه لم يجد نفسه إلاّ في الشعرِ والأدبِ، ففيهما لقي ما كان يبتغيه: السُموَّ والعمقَ وصفاءَ النفس.

حبُّ والديه كان بالغَ الأثرِ في حياته، «دوزن» توازنه، وطّد عافيته، وارشده إلى التصرّف السليم القائم على الصدق والتعقّل والإقدامِ.

ان من يرى جودت حيدر، متسربلاً وقاره، مرتاحًا الى مصيره، مطمئنًا عمّا أتاه، جامعًا في تقاسيم وجهه الاشراقة البعلبكيّة إلى العفويَّة البقاعيّة، يظنّه بوهيميًّا مرتدًّا ترك هموم الدنيا على أرصفة المدن الكبيرة التي مرَّ فيها، أو نسيها في ملاهيها ومسارحها ومتاحفها الأثرية، أو نثرها في حدائق قصورها الفخمة المليئة بأحداث التاريخ، فلم تلحق به، ولا حفرت لها ثلمًا بين الأثلام التي رسمتها السنون على

وجهه. أما المتبحِّرُ في هذا الوجه فيقرأ التجارب واحدة، واحدة، القاسية منها والممتعة. يتلمَّس عصف الأنواءِ ويلمح الصفاء الذي يلي مدلهمّاتِ الليالي.

من يراه اليوم هكذا، جليًا، حليمًا، شفيفًا، يستعذب، لتوّه، الشيخوخة؛ يتمنّاها، يحبّها، وقد يستعجلها، وإذ يدركُ جودت حيدر الأمر، يتململ، يرتبك، يلملم خواطره، يستجمع قواه ويجلس متحفظًا. فقد تعلَّم، هذا الشيخُ، في مراحل نضاله وتجواله بين الناس والأشياء والمصائر، وتبصّره، أن لا يستعجل الأمورَ، فالثمار كما ندرك لا تينع إلا في أوانها. ثم ان الناس ليسوا جميعهم القيصر أو موزار أو بيتهوفن او أبا العلاء المعرّي أو سعيد عقل، ولا الأعمار تُحسبُ بعددِ السنين وحسب.

قليلون هم الذين يضاهون جودت حيدر حكمةً وشمول فكر، رزانةً وعذوبةَ حضورٍ، فكأنّ هذا الرجل، يكبر على ذاته، مع الأيام، ينضج، يتألّق مثل عنقود عنبٍ زحلي؛ يتألمز مثل جوهرة، وهو يعي بعمقٍ حقيقة يجهلها أو يتجاهلها مُعظمُنا، وخلاصتها: ان حجمَ خسائرِنا يتضاعف مع كل ساعة تفوت من أعمارنا.

لهذا، ربما، أحبَّ البحرَ وصادقه الى هذا الحدّ. تأمّله. ناجاه. استوحاه، وسكب في أعماقه الكثيرَ من خلجاتِ قلبه، فبقي قلبُه نضرًا، فتيًا، ينبضُ بالحنانِ، لا يتوانى عن الحبِّ، لا يخرج عليه ولا يهون.

فالبحر محروس، أبدًا. وهو مع الساهرين حيّ أبدًا، طليق أبدًا، يسهر لا ينام، طموح يعشق الأشرعة والرايات العالية البيض. قانع بعذريته، حريص عليها، وفيّ لها. هو عشير الموهوبين، أنيسهم. فمن أيَّةِ جهَةٍ نظرت إليه، وفي أي وقت وظرف نظرت، رأيته، دومًا، هو أياه، موازيًا ذاته لا عيب فيه، لا خَلَلَ ولا زغل.

هكذا أرى جودت حيدر، ومن هذه الزاوية أفهمه، فمملكة البحر، تَهَبُ، على حد تعبير مونتسكيو، الشعوب التي تجيد سياستها عنفوانًا طبيعيًا.

حمل محبة لبنان ورائحة ترابه، عبر البحور، الى أطراف الأرض، فكان طائرَ الأرض وطائرَ البحر الغرِّيد: غناهما، استوحى من الأولى الوفاء ورحابة الصدر، والكرمَ والثباتَ في الموقف وقولَ الحقِّ، وعرفان الجميل. ومن البحرِ أغترف اللؤلؤ، تمرَّس

بالجزالة وغرف من أصالته حتى الرويّ، فتوسّعت افاقه وتعمّقت بحوره وصفت، فأغناها واغتنى بها حرَّرها فحرَّرته وما تزال.

غاص في اللُّجج يفتش عن أصولنا. رسم على صحائف البحر، وجوهنا. تعلَّم على يديه التبصُّر وطول الأناة. تذوَّق، على وقع أمواجه، نكهة الانتظار، فأتقنَ المناظرةَ وبرعَ في اكتناز الحكمة وبعد النظر.

كانت الكلمةُ زورقه وشراعَه وباعه الممدود جسورًا يجمع الضفاف ويسهِّل العبور.

سعى اليها بجدّ، وثابر على سعيه. قاربها، داعبها، قَلَّب حروفها، بدَّل مواقعها فصارت مطواع أليفة. فمن حروف البحر، اشتقَّ الرحبَّ وعبر اليه يدرِّب صدره على رحابه. ومن البحر استخلص الحبر يدوِّن به النفائس، فلا تُمحى بالهين. ومن البحر تعلّم الترفّع عن الصغائر وهمل المبتذلات والتوافه جميعها.

تنسَّم اللغة فكانت أوكسجينًا لرئتيه. كرَّرَها وتكرَّر بها، فما تلف التكرارُ أحدًا منهما. جوهر اللغة وتجوهر بها فاستحقّها.

أشير هنا الى واحدةٍ من أجلِّ فضائل اللغة، هي قدرتهاعلى التجدُّد والديمومة.

المتبحِّرون في قضاياها، يعون هذه الظاهرة، يلمسونها في الروائع، يستمتعون بها. من هوميروس الى المتنبي وأبي تمام والجاحظ. ومن دانتي الى شكسبير وغوته وفكتور هوغو وبول فاليري وشوقي والأخطل الصغير وأمين نخلة وسعيد عقل وجوزف صايغ. تنبعثُ الكلمة من ذاتها على أقلام هؤلاء الأفذاذ. في كلّ لحظةِ ابداعٍ تنبعث. تقول الشيءَ والمضمر. ترسم تاريخها، حاضرها ومستقبلها في الرائعة عينها.

ينضر وجه اللغة ويدخل مع كبار الشعراء والأدباء مدار الحسن. تبلغ رونقها على أقلامهم، تصير بهم جدِّيةً وجادةً في فصاحتها. جزلة، عذبة، منعشة، حتى تقارب ملكوتَ الصمتِ، تستمدّ منه ماويَّة البلاغة، ثم تجتازها الى الإيحاءِ في هنيهات مقدّسة، تعرف كل هنيهة منها مستقبلها، تقبله، تدخل فيه وترتاح اليه، الى أن يعبرَ المستقبلُ الى التاريخ، فإما يصمدُ العملُ الفنيُّ، يصير رائعة، تراثًا واما يسقطُ فيزول.

تصيرُ اللغةُ على أيدي عباقرتها بشرى جديدة. انسانًا يبتدعُ رجاءه وفرحَه وسلامَه. يجتاز مأساته، يتجاوز عريه ويتغلَّب على ضعفِهِ ولحظاتِ هوانه، ليدخل مطمئنًا وَحْدَةَ الانسان والكون. يصير الانسان سيّد الزمن.

وهذا ما يسمّيه بعضُ المؤمنين البلوغ الى الله.

في هذا المناخ نقرأ سيرة صديقنا جودت حيدر، نراه يستخرجُ كنوزَه من خزائن الذاكرة. يعرض علينا مختاراتٍ من تجاربه، يقف عند المفترقات الأساسيّة، يدلّنا على الطرق والدروب، يفصل روافدها، يعيد بناء بعض الأحداث ويشير الى آفاق ترتسم عند مرمى عينيه.

لنتبصّرْ فيه يتأمّلُ، يتذكّرُ، وننصتْ إليه يسْردُ علينا طرائفَ الأيامِ وتقلّباتِ الدهر. لنتبحَّر فيه كيف يُخرِّج الليالي من سوادها، يعللها، يصبها في أصابيح نُطل منها على أروعِ الحدائقِ وأنضرها.

زحلة، في ٢٥ آذار ٢٠٠٢

أنيس مسلّم

صديقي جودت حيدر

بقلم: الدكتور ميشال خليل جحا

تعود معرفتي بجودت حيدر (جودت بك)، كما يحلو لنا أن نسميه، إلى أكثر من نصف قرن وبالضبط إلى سنة ١٩٤٩. يومها كان يشغل وظيفة مدير التوظيف في شركة نفط العراق (I.P.C.) في طرابلس (لبنان). كنت يومها قد نلت شهادة السوفومور (Sophomore) من الجامعة الأميركية في بيروت بعد أن درست فيها مدة سنتين واضطررت إلى إيجاد عمل لأني غير قادر مادياً على متابعة دراستي الجامعية. ساعدني جودت حيدر على إيجاد وظيفة في الشركة حيث عملت طيلة أربع سنوات عدت بعدها لمتابعة دراستي في الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٥٣، حين توطدت أواصر الصداقة مع ابنه الوحيد المرحوم بسام جودت حيدر الذي كان يدرس في الجامعة الأميركية في تلك الفترة.

وفي سنة ١٩٥٧ ـ وكنت قد وضعت رسالة لنيل شهادة الماجستير (MA) في الجامعة عن الشاعر خليل مطران ابن بعلبك ـ اصطحبني بسام في سيارته واستضافني في منزلهم في بعلبك فقابلت شقيقة خليل مطران التي كانت ما زالت على قيد الحياة. استمرت صداقتي بجودت حيدر على مر السنين ولما طلب مني مراجعة مذكراته او «مشوار عمره» هذه قبلت المهمة دون تردد لأن حياة الرجل المديدة مليئة بالجهاد والعمل الدؤوب والتجارب التي تتناول العمل الإداري والسياسي والأدبي والاجتماعي.

في سن الثامنة ترك مدينته بعلبك، بعد وفاة والدته، والتحق بوالده واخوته الذين كان قد نفاهم الأتراك إلى الأناضول فعرف طعم النفي والاضطهاد وهو ما زال في طور الطفولة.

ثم يعود من المنفى سنة ١٩١٧ ويدفع به طموحه إلى متابعة دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت فيجتاز امتحان اللغة الإنكليزية ويُقبل في الصف الأول للعام الدراسي ١٩١٨-١٩١٩ ويعلمه حسن كامل الصباح الجبر والهندسة الذي أثر في حياته وأقام معه أواصر صداقة متينة رغم فارق السن. وفي الجامعة أخذ يمارس رياضة كرة السلة وأصبح رئيساً للفريق.

يسافر جودت حيدر إلى العراق للقاء شقيقه محمد رستم الذي كان وزيراً للبلاط ويشرب الشاي مع الملك فيصل ملك العراق ويتعرف إلى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي كان موظفاً في البلاط الملكي.

ثم يسافر إلى فرنسا ليتخصص في الهندسة الزراعية فيركب الباخرة إلى مرسيليا ومنها إلى ليون حيث جمعته الصدفة بقنصل أميركا في فرنسا الذي ساعده على تحقيق حلمه للسفر إلى الولايات المتحدة الأميركية للدراسة والتخصص بعد أن استرجع القسط الذي كان قد دفعه سلفاً للكلية وقد استطاع أن يسترجع القسط بناء على تقرير طبي يفيد بأنه مريض وغير قادر عل متابعة دراسته. ولكن الحصول على تأشيرة للسفر إلى أميركا يستوجب تقديم تقرير إلى القنصل يثبت أن صحته جيدة. ذهب إلى نفس الطبيب الذي كان قد رشاه بخمسة فرنكات لإعطائه التقرير بأنه مريض ودس في جيبه خمسة فرنكات أخرى ليعطيه تقريراً جديداً يفيد بأنه يتمتع بصحةٍ جيدة!

ثمَ زار باريس لمشاهدة معالمها الحضارية قبل أن يركب الباخرة ويسافر الى الولايات المتحدة الأميركية ليدرس الزراعة في إحدى جامعات تكساس سنة ١٩٢٥ حيث أعجب بالأساليب الحديثة التي تطبق في الزراعة وقارن بينها وبين الأساليب الزراعية البدائية التي تطبق في البقاع.

ولكنه تحوَل عن دراسة الزراعة إلى التخصص في التربية والتعليم ونال شهادته سنة ١٩٢٨. ورغم الإغراءا ت للبقاء في الولايات المتحدة الأميركية وإلحاح رئيس الجامعة عليه للعمل في التعليم براتب لا بأس به قرر العودة إلى وطنه لكي يستفيد منه وطنه بدلاً أن تستفيد أميركا، «لان كل ذرة من تراب الوطن اغلى من بقاع الارض» كما يقول.

عاد إلى بيروت وكان جبران تويني وزيراً للتربية فعرض عليه العمل في الوزارة كمفتش براتب ١٢٧ ليرة لبنانية فقبل لكن المرسوم لم يوقعه مندوب المفوضية الفرنسية العليا لدى الحكومة اللبنانية لأن لديه معلومات تفيد بأن جودت حيدر ضد الانتداب الفرنسي. وما هي إلا تهمة ألصقت به ولكنه تذكر أنه كان قد أرسل رسالة من الولايات المتحدة إلى المندوب السامي في بيروت ينتقد فيها الانتداب الفرنسي.

ولما سدَّت في وجهه إمكانية العمل في وزارة التربية توجه للعمل في جامعة عاليه الوطنية التي كان يرأسها الياس شبل الخوري الذي كلفه بوظيفة مدير للجامعة التي كان أستاذ العربية فيها الأديب مارون عبود، حيث مكث سنتين فكانت تلك أول وظيفة يشغلها في لبنان.

ثم انتقل للعمل في كلية النجاح في نابلس ملبياً طلب مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، حيث عمل على رفع شأن الكلية لما أحدثه فيها من تحديث في البرامج والأنشطة التربوية وإدخال دم جديد في الهيئة التعليمية.

رغم تبريزه في حقل التربية والتعليم لم يتخذ جودت حيدر التربية والتعليم مهنةً دائمة له. ففي سنة ١٩٣١ ترك العمل في كلية النجاح وانخرط في سلك الوظيفة الإدارية في شركة نفط العراق معاوناً لمدير التوظيف في الشركة في طرابلس لبنان سنة ١٩٣٢ ومنها انتقل إلى حمص حيث مكث سبع سنوات حين كانت الشركة قد قررت مد خطين لأنابيب النفط، واحد من كركوك في العراق إلى طرابلس في لبنان، والثاني من كركوك إلى حيفا في فلسطين وتولى هو توظيف آلاف السوريين واللبنانيين من العمال والمهندسين والفنيين للعمل في هذا المشروع.

وهو لا يكتفي بسرد أحداث حياته وفقاً للتسلسل الزمني ولكنه يأخذ العبر من تجاربه في الحياة ومن مخالطة العديد من الرجالات العرب والأجانب ويستفيد من آرائهم وملاحظاتهم. فيتعجب مثلاً كيف أن صيادي الأسماك يقضون على الثروة السمكية باستخدامهم الديناميت وكيف أن جبالنا أصبحت جرداء لأننا نقطع الأشجار ولا نغرس أشجاراً مكانها.

كما يخبرنا عن كبار الشخصيات الذين عرفهم والذين يحفظ لهم الود والاحترام لما يتمتعون به من صفات حسنة ورجولة ومصداقية.

وهو الرجل الوطني المخلص لوطنه لا يدع فرصةً تمر دون أن يثبت ذلك، صادق العزيمة، عمل بوصية أخيه رستم الذي كان بمثابة الأب والأخ والصديق والذي كان وزيراً للمالية في العراق واغتيل وقبل أن يسلم الروح قال له:

«أطلب منك أن تكون صادقاً مع وطنك لأن كل ذرة تراب في الوطن تفدى بالروح... كن مع وطنك دائماً ولو لم تصل إلى حقك منه اعمل لوطنك بكل ما أوتيت من قوة وفكر وساعد».

وهو يتناول من حين إلى آخر بعض الأحداث التي تُظهر تردي الحياة السياسية في لبنان والمحسوبية والغش والسمسرة حيث يروي أن الشركة التي كان يديرها قد تقدمت للاشتراك بمناقصة دعت إليها الحكومة اللبنانية لشراء حافلات للنقل لمدينة بيروت شاركت فيها شركات عدة وبعد فتح الملفات تبين أن السعر الذي قدمته شركته هو الأدنى ولكن المناقصة رست على شركة فرنسية كان سعرها أعلى، فلا تسأل عن السبب !.

رغم الأعمال التي قام بها والوظائف التي شغلها كان يجد الوقت لينظم الشعر بالإنكليزية. بعض أدباء المهجر وشعرائه الكبار كتبوا بالإنكليزية أمثال: أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ولكنهم لم ينظموا الشعر بها. وفي لبنان شاعرات وشعراء كبار كثر نظموا بالفرنسية على رأسهم جورج شحادة ١٩١٠-١٩٨٠ ولكن لبنان لم يعرف شعراء نظموا بالإنكليزية أهم من جودت حيدر.

وهو صاحب رؤية وبعد نظر، فكر في مشاريع زراعية وصناعية عديدة جرى تنفيذها بعد عشرات السنين منها ردم قسم من شاطئ البحر بين بيروت وجونيه، وإنشاء مجمع ومسلخ حديث لاستيراد الماشية وذبحها وفقاً لشروط صحية وبيعها للمستهلك بأسعار متدنية. ولكن المشروع لم ير النور بسبب البيروقراطية وجشع المسؤولين.

ويروي قصة انسحابه من شركة «الكات» للمقاولات التي كان قد أسسها مع إميل البستاني وعبدالله خوري وشكري الشماس، هذه الشركة التي أصبحت ذات شهرة عالمية وباتت من كبريات الشركات في الوطن العربي، وذلك بناء على نصيحة أحد أقربائه واعتقاداً منه بأن الجيش الألماني كان يتقدم على جبهة طبرق أثناء الحرب العالمية الثانية وإن ذلك سوف يؤدي إلى إيقاف أعمال الشركة والقضاء عليها، ولكن جيش رومل قد انهزم في الصحراء الليبية والمصرية واستمرت شركة «الكات» تنفذ التعهدات للجيش البريطاني المتواجد عندنا وتجني الأرباح الطائلة.

ولما كان كل شيء قسمة ونصيباً كما يقولون فقد كان اسمه قد أدرج في حكومة أحمد الداعوق لتولي وزارة الأشغال العامة ولكنه ما لبث أن استبعد لأسباب لا زال يجهلها!.

كما حاول أن يعمل في المجال السياسي فترشح للانتخابات النيابية ولكنه فشل أيضاً بسبب محاربته.

هذا الرجل المقدام صاحب الرؤية والهمة والمصداقية هو من سوء حظ لبنان أن أفكاره ومشاريعه بقيت بأغلبها دون تنفيذ، أو أن سواه تولى تنفيذها بطرقٍ ملتوية فجاءت وبالاً بدلاً أن تكوم ماءً زلالاً .

وهكذا حرم من عطف الدولة زمن الانتداب الفرنسي وكذلك زمن الاستقلال كما بقيت منطقة بعلبك الهرمل مهملة ولا تزال.

وهو يضع إصبعه على الجرح فيقول:

«الحكم في هذه البلاد وللأسف الشديد للمتنفذين، فالانتخابات النيابية تزوَّر ويصل إلى المجلس النيابي من يوافق الزعماء على أهوائهم».

وهو يقارن بين ما يلقاه الشعراء والأدباء والمفكرون في الدول المتحضرة من احترام في بلدانهم وما هم عليه من إهمال في بلداننا. هناك يحافظون على منازلهم وأمتعتهم وكل ما كانوا يملكونه في حياتهم ويجعلون أماكنهم مزارات يقصدها الزائرون بينما نحن نهمل كل شيء.

ندَّعي أننا قد تخطينا عصر النهضة فهل نحن فعلاً في نهضة!؟.

وهو يرى أن العلة في جمود اللغة العربية ليست فيها بل في أهلها، ويأخذ على الذين يدعون إلى إحلال اللهجات العامية بدل الفصحى.

ارتبط جودت حيدر بصداقات متينة مع كبار الشخصيات اللبنانية والسورية والعربية عامة وكذلك مع كبار الشعراء والأدباء. وهو يتمنى لو أن الصداقات والمودات تعود إلى صفائها وسالف عهدها كما كانت قبلاً لأن الوطن يرتكز على أسس الصفاء والحب والوفاء.

وهو اليوم قد بلغ من العمر عتياً إذ تجاوز السادسة والتسعين يحن إلى عهد الشباب ويطلب من ربه أن يهبه الصحة ونعمة المحبة وسلام النفس والوئام.

وهو لا يعرف الاستكانة والراحة فقد أسس مع لفيف من أصدقائه الأدباء والشعراء وأهل الأدب مجمعاً أدبياً يدعى «واحة الأدب» في البقاع يعنى بجمع شمل الشعراء والأدباء والتعارف فيما بينهم وبترويج نتاجهم الأدبي وإدخالهم في الضمان. ومن مآثره إقامة مهرجان تكريمي حاشد للشاعر خليل مطران، شاعر الاقطار العربية، وابن بعلبك مدينة الشمس وترميم تمثاله الذي فُجر أثناء الأحداث لأنه يرى في ترميم التمثال دلالة على وحدة لبنان ورمزاً لتعايش طوائفه كافة.

هذه المذكرات ليست مدونة ولكنه يستمدها من الذاكرة لذلك فهو يهمل بعض التواريخ أويكرر بعض الأخبار.

وبعد، هذه سيرة رجل عاش حياة مديدة وكافح وجاهد وتركها للقارئ لكي يقتدي بها ويهتدي بهديها ويستنير بنورها ويستمد منها الشجاعة.

عاش في ظل الحكم العثماني والانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال ودخل في القرن الحادي والعشرين فخبُر الحياة حلوها ومرها.

فيا صديقي يكفيك أنك في ذكرياتك قد أمتعتنا وأفدتنا سلمت يداك! وحسبك أنك صادق مع نفسك وشاهد على العصر.

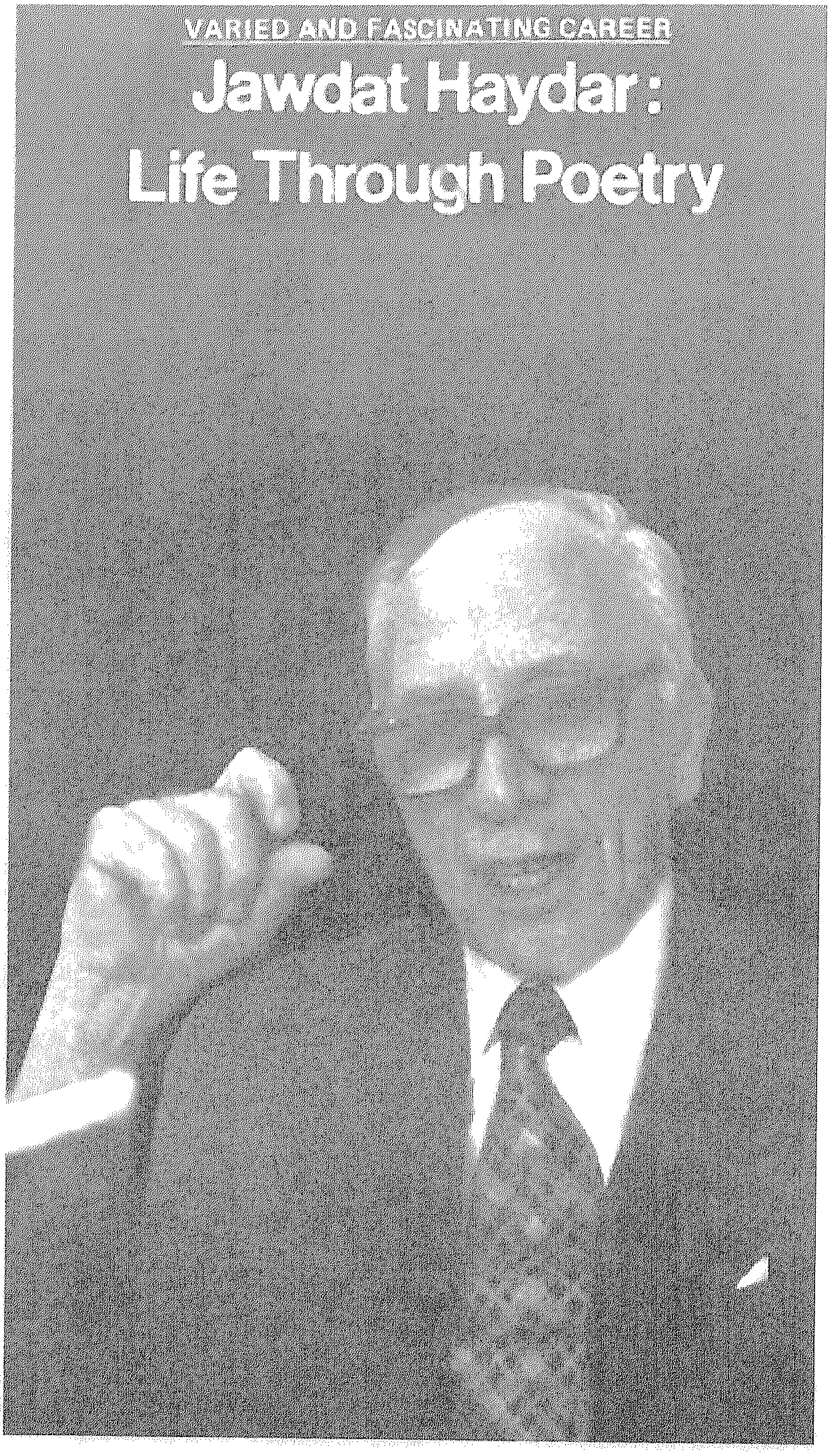

"Should I win my spurs today
I'll cross the frontiers of time
To write my name on the walls of tomorrow"

«إن بلغت ذراي اليوم
سأجتاز حدود الزمن
لأكتب أسمي على جدار الغد»

** The Temple In Baalbeck

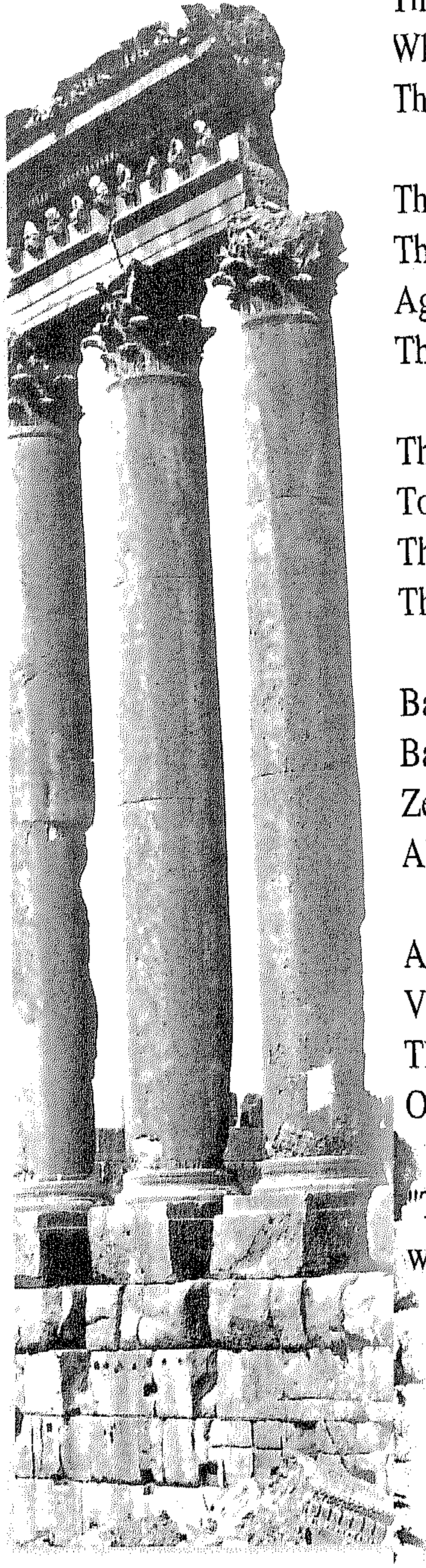

Tourists were all eyes looking on Yesterday
The ancient enigma of the massive walls,
Where nature gave birth to Age residing stay
The strict guardian against Time in the halls.

Thunder bolts flashed to crack the adamant stone;
The flash was defied and the walls still stark stand
Against the contending years passing thus moan
Their failure to resolve the walls into sand.

The stones 'ere quarried from the hills of patience made
To build thus walls as thus by magic untold
This thisness but that thatness that held and stayed,
The aging heirloom against time never old.

Baal lived here down in the mouth left in rage;
Bacchus hacked the vine and buried the jars deep;
Zeus gathered sages and asked for a presage;
All said, "Shun the guardian who ne'er goes to sleep."

All creations are subject to birth and age
Various varieties that make the whole,
Thus the whole but groups of actors on the stage
Of them the fugitive gods who sent this call:

"Tourists, remember that the walls of Yest'rday
will ever be the home for Age living stay."

Jawdat Haydar

أعتمدت هذه القصيدة في المنهاج الرسمي لشهادة
البكالوريا اللبنانية، القسم الإنكليزي مع نبذة عن
حياة الشاعر جودت حيدر.

"Themes" p. 222-224

الهيكل في بعلبك

ترجمة الشاعر عبدالله الباشا حيدر

الآتون كلهم عيون، تنظر إلى الماضي،
إلى اللغز العتيق، في الجدران الهائلة
حيث يقيم الدهر، وهبت الطبيعة
حارساً أميناً، يحميه من الزمان

وانبرت الصواعق تفتت الحجر العنيد
وهـــا هـــي، ومـــا زالت
تقاوم كر السنين المتبارية، والتي تندب
فشلـهـا في تحويـل الجدران إلى رمـال.

مـن جـبـال الصبر، قـدت الحجـارة
لـبـنـاء جـدران الـبـقـاء،
تـلك الـتـي بـقـيت الى الـزمـان
إرثـــا قـــديماً لا يشـــيـــخ!

هنـا أقام «بعـل» في الـفـم الفـاغر غضباً
ونهل «باخوس» الخمر، ودفن الخوابي
في الأعـــــمـــــاق
جـمـع «زوس» الحكمـاء، يطـلب نبوءة
الـــــبشـــــرى.

الـكـائـنـات تـولـد وتـهـرم...
أنـواع الأجـنـاس، الـتـي هـي المجمـوع
ومـا الـكـل سـوى مجمـوعـة الممـثـلين
وعلى مسرحهم أرسلت الآلهة الهاربة
هـــذا الـــنـــداء»

«ايها الآتون، تذكروا أن جدران الماضي
ستـبـقـى أبـداً، بـيت الـزمـان»

الفصل الأول

آل حيدر ونشأة جودت حيدر

آل حيدر ونشأت جودت حيدر:

في ٢٣ نيسان من عام ١٩٠٥ ولد الأديب الشاعر جودت بن رستم حيدر في مدينة بعلبك الأبية، التي كانت على مدى التاريخ رمز الإباء والشيم.

هو من عائلة كبيرة تعود بجذورها إلى قبيلة بني أسد العربية* في العراق، ويتحلى أبناؤها بسمات العرب الأقحاح وصفاتهم من رفض للظلم وحكم الغريب مهما علا شأنه وقويت شوكته.

اهتم آل حيدر بالأرض والوطن منذ وجودهم، فما أشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء حتى بدأ هذا الاهتمام يأخذ أبعاداً متعددة، منها الوقوف في وجه الظلم العثماني، ومنها الاهتمام بالعلم والثقافة في البلاد وأوربا، ومنها الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

كان من الرعيل الأول الدكتور حسين خليل حيدر الذي ظهر ميله إلى العلم في سن مبكرة وأتم دراساته في فرنسا فنال شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٨٩٠. وما أن عاد إلى الوطن حتى دعاه الوالي التركي في الشام لزيارته، فلبى الدعوة، وأثناء الزيارة أخبره الوالي بمرض ابنته وعرضه إياها على أشهر أطباء الشام وتركيا دون جدوى، طالباً إليه الإشراف عليها، والاهتمام بها، فأدى الطبيب واجبه حتى تماثلت للشفاء. عندها ودع الدكتور حسين حيدر الوالي وعاد إلى بلده.

بعد فترة جاءه من الوالي تكليف بتعهد إنشاء سكة حديد تربط الشام والمدينة المنورة، فأرسل أخاه مصطفى بك حيدر الذي أدى العمل كاملاً.

* جاء جد العائلة الأول وهو من بني أسد من العراق، فسكن بعلبك، وكثر أبناؤه، وأحفاده حتى أضحت هذه العائلة من أهم العائلات في لبنان والعالم العربي.

ومن رجالات آل حيدر الذين تلقوا علومهم في أوربا وكانت لهم مكانتهم الاجتماعية والعلمية، الوزير والنائب والمهندس الزراعي إبراهيم بك حيدر الملقب بجبار البقاع و الدكتور محمد يوسف حيدر الذي انتخب نقيبا لأطباء بيروت، والدكتور سليم حيدر، السفير والنائب والوزير والشاعر والأديب، والقاضي زاهد نافذ حيدر رئيس محكمة الاستئناف سابقاً، والمهندس الزراعي محمد مهدي حيدر، والمهندس فريد توفيق سليمان حيدر، والمهندس مصطفى توفيق سليمان حيدر، ومحمد رستم بك حيدر شقيق الشاعر الذي تخرَج من جامعة استانبول بتفوق، ثم من جامعة السوربون في باريس، وعين قائم مقاماً في خربوط ديار بكر ثم مديراً لكلية الصلاحية في القدس الشريف، ومن هناك التحق بالثورة العربية الكبرى، ورافق الملك فيصل الأول في دخوله إلى دمشق كما رافقه إلى مؤتمر فرساي، ومن ثم إلى العراق، فكان وزيراً دائماً في العراق منذ سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٤٠، ما عدا عدة أشهر إثر انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٧، بدءاً بوزارة البلاط الملكي، فوزارة المالية، والاقتصاد، والمواصلات، وكان ينتقل بين هذه الوزارات بغية تحديثها وإصلاح الخلل فيها، كما كان نائباً ممثلاً للأمة في البرلمان العراقي. واغتيل في مكتبه في وزارة المالية سنة ١٩٤٠.

وممَن تخرَّج من جامعات الآستانة: سعيد بك حيدر المناضل والمشترع الذي شغل منصب رئيس مجلس الشورى في سوريا، ونجيب بك مهنا حيدر مدير الطابو العام في الشام، ويوسف بك حيدر حيدر صاحب جريدة «**المفيد**» في دمشق، والمحامي يوسف مخيبر بك حيدر، والوزير صبحي بك حيدر والاديب لطفي حيدر صاحب جريدة الايضاحي ـ بعلبك.

وكان لرجالات آل حيدر في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وكانت بيوتهم موئلاً للضيوف، ولأصحاب الحاجات، ومكاناً لحلِّ المشكلات المعقدة في المجتمع منهم:

سعيد باشا سليمان حيدر، وأسعد بك خليل حيدر، ومخيبر بك حيدر، ومصطفى بك حيدر.

ومن الرجال الذين حملوا راية الدفاع عن الوطن: توفيق بك هولو حيدر، ومعه كثير من المناضلين الحيدريين الشجعان، كما قدم آل حيدر للعروبة الشهيد صالح أسعد بك حيدر.

ومن آل حيدر المثقفين رستم بك حيدر، والد شاعرنا جودت حيدر، الذي كان يتقن اللغة التركية، ويشغل وظيفة المستنطق لمدينة بعلبك وجوارها، وأحد كبار ملاَّكي الأراضي في سهل البقاع.

بعض رجالات آل حيدر يتوسطهم صبحي بك حيدر

تزوج والد شاعرنا إحدى قريباته تدعى «طفلة» وهي ابنة سعدون الحاج سليمان حيدر فأنجبت له ثلاثة صبيان هم حسين ومحمد، الذي عرف برستم، وجميل، وثلاث بنات هن: نائلة ولطفية وعرفية.

ولما توفيت زوجته «طفلة» تزوج ثانية السيدة شاهينة بنتَ قاسم ناصيف زعيتر، فأنجبت له أربعة أولاد هم: محمود، مصطفى، جودت، ويوسف الذي توفي في سنّ الرضاع، وابنة واحدة سميت فاطمة توفيت في سن الطفولة.

وكما جاء سابقاً، إنَّ آل حيدر اهتموا بالثقافة والعلم، فنال كثير منهم الشهادات العليا من الآستانة وأوروبا وأميركا، كذلك اعتنوا بتعليم بناتهم وتثقيفهنَّ، فكانت لطفية شقيقة شاعرنا مديرة مدرسة بعلبك للإناث، وعرفية مديرة مدرسة بدنايل للإناث، يوم كانت الأَمية غالبة على أكثر بنات ذاك الزمان.

يقول الأديب الشاعر جودت حيدر:

«عاد والدي وعائلته من منفاه في الأناضول، نحيل الجسم، طاعناً في السن، وعاش حتى كانت وفاته رحمه الله سنة ١٩٢٥ عن عمر يناهز الثانية والثمانين.

كنت آنذاك في الولايات المتحدة أتابع الدراسة والتحصيل. أعلمت بنبأ وفاته في رسالة من أخي محمد رستم يخبرني فيها ويعزيني.

واليوم، وقد مضى والدي وإخوتي وأخواتي وزوجتي مليحة وابني الوحيد بسام إلى بارئهم، وصبرت على مصائب متلاحقة أقول:

صبرت وشـــــــــربت الصبر

وأنـــا صـــابـــر في حـــديـــقـــة الصبر

ومـــن أتـــاني يـــراني كـــالـــزمـــان

صـــابـــراً عـــلـــى صبري

ما إن هبت رياح الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ حتى قررت الدولة العثمانية تحصين جبهتها الداخلية بالقضاء على أية حركة قد تظهر، مدركة أن العرب لا بدّ سيتحركون ضد الاستبداد والجور، وأن تحت الرماد ناراً لا تلبث أن يعلو أُوارها في أول فرصة سانحة فأطلقت يد جمال باشا وزير البحرية على هذه البلاد، فكان له على النفوس والأموال من الجور والتعسف ما لا يوصف، وتحرك الشعب منددأ بالظالم السفاح، وفكر بطريقة للخلاص، لكن الظالم كان في سباق مع الزمن فاعتقل من اعتقل، ونفى من نفى، وأعدم من أعدم، ومن بينهم الشهيد صالح أسعد حيدر، وسلّط عيونه وجواسيسه على الناس، وكان لآل حيدر نصيب من ظلمه وجوره. ولهم بالمقابل نضال ضد استبداده، فاستشاط غضبه، وازداد حقده، فصدر سنة ١٩١٤ مرسوم قضى بنفي آل حيدر رجالاً ونساء إلى بلاد الأناضول ونفذ فوراً.

بقيت عيون جمال باشا لا تهدأ ليل نهار، وبقيت تهديداته تتوالى، لكن الشعب الأبيّ في بعلبك لم يرضخ و لم يستكن، إذ بقيت ثلة من شباب آل حيدر لم تستجب لمرسوم النفي، تصارع العثمانيين فأصيب الدكتور محمد حيدر في معركة اللبوة في كتفه، وقتل من الدرك التركي ثلاثة أفراد وكان الذي فك الحصار ابن عمه علي سليمان حيدر.

أما المرأة الحيدرية فوقفت إلى جانب أخيها في نضاله و لم تهن.

وقد وقفت السيدة زينب أسعد بك حيدر، أخت الشهيد صالح حيدر وإبراهيم بك حيدر في طليعة المناضلات وعملت بصمت وقوة وإصرار على أداء الواجب.

ومن أعمالها التي سجلها لها التاريخ أنها قبل تعليق مشانق الشهداء كانت تعرف من مصادرها الوطنية مكان الأوراق السرية والمحاضر التي كانت تكتب أثناء الجلسات المغلقة، وفي هذه الأوراق أسماء الأحرار العرب العسكريين والمدنيين الذين يجهلهم الحكم العثماني، ويعمل جاهداً لمعرفتهم عن طريق الوصول إلى هذه الأوراق والكشف عن هؤلاء الأبطال الذين يَقُضُّون مضاجع الدولة العثمانية. ولما أدركت أن هذه الأوراق أهم من الحياة ذاتها، قامت في ليلة سجلها التاريخ ومضت من بعلبك على متن عربة وسط الظلام. ولكي لا يشك فيها أعوان السفاح وجواسيسه لم تصحب معها إلا رجلاً واحداً هو سائق العربة.

راحت تحت جنح الليل وشراسة البرد القارس، والعواصف الثلجية حتى وصلت إلى هدفها المنشود وهو بيت المحمصاني في عاليه، وكانت تعرف مكان الأوراق المدفونة تحت بلاطة في غرفة الجلوس المفروشة بالسجاد.

دخلت البيت وأزاحت البلاطة، ثم أخرجت الأوراق وأحرقتها وألقت بقاياها في المرحاض، وعادت أدراجها بهدوء وأناة، متابعة طريقها إلى دمشق، حيث أخبرت الرئيس شكري القوتلي بما فعلت، ثم رجعت سريعاً إلى بلدها لتواصل النضال، ولا همّ لها إلا مساعدة إخوانها، وتخليص وطنها من الظلم والظالمين.

لقد خلصت السيدة زينب حيدر البلاد من مجزرة كبيرة، ونجّت من حبل المشنقة رجالاً راحوا يعملون لتحرير وطنهم من نير الاستبداد.

وجدير بالذكر أن السيدة زينب كانت تمتاز في حياتها بالرأي السديد، والفكر الثاقب، والشجاعة النادرة، واقتحام المخاطر، إضافة إلى ثقافة عالية وعلم.

لقد تزوجت السيدة زينب فيما بعد المحامي يوسف مخيبر بك حيدر، فكانت موضع احترام وتقدير القاصي والداني، وكان يؤخذ برأيها في الملمات الجسام.

في عام ١٩١٧ أحست الدولة العثمانية بأن نتائج الحرب العالمية الأولى لن تكون لصالحها وان المنفيين عبءٌ ثقيلٌ عليها فأصدرت عفوها عنهم وأعادت كلاً منهم إلى بلده، فعاد آل حيدر إلى بعلبك وبدنايل واللبوة بعد غيابٍ طويلٍ في بلاد الأناضول. لكن النضال الحيدري استمر ضد الظلم. وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى وجلا الأتراك عن البلاد بدأت مرحلة جديدة من النضال ضد الفرنسيين.

لقد حمل الكثيرون من آل حيدر السلاح وعلى رأسهم المحامي يوسف مخيبر بك حيدر الذي تصدّى للجيش الفرنسي القادم إلى بعلبك، وقاومهم مع رجال من أبناء المنطقة غير أن القوى لم تكن متكافئة، فدخل الفرنسيون المدينة عنوة.

كما جاء سابقاً أنه في سنة ١٩١٤ أدرك السفاح جمال باشا أن آل حيدر في بعلبك وبدنايل واللبوة خطر على الدولة فقضى بنفيهم إلى بلاد الأناضول حيث فرّقوا هناك في بلاد متباعدة متنائية.

لم يبق منهم في البلد إلا القليل، ومنهم: جودت حيدر نظراً لصغر سنه، وأمه.

توفيت والدة جودت حيدر في صيف ١٩١٤، وامتنع وكلاء الأراضي عن إعطائه بعض حقه من المال ليعيش منه، وهنا فكر الصبيّ فوجد الحل الوحيد أن يلحق بأبيه وإخوته الى بلاد المنفى..

اختار جودت حيدر وهو في الثامنة من عمره النفي ليلحق بعائلته، وأصرَّ عليه. كانت رحلته إلى بلاد الأناضول بقسوتها والعقبات التي أحاطت بها أول سبب في أن يتحطم أمام ضربات الحياة القاسية، أو يصمد قويّاً في وجهها فينتصر ويتابع الانتصارات حتى اليوم.

يصف لنا الشاعر الأديب رحلة العذاب القاسية إلى المنفى، وقد اختارها بملء إرادته.. فيقول:

«كانت المرارة تملأ قلبي والشوق لأبي المنفي وإخوتي يغمر نفسي، ولكن شيئاً كان يرضيني، وهو أنني بجانب أم رؤوم تحنو عليّ، وتغمرني بالعطف والحنان، وترى الدنيا كلها بوجودي إلى جانبها وأجد نفسي بقربها..

وفي يوم أسود قاتم لفظت والدتي آخر أنفاسها منتقلة إلى جوار ربها أمام ناظريّ متأثرة بمرض التيفوس اللئيم الذي كان يقضي على الكثير من أبناء البلاد دون رحمة أو شفقة أو حساب وكنت آنذاك في الثامنة من العمر.

لقد أحسست بالوحدة القاسية.. لا أحد في البلاد أمتّ إليه بصلة.. أهلي منفيون في بلاد بعيدة..

فتشت عن حلّ فوجدت الحل في الذهاب إلى المنفى.

ذهبت إلى الموظف (الكومسيير) سليم أفندي، وطلبت منه إلحاقي بأبي وإخوتي في ياني شهر بورصا في بلاد الأناضول.. وكان جوابه: اذهب يا ولد.. ليس لديّ وقت لك.

كان كلام سليم أفندي قاسياً عليّ، وزاد من إحساسي بقسوته تلك الظروف المحيطة بي من كل جانب..

أجبته: إذا لم تتدبر الأمر بإلحاقي بوالدي، فسأرسل تلغرافاً إلى جمال باشا أشرح له ظروفي وأطلب منه إلحاقي بأبي.

أحسَّ سليم أفندي بإصراري، ونظر إليّ ملياً، وكأنما كانت في تلك اللحظات تدور في نفسه أشياء وأشياء..

تراجع عن كلمته، وهدأ من روعي قائلاً:

سأتدبر الأمر، وسأعمل على إرسالك إلى أبيك، وستسافر مع مجموعة من أهل البلد

يمكنني الاطمئنان عليك برفقتهم وهم: شخص من آل قرعة، وامرأة الدكتور يوسف فضول، وجان بك الملحمي وبناته.

أحسست عندئذ أن الأمر قد حلّ، وأن الرجل ينبغي أن يكون صلب العود قويّ الإرادة لا يتراجع عن طلبه الحق، ولا يرضخ مهما كانت المجابهة قاسية.. وشعرت بالراحة والفرحة بقرب لقائي أبي وإخوتي.

حُدّد الوقت لرحلة لم أكن أعرف عنها شيئاً، ولا ما يخبىء لي فيها القدر من متاعب ومشقات.. ورغم تنكر وكلاء أراضينا وطمعهم في الموسم الزراعي، فقد حاولوا إظهار أنفسهم وتصرفاتهم بمظهر لائق، فاشتروا لي معطفاً، وحطاطة ألفّها على رأسي، وأعطوني أربع عشرة ليرة تركية، وأشبعوني بكلمات الحب وتمنيات الوصول إلى أهلي بالسلامة.

ومضى الركب وأنا معهم في القطار الذي كان وقوده الحطب، لا أحسب للتعب حساباً، ولا آبه بالمشقات.. كان همي الوحيد أن أصل إلى أبي وإخوتي..

وما أن وصلنا إلى حلب الشهباء حتى كان ما لم يخطر لي ببال، فقد أخذتنا السلطات العثمانية إلى سجن القلعة ثم افرجت عنا في اليوم التالي.

لم تكن حلب آخر المطاف في رحلة العذاب التي كتبتها عليّ وعلى أمثالي يد العثمانيين ألذين كان الحقد على العرب والعروبة يجري في عروقهم.

تحرّك الركب متجهاً إلى ولاية أضنة في تركيا، وذقنا في طريقنا المشقة، وأمضّنا التعب، وأرهقنا التفكير.. إنها طرقات نسي المسؤولون تأهيلها لانشغالهم في أشياء أخرى غير العمل على راحة الناس وتأمين الحدّ الأدنى، وفتشنا عن فندق يؤوينا ريثما يسمح لنا بالانتقال إلى بلد آخر.. ثلاثة أيام مرّت مرّةً في حلقي وعلى نفسي وأعصابي، وأقسى ما كنت أعانيه خوفي الشديد من أن ينقطع بي السبيل لقلة المال أو انعدامه.

ماذا لو كان ذلك؟..

وراحت الأفكار تتزاحم كالموج في رأسي حتى أحسست بالدوار أكثر من مرة.

ليس معي أجرة الفندق. طلبت من إلياس الملحمي، وهو رفيق الرحلة القاسية وصديق والدي، بعض المال، وكان الجواب أقسى من الرحلة بكل قسوتها ومشقاتها، إذ قال: أنا مسافر، ولا أدري إلى أين. لا يمكنني إعطاؤك شيئاً.

اغرورقت عيناي، وأحسست أن الأيام تحاول تحطيم كبريائي.. ...مضيت إلى صاحب الفندق لأقول له إنني لا أستطيع دفع الأجرة..في ظني أنه سيقدّر ظروفي وصغر سني بدافع من شهامة أو إنسانية، ولكن جواب الرجل جاء مخيباً لآمالي، وأحسست أن قلبه قدَّ من صخر أصمّ.

قال: ضع معطفك على كتفك الأيسر وامض إلى الشارع، وهناك قرب الفندق من يشتريه منك.

وغلت حمّى الأفكار في دماغي...

أبيع معطفي لأسدِّد بعض النقود لصاحب الفندق؟

لكن لماذا يتميز رجال بالرجولة والصلابة والشجاعة وآخرون بالجبن واللؤم والخور؟ تماسكتُ وحدثتني نفسي قائلة: ما قيمة المعطف، ليذهب، وليكن لك في المستقبل أن لا ترى محتاجاً إلا تمدّ له يد المعونة.. أليس البخيل يعلمنا الكرم أليس الجبان يملأ قلوبنا شجاعة؟ أليس الحقود يعلمنا التسامح؟

هبطت من الفندق حاملاً معطفي وبدأ المتجمعون يساومونني على سعره.. وأخيراً بعت المعطف باثنتين وأربعين ليرة تركية، وسدّدت لصاحب الفندق ما عليّ من أجرة.

من أضنة إلى قونية

حملنا الجنود الألمان بسيارة شحن ألمانية كمتاعٍ حربيّ بلا اهتمام بإنسانية الإنسان.. وراحت السيارة تهدر بصوت مزعج يصمّ الآذان، ويزيد في الإزعاج والآلام تسلق مرتفعات جبال بوزنطي، وضراوة الطقس حتى أحسست بأني أنهار

رويداً رويداً، ويمسكني عن السقوط والتلاشي نهائياً أمل يداعب خيالي بين الحين والآخر هو الوصول إلى أبي وإخوتي، وكبرياء عربية تغلي في عروقي.

تماسكتُ، غير أن المأساة أخذت تتعاظم، وزادها فقدان المال ضراوةً، فكرت مليّاً في الماضي والحاضر والمستقبل المجهول، فخيمت على وجهي سحابة من الكآبة.

عند وصولنا الى قونية التفت إليّ ابن قرعة وسألني عن وجومي فأخبرته بأني لم أعد أملك شيئاً من المال.

عندها ربَّت على كتفي وقال لي بحنان: لا تهتمّ... سنتعاون. واصطحبني إلى المخبز.

انتظرنا قليلاً ريثما يصبح الخبز جاهزاً، ورحت أنظر إلى الشارع بلا هدف، وإذا بي أرى رجلاً طويلاً يرتدي جبة وعمامة، ويحمل في يده بسطوناً (عصا).. حدقت فيه وإذا هو الحاج أحمد الحاج سليمان حيدر، أخو خالتي زوجة والدي رحمها الله فامتلأ قلبي فرحاً.. وأسرعت حتى لحقت به وضممته ضمة تظهر الفرحة في كل حركة من حركاتها...

نظر إليّ والدهشة بادية على وجهه وقال: أولان أولان جودت.. ما الذي جاء بك إلى هنا؟

وأخبرته القصة..

مضيت مع الحاج أحمد إلى منزله الذي خصصته له الدولة العثمانية، وفي الطريق أخبرني أن ابن عمتي توفيق سليمان حيدر يقطن في نفس البناء في الطابق العلوي. لقيت ابن عمتي، وأحسست بأن حاله كحال غيره من المنفيين من آل حيدر، يعاني قلة المال ويحسب ألف حساب لليرة التركية التي يصرفها في أزمة لا يعرف متى تنتهي.

بقيت في بيت توفيق حيدر ثلاثة وعشرين يوماً، وجاء الأمر بأن ننتقل إلى ولاية أسكي شهر في تركيا أيضاً..

أعطاني ابن عمتي كتاباً إلى حسن بك حيدر المنفي في ذلك البلد، وزودني بثلاث عشرة ليرة تركية هي كل ما كان في حوزته من مال تاركاً تدبير الغد لربّ الغد..

ما أن وصلت إلى إسكي شهر حتى بدأ فصل جديد من الرحلة المأساة..

جاءني الأمر من المتصرف التركي في المدينة بأن أدفع للعكسري الحارس الذي سيرافقني إلى البلاجيق أجرة السفر والمرافقة.. واعترضت، وأصرّ العسكري في الطلب.. عندها طلبت منه أن يأخذني إلى المتصرَف، وما أن رآني حتى بادرني: من أنت؟

قلت: أنا جودت حيدر.

قال: «جودت حيدر بيوك أضم».. أي رجل كبير السنّ.

امتلأت نفسي بالسخرية، وكدت أضحك مقهقهاً، لكني تماسكت وقلت: أنا جودت حيدر، وليس لديّ مال، فمن أين آتي بأجرة العسكري الذي سيوصلني إلى البلاجيق؟

تفهم المتصرف الوضع وقال:

«بيكي» أي لا تدفع اذهب..

زودنَي حسن بك حيدر بكتاب إلى السيد عمر الأتاسي وودّعني.. ورافقني العسكري في رحلة لا تختلف عن سابقاتها..

وصلت إلى البلاجيق، وسألت عن عمر بك الأتاسي الذي مرّ في تلك اللحظات صدفةً، فعرَّفوني به، وقدّموني إليه.

سلمته كتاب حسن بك حيدر، فدعاني إلى منزله. وأثناء سيرنا صادفنا صبري العسلي وأخاه فسألاه عني فأجابهم بأني أخو محمد رستم حيدر فأصرّا على أن أكون بضيافتهما..

وما أن وصلنا إلى منزل آل العسلي حتى بدأ السوريون يتوافدون إلى البيت زرافات ووحداناً يتعرفون إلى الضيف الجديد الوافد من البلاد الحبيبة، وعمر الصالون بالرجال، بينما بقيت النساء في باحة المنزل الداخلية.

أخذت أتلقى الأسئلة من هنا وهناك، وأنتقل من مقعد إلى آخر لأجيب سائلاً في ناحية وآخر في ناحية ثانية وكنت أرفع صوتي ليسمع النسوة أخبار أهاليهن وبلادهن وهن ينتحبنَ..

في تلك السهرة عشت مأساة المنفيين، وأدركت مدى معاناتهم، وعرفت معاني الوطنية كاملة، وأن ذرة من تراب الوطن تستحق أن تفدى بالأرواح.. وبينما كنت أتحدث، وأجيب عن الأسئلة التي كثرت عليّ أصابتني سنة من نوم نتيجة التعب ومشقة الطريق.

وما أن استيقظت حتى رأيت الصالون خالياً، ووجدت فراشاً ممدوداً على الأرض عرفت أنه قد أعدّ لي.

استلقيت على الفراش وأردت الإخلاد إلى النوم، لكن لأسباب كثيرة لم ينطبق لي جفن، وطار النعاس من عينيّ.

في الصباح جاءت العربة لتنقلني إلى آخر محطة من رحلة العذاب الممضّ.. جاءت لتنقلني إلى ياني شهر منفى والدي وإخوتي. استغرقت الرحلة عدة ساعات كنت خلالها أتنشق الغبار مع الهواء. وما أن وصلت إلى ذلك البلد حتى استقبلني أبي وإخوتي وأخواتي وتلألأت الدموع في العيون، بكى والدي بصمت، لكني كنت أرى عينيه تذرفان الدمع مدراراً، كأن هذا الدمع ينمّ عن قلب أبي الذي يتفطر فرحاً بوصولي.

وحلّق إخوتي حولي، وأبى بكاء أختي نائلة أن يتوقف.

حلقوا لي شعري بالموسى، وأعطاني إخوتي ثياباً لأن الرحلة بما فيها من مآس قد جعلت ثيابي غير صالحة.

بقينا في ياني شهر مدة سنة تقريباً، وفي أثنائها فرّ أخي محمود، وعرفنا بوصوله إلى قونيه، ثم انقطعت عنا أخباره نهائياً حتى اليوم، أما نحن فانتقلنا إلى البلاجيق بأمر من الحكومة، وبقينا هناك حتى سنة ١٩١٧ حيث صدر العفو عن جميع آل حيدر، وانتهى النفي، وعدنا جميعاً إلى الوطن لنتشبث به وبأرضه.»

الفصل الثاني

التحصيل العلمي

التحصيل العلمي

أ- مرحلة التحصيل العلمي في لبنان وفرنسا

يتحدث جودت حيدر عن تحصيله العلمي فيقول:

«سنة ١٩١٧ عدت من المنفى إلى بعلبك مؤمناً بأن طريق العلم والمعرفة هي الطريق المثلى. واخترت طريقي، وصممت على الوصول إلى غايتي متخذاً سيرة أخي محمد رستم نبراساً ينير لي الطريق.

في تلك المرحلة كان صبحي بك حيدر ابن سعيد باشا سليمان حيدر (مير ميران) يشغل منصب قاقائمقام بعلبك، وكان أمين سره رجلاً من الجنوب اللبناني هو الشاعر أديب فرحات يحمل شهادة B.A من الجامعة الأميركية، ويتقن اللغة الإنكليزية، إضافة إلى ثقافة عالية، ويتمتع بشاعرية ممتازة.

اجتمعت وأتراباً لي، من تلامذة المدرسة الإنجيلية في بعلبك، التي كان يرأسها المعلم خليل، ومضينا إلى أديب فرحات، وطلبنا منه تخصيص بعض وقته لتدريسنا اللغة الإنجليزية، فكان عند حسن ظننا، ودرّسنا اللغة قرابة ثمانية أشهر.

أثناء ذلك مرّ ببعلبك الدكتور سميث رئيس قسم اللغة الإنكليزية بالكلية الأميركية في رأس بيروت .SPC طلبنا منه الانضمام إلى الكلية، فأجرى لنا امتحاناً باللغة الإنكليزية كانت نتيجته نجاحي مع إبراهيم وزكي، وكلنا من آل حيدر، وإعلان رئيس الكلية قبولنا في الصف الأول الاعدادي في الكلية.

أخبرت شقيقي رستم بنجاحي وطلبت معونته ماديا وانتظرت....

وشاءت الظروف أن يمرّ الأمير زيد شقيق الملك فيصل ملك العراق ببعلبك في طريقه إلى دمشق، فانتهزت الفرصة لأقابله في محطة القطارات، ولاعلمه بأني حتى ذلك الوقت لم أستلم الحوالة المالية من أخي محمد رستم لتسديد القسط الدراسي.

مضيت إلى المحطة، وقابلني رئيس البلدية مهدي بك حيدر، الذي لم يكن يعرفني، وما أن طلبت مقابلة الأمير حتى قال لي:

اذهب يا ولد.. الأمير مشغول.

نظرت فإذا باب غرفة الأمير مفتوح، فمررت من تحت يد مهدي بك ودخلت على الأمير بسرعة، وحييته وقلت:

أنا أخو رستم حيدر، جئت لأعرض لك موضوعاً يتعلق بي.

قال: تفضل، استرح.

بدأت الحديث سريعاً ومقتضباً قلت: تقدمت بامتحان إلى الجامعة الأميركية وقبلت في الصف الأول الاعدادي، ووعدني أخي رستم بإرسال حوالة لكن لم تصلني حتى الآن، ولم يبق إلا ثلاثة أيام حتى تفتح الكلية أبوابها..

أرجو سموكم مساعدتي...

وجاء الجواب مقتضباً: الحق بي إلى الشام.

أحسست باهتمام الأمير، وبالراحة. وأملت بنتائج طيبة.

في دمشق مضيت لمقابلة سمو الأمير زيد، ولكني في ساحة المرجة رأيت أحد أقاربي محمود شبلي حيدر، فقال لي: «لقد سجلك الأمير زيد طالباً في مكتب عنبر».

كانت صدمة عنيفة لي، وقلت: «لكني طلبت تسجيلي في الكلية الأميركية لا في مكتب عنبر».

قال: هذا ما حدث.

وبينما كنت أفكر اقترب مني أحد أبناء العائلة وقال لي: «لقد وصلت حوالة من أخيك محمد رستم، ويمكنك مراجعة مدير الطابو العام بدمشق نجيب بك مهنا حيدر الذي أصبح وكيلاً عنك منذ الآن.

أثلج الخبر صدري وغمرني بالفرح ومضيت بسرعة برفقة قريبي إلى بيت نجيب بك حيدر حيث قال لي: «يمكنك الآن الذهاب إلى الجامعة الأميركية، وهذه هي النقود».

في اليوم التالي كنت في الجامعة الأميركية ببيروت حيث انتسبت للعام الدراسي ١٩١٨ - ١٩١٩، ودفعت القسط المترتب عليّ، ثم مضيت مع إبراهيم وزكي حيدر لنستأجر بيتاً.

عرفت منطقة الحمراء أرضاً تغطيها أشجار الصبار، ويزرع في بعضها الفجل والبصل والبقدونس وغيرها من الخضار التي يهتم بها أصحاب الأرض ليؤمنوا بثمنها بعض حاجياتهم.

مضت السنة الأولى من دراستي، وكنت دائماً أفكر في المستقبل، وأفتش عن الأفضل.

لذا قررت أن أقضي بقية الدراسة في القسم الداخلي للكلية، وذلك أفضل للدراسة والرياضة التي بدأت تستهويني، وتستغرق بعض وقتي.

في السنة الدراسية الثانية أمسكت بأمرين مهمين: الدراسة، والرياضة. وكنت من المجلّين في اللغة الإنكليزية والتاريخ والجغرافيا.

وكان لي رفاق في الكلية أصبحوا فيما بعد من الرجال الذين يشار إليهم بالبنان، ومن هؤلاء دولة الرئيس عادل عسيران، رفيق الدراسة، الأديب الكبير سعيد تقي الدين، معالي الأستاذ كاظم الخليل، عطوفة الرئيس أحمد الأسعد، الأستاذ عبدالله أديب، معالي الأستاذ حليم نجار، الدكتور صبحي المحمصاني، علي هارون الذي أصبح فيما بعد نائباً في المجلس النيابي السوري.

تفوقت في مجال الرياضة.. وأحببت كرة السلة، وبرعت فيها، وأصبحت رئيساً للفريق طيلة دراستي في الكلية.

جودت حيدر يتوسط الامير سعيد شهاب إلى يمينه، عبدالله اديب إلى يساره، ثم عبده صعب، جواد العظم والمدرب «كلاتز» سنة ١٩٢٣

أقف الآن عند ذكرى معلم لي في الجامعة الأميركية ملك عليّ إحساسي، وكان مثار إعجابي ومبعث احترامي وتقديري وهو الأستاذ حسن كامل الصباح مدرّس الجبر والهندسة.

بعض الناس أقوى من الزمن، لا تستطيع يده أن تمحوهم أو تشوّش صورتهم.. وكيف يمحى من خط على صفحة الدهر والتاريخ صفحات خالدة، وقدم للإنسانية بعض ما تنعم به..

إن سيرة حسن كامل الصباح واكتشافاته سجلها له العلم بإجلال تضيق عنها بطون كتب.

تسجلت في الجامعة الأميركية لصف Freshman، لكنني كنت مصمماً على الانتقال إلى أميركا لدراسة الزراعة.

أرسلت طلب انتساب إلى كلية الزراعة في جامعة AM & C, College Station بولاية تكساس مرفقاً أوراقي الثبوتية وشهادة من الجامعة الأميركية في بيروت.

وبعد فترة جاءني الجواب من الجامعة بالقبول، ولكن القنصلية الأميركية في بيروت رفضت إعطائي تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأميركية، فكان هذا الرفض صدمة لي.

تركت الجامعة الأميركية في بيروت، وذهبت إلى بغداد حيث التقيت أخي محمد رستم، وكان يومها وزيراً للبلاط الملكي في العراق، فأخبرته بما جرى، واستشرته في الذهاب إلى فرنسا فأعجبته الفكرة وقال: جيد. سأرسل لك سيارة إلى فندق Mode الساعة الرابعة لتأتي وتشرب الشاي مع جلالة الملك فيصل.

وصلت الساعة الرابعة إلى البلاط الملكي، وجلست مع أخي في حديقة البلاط وبعد فترة قصيرة جاء جلالة الملك فيصل وجلس معنا.. ومازحني جلالته قائلاً: «ما شاء الله أنت طويل وطربوشك طويل.»

فأجبت جلالته: أطال اللّه عمرك يا سيدي

وقد كان الطربوش في تلك الأيام على أنواع مختلفة، منها الطويل، ومنها القصير، ولقد شاع الطربوش الطويل في مصر زمن سعد زغلول باشا، وانتقلت العدوى إلى بيروت حيث صارت شائعة.

وفيما كنا جالسين نشرب الشاي أطل علينا الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري، وكان آنئذ موظفاً في البلاط الملكي، وما أن رآنا حتى سأل عمن يجلس بحضرة الملك مع رستم حيدر.

فقيل له: إنه جودت شقيق رستم حيدر.

وكانت المرة الأولى التي رآني فيها محمد مهدي الجواهري ورأيته، عن بعد.

شربت الشاي مع جلالة الملك وأخي، ثم سألني جلالة الملك فيصل عن الاختصاص الذي يستهويني فأجبته: الزراعة.

عندها سألني: لماذا لا تدرس «Architecture» الهندسة المعمارية؟.

فأجابه أخي رستم: يظهر أن جودت لا يميل إلى الرياضيات.

بعدئذ تشعبت الأحاديث، ووجه جلالته إليّ بعض نصائح لا أنساها.

وعندما انتهت الزيارة شكرت جلالة الملك على حفاوته .

في اليوم التالي ودعت أخي، وغادرت بغداد على متن سيارة يقودها فرنسي، وفي عرض الصحراء شاهدنا رجلاً وامرأة واقفين أمام سيارة (رولزرويس) يلوحان لنا بأيديهما فتوقفنا، سألناهما عن حاجتهما فطلبا منا إيصالهما إلى دمشق لأن عطلاً طرأ على سيارتهما، وأخبرانا أنهما من الجنسية الإنكليزية، فاصطحبناهما معنا. وفي دمشق ودّعانا وتابعنا طريقنا.

وصلت إلى بعلبك وبقيت يوماً واحداً ودّعت فيه والدي وأخبرته بأنني سأمضي إلى فرنسا للدراسة، فدعا لي بالتوفيق والنجاح.

وفي بيروت اشتريت بطاقة سفر على متن الباخرة «بلغرانو» وما كنت بحاجة إليه.

ولما صعدت إلى الباخرة أحسست أنني أفارق أعزاء على قلبي: أهلي، رفاقي في الجامعة وبحر بيروت، وراحت الذكريات تتوالى حبيبة إلى نفسي.

وبعد سنين وسنين عديدة رجعت بالذاكرة وقلت:

Out of harbour at dawn sailing away
Looking back, Beirut a glint in my eyes
Gleaming at the heart of the world to stay
A star shell of glory that never dies.

"Echoes" P. 47

الترجمة:

مبحراً بعيداً خارج المرفأ مع انبلاج الفجر
نظرت خلفي فإذا بيروت في عيني ومضة
تتوهَّج في قلب الدنيا لتبقى
نجمة البحر مجداً لا يموت

ومضت الباخرة في عرض البحر تسير سيراً هيناً تطمئن له نفس المسافرين، لا سيما أولئك الذين لم يركبوا البحر من قبل أمثالي، لكن: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.. فما أن اقتربنا من جزيرة كريت حتى هبت عاصفة هوجاء، وأخذت المياه العاتية تضرب جوانب السفينة، وترتفع من فوقها.

أحس الركاب أن الأمر في غاية الخطر.. لقد راحت السفينة تميل تارة على جانبها الأيمن، وأخرى على الجانب الأيسر..

وبدأ كل من عليها يعيش الانتقال من جانب الرجاء بالخلاص إلى جانب الخوف الشديد من الغرق..

بقينا في البحر على هذه الحالة من القلق والخوف ثلاثة أيام متواصلة لا تهدأ العاصفة ولا يهدأ للناس بال...

مضت الأيام الثلاثة تاركة في نفوس الركاب الرعب القاتل، وانتظار ساعة الموت غرقاً..

وشاء الله أن تهدأ العاصفة بشكل مفاجيء كما بدأت وعاد البحر كما يقال كالزيت واطمأنت النفوس وهدأت بعد معاناة عنيفة، وكانت المسافة التي قطعناها في هذه الأيام المرعبة اثني عشر كيلومتراً فقط.

لم تمر خمس دقائق على سكون العاصفة حتى نسي المسافرون خوفهم وبدأوا بالرقص والغناء، غافلين عما مرّ من صعاب في مواجهة العاصفة غير أن الفرحة لم تكتمل، فقد أخبرنا الربّان أنه مضطرّ إلى الاتجاه نحو الجزائر بدلاً من المضيّ إلى مرسيليا، وذلك لعطل بسيط طاريء في الباخرة..

وساور المسافرين الخوف من جديد، فأصيب بعضهم بالهلع، وتماسك الآخرون. أما أنا فكل ما كان يدور في خلدي أن هذا الذي يحدث يؤخِر وصولي إلى مبتغاي..

وصلنا إلى الجزائر دون أية مفاجأة، ونزلنا في فندق من فنادق المدينة بانتظار إصلاح الباخرة، ومضت ثلاثة أيام كنت أعدّها بالثواني..

في أحد هذه الأيام وبينما كنت أمشي في الممرّ الداخلي للفندق مرّ من أمامي رجل، نظرت إليه بإمعان فعرفت أنه ذلك الإنكليزي الذي نقلناه وزوجته من الصحراء إلى دمشق بدافع إنساني وخلصناهما من براثن الخوف والرعب.

حييته بالإنكليزية «Hello» نظر إليّ وعلامات الاستغراب والدهشة مرتسمة على وجهه.

ظننت أنه لم يعرفني، فقلت:

ألم تعرفني.. أتذكر يوم تعطّلت سيارتك في الصحراء وأخذت أنت وزوجتك تلوّحان لنا فنقلناكما معنا إلى دمشق؟.

حدّق بي مليّاً، ثم قال: نعم نعم تذكرت، كيف حالك.

قلت: أنا جيد..

وتركني ومضى..

وأخذت أفكر في اختلاف الطباع والعادات والأعراف بين الشعوب.

كان هذا اللقاء أول درس لي في رحلة الغربة..

ما أن وصلت إلى ليون حتى اتصلت ببدري طليع الذي يدرس الحقوق، فدعاني لتمضية سهرة معاً في الكازينو.

أمضينا ليلتنا نسمر ونمرح ونتحدَّث عن فرنسا ومدينة ليون والدراسة وأمور المستقبل والاختصاصات.. وكأننا جئنا إلى الكازينو لرسم خطوط المستقبل.

في اليوم التالي استأجرت غرفة عند امرأة فرنسية تدعى مدام توكسيمي واشتركت في مطعم بشارع فيكتور هيغو عند مدام بلار.

انتسبت إلى الليسية دو بارك وبدأت الدراسة وكأني كنت أسابق الزمن لأتمم تحصيلي.

كانت غرفتي تقع في الطابق العاشر، كنت كلما أردت الصعود إليها أحسّ بالعبء الثقيل رغم أني كنت قويّ الجسم نشيطاً، ولكنّ مائة واثنتين وأربعين درجة صعوداً كل يوم وما تماثلها في الهبوط.. إن لم تؤثر على صحة الإنسان لشبابه وقوته ونشاطه، فإنها مملَّة ومزعجة.

الطقس في ليون غريب، فهو في الصيف شديد الحرارة وفي الشتاء بارد قارس.

لقد علمتني التجارب أن أتخلص من هذا الجو الرديء صيفاً وشتاء، كنت ما أن أنهي صفوفي حتى أمضي إلى مكتبة في المدينة فيها تدفئة مركزية بشكل دائم، وفيها عدد كبير من الكتب العربية أكثرها مخطوطات أندلسية..

وباختصار:

كنت أحس بعدم الراحة في ليون، وأن علي إعادة المحاولة للمضيّ إلى أميركا لإتمام دراستي. واظبت على دروسي وكأني سأبقى في فرنسا حتى أعود إلى بلدي، وأجهزَ النفس للذهاب إلى أميركا وكأنني راحل إليها صباح الغد.

في صيف عام ١٩٢٤ دخلت إلى سينما بالاس لأشاهد فيلماً. وكان أمامي رجل وامرأته، وبينما هما يهمان بالجلوس فتحت السيدة محفظتها لتتناول منها منديلاً تمسح به العرق عن وجهها فوقع المنديل على الأرض فالتقطته بسرعة وناولتها إياه، قالت باللغة الإنجليزية «Thank you» أي شكراً.

سألتها: هل أنت إنكليزية أو أميركية؟.

أجابت: أعرِّفك بزوجي، إنه قنصل الولايات المتحدة الأميركية في مدينة ليون.

ودار كلام بيني وبين القنصل، ودار في خلدي أثناء الحديث خواطر، وتواردت رغبات وأحلام أتمنى كل لحظة لو تتحقق.. السفر إلى أميركا وإكمال الدراسة هناك. تحدثنا عن البلد وجوه القاسي في الصيف وفي الشتاء.

وبعد اتفاقنا في الرأي، أحسست أن بإمكاني طلب تأشيرة دخول إلى أميركا من القنصل الذي جمعتني به الصدفة، فسألته ذلك فأجاب:

يمكنك الذهاب إلى القنصلية يوم الاثنين صباحاً..

وما أن جاء يوم الاثنين حتى مضيت مبكراً إلى القنصلية.

قابلت القنصل وحييته وطلبت منه تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، فطلب تقريراً طبياً يثبت سلامتي من الأمراض، والأوراق الثبوتية اللازمة، وستكون التأشيرة جاهزة بعد ثلاثين يوماً.

مضيت إلى القنصلية الأميركية مصطحباً الأوراق المطلوبة بما فيها التقرير الطبيّ. حييت القنصل وقدمت له الأوراق، فقال:

عد بعد ثلاثين يوماً وستكون تأشيرتك جاهزة.

ها قد بدأت الآمال الكبار تتحقق.

شهر كامل يفصلني عن الحصول على التأشيرة، وهي فرصة تسنح لي بسياحة أطلع فيها على بعض معالم فرنسا.

حزمت أمتعتي، ويممت شطر غرونوبل حيث قضيت شهراً كاملاً ليس لي عمل إلا الاطلاع على معالم البلد وجوارها.

بعد شهر عدت إلى ليون، وحصلت على التأشيرة من القنصلية الأميركية، وعندها شعرت أنه لا بد لي قبل ترك فرنسا من زيارة باريس، والاطلاع على معالمها وآثارها.. وفعلاً زرتها وتمتعت بأيام حلوة فيها، فقد زرت متحف اللوفر ودار الأوبرا وقصر فرساي والأنفليد، وكنت أقتنص الوقت الضيق لئلا يبقى في باريس مَعْلَم أثريّ أو ثقافيّ إلا وأزوره وأتعرّف إلى الحضارة الفرنسية في إحدى عواصم الدنيا العريقة.

أثناء وجودي في باريس وبعد أيام ابتعت تذكرة سفر إلى أميركا على متن الباخرة «واشنطن»، وحمولتها ستة وثلاثون ألف طن. وكانت هذه الباخرة قد أتت إلى بيروت يوم كنت في الجامعة الأميركية، وعلى متنها ثلاثمائة سائحة، ونظراً لضخامتها وقفت بعيداً عن المرفأ.

استقليت القطار إلى شاربورغ. وجدت باخرة على أهبة الإقلاع إلى الولايات المتحدة اسمها «لافياثان» وعلمت آنئذ أنها أكبر باخرة في العالم، وهي ملك للولايات المتحدة الأميركية، حصلت عليها من ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى. وحمولتها ثلاثة وستون ألف طن.

فكرت في الأمر، وقلت لنفسي: إنها فرصة أتيحت لي هذه المرة، وقد لا تسنح مرة أخرى، فقررت السفر على متنها.

ب- مرحلة التحصيل العلمي في الولايات المتحدة الأميركية

بعد خمسة أيام ونصف وصلت إلى جزيرة «أليس» التابعة لولاية نيويورك، حيث أجري لي فحص طبيّ دقيق، وسمح لي بالدخول إلى البلاد.

ذهبت إلى محطة القطار لأشتري بطاقة سفر إلى تكساس حيث الجامعة التي قبلت فيها.

طلبت من بائع البطاقات بطاقة للقطار فأجاب: ثمنها سبعة وستون دولاراً.

ولّما لم يكن لديّ من النقود إلا خمسة وسبعون دولاراً طلبت منه إعطائي بطاقة الدرجة الرابعة، فأجابني: لا يوجد.

قلت ثالثة، ثانية.

وهنا قال: ألا تفهم.. إن هذه البلاد ديمقراطية.. كل الناس درجة واحدة.. إما أن تدفع سبعة وستين دولاراً، وإما أن تمضي إلى حيث شئت..

ابتعدت قليلاً، حيث أدركت أن المساواة في الخدمات أحد أسس الديمقراطية.

مضى بنا القطار إلى شيكاغو، ومنها إلى كانسس.. حيث صعدت إلى القطار فتاة.. حييتها وقلت: هل أنت من كانسس؟

قالت: ماذا؟

لم تفهم السؤال، وذلك لأن لهجتي الإنكليزية لم تكن مألوفة في تلك البلاد.

سمع سؤالي رجل متوسط السن فأدرك الأمر، وقال للفتاة: إن الشاب يسأل إذا كنت من كانسس.

عندئذ أجابتني: نعم أنا من كانسس وذاهبة لزيارة أقاربي في سان لويس.

سألني الرجل: وأنت إلى أين تقصد.

أجبت: إلى AM & C في تكساس لأدرس الزراعة. وعندما سألته عن اسمه، أجاب أنه الشاعر روبرت فروست، وأنه ذاهب إلى سان لويس.

لم آبه لما قال، لأنني لم أكن قد سمعت باسم روبرت فروست، ولا عرفت مكانته في الشعر. وانتهى الكلام بيني وبينه عند هذه الكلمات القليلة العابرة.

وبعد مراجعاتي ومطالعاتي الكثيرة، عرفت مكانة هذا الشاعر في الأدب الأميركي وعند عودتي إلى الوطن بعدة سنين نظمت هذه الابيات بمناسبة مرور مئة سنة على ولادة هذا الشاعر حين كانت الولايات المتحدة تقيم الاحتفالات لهذه المناسبة:

Robert Frost

Frost, I freeze with the mention of your name,
Yet with the sunshine glittering from your ink;
I warm up and revert to my selfsame
To write of you in verse truly what I think.

Oft I roam in the farm you left behind
And on the old rocks you were sitting I stand,
Looking the universe you had in mind,
Where I see the world but a speck at the strand.

At eve came the tramps asking where to find,
The man who disagreed to give them a hand;
And I looked at them and said, there behind
That rugged wall, there's a mound of earth and sand

I gazed at the moon slanting far away
With the shuttling beams, warping threads of the gleam,
Weaving the years he lived a tongue, to say,
Here lies Robert Frost, the everlasting dream.

Frost the poet and the bard, I declare,
That he built forever the greatest empire,
The crown was offered to him and the chair,
Which will never be destroyed by time or fire.

Then the strangers left walking in the gleam,
And the gleam was dimming behind and before;
They faded away with their hopes and dream,
And back to the mountain land, they came no more.

مضت ثلاثة أيام بلياليها في رحلتنا هذه فوصلت إلى الجامعة AM & C نزلت من القطار في المحطة التي تقع داخل أراضي الجامعة لأستقل سيارة إلى جمعية الشبان المسيحيين YMCA وقابلت الرئيس المستر Mackey. وبعد حديث قصير قال: ثيابك متسخة جداً.. ألا تملك غيرها؟ فأخبرته أنني أضعت حقيبتي أثناء سفري وفيها كل ثيابي.

قال: إذاً اصعد إلى غرفتك في الطابق الثاني واخلع ثيابك، وبعد ساعتين تعاد إليك نظيفة. وهكذا كان، وكانت هذه إحدى المفاجآت لي.

باكراً أسرعت إلى السيد ماكي لأسأله عن مستر فرايلي، وأين يسكن؟ وبإيجابية أرشدني إلى بيته الذي لا يبعد عن الجامعة أكثر من ثلاثمائة متر، وأعطاني رقم هاتفه، قائلاً: يمكنك الاتصال به إذا أردت.

اتصلت بالسيد فرايلي قائلاً:

سيدي أنا جودت حيدر الذي كاتبك من لبنان طالباً قبولي في الجامعة، وقد أجبتموني بالإيجاب. وها أنا قد وصلت، فأرجو التكرم بتحديد موعد للقائك.

أجاب: الساعة الثامنة ستجدني في مكتبي وسنعرض معاً كل الأمور التي تريد الاستفسار عنها.

لم يمض وقت طويل حتى أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة فأسرعت إلى مكتب السيد فرايلي فاستقبلني استقبالاً حارّاً وأحسست في كلماته الروح العلمية العالية المنفتحة لكل طالب علم.

لقد حدثني كصديق قديم، وطرح علي الأسئلة، وأخيراً سألني: أتريد قبل الدخول إلى الجامعة أن تنال قسطاً من الـراحة وترى معالم هذا البلد الجديد عليك، وتتعرف إلى أهله وأعرافهم وتقاليدهـم، أم تـريد الدخول إلى الجامعة فوراً؟

أجبت: بل أريد الدخول إلى الجامعة فوراً لأنني لا أملـك مالاً لرؤية معالم البلد الآن.

لقد جئت من فرنسا بما كان معي من نقود وهي قليلة مكنتني من الوصول إلى هنا، وسأكتب لأهلي ليتدبروا الأمر ويرسلوا لي حاجتي من المال.

وبلهجة المسؤول العلمي الرائعة قال: كم يلزمك؟ قلت: ثلاثمائة دولار.

أعطاني شيكاً بالمبلغ وقال: اذهب إلى «Fiscal Department» أي القسم المالي تحت مكتبي واصرف الشك.

صرفت الشك واشتريت بعض الثياب، ودفعت قسط الجامعة وكان ستة وعشرين دولاراً ونصف الدولار.

كـانت AM&C جـامعة حربية زراعية ميكـانيكية. وكـانت كل تلك الاختصاصات، مهمة بالنسبة إلي، وإن كنت أميل إلى الزراعة بشكل واضح نظراً لواقعنا في سهل البقاع، ولتفكيري المبكر والدائم منذ زمن بعيد أن أرض البقاع إذا أتيحت لها عقلية علمية متخصصة بالزراعة، وأيد عاملة نشيطة فإنها ستعطي الكثير الكثير.

كنت في الصف الأول Freshman واحداً من ألف ومئة تلميذ، وكنت جادّاً في دراستي ومن الأوائل في صفي.

جودت حيدر في تكساس سنة ١٩٢٥

في أثنــاء السـنـة الـدراسيـة وذلـك في عـام ١٩٢٥ أرسـلتـنـا الجـامعـة إلى «دالاس» حيث أقيم معرض للزراعة والمنتوجات الزراعية.. شاهدت المنتوجات، واطلعت على الطرق التي بواسطتها كان ذلك الإنتاج الضخم والنوعية الجيدة، ورحت أقارن الفـارق الكبير بين أسـاليبـنا البدائية في الزراعة وبين الأسـاليب المستعملة في أميركا، وزاد ذلك في قناعتي باختصاصي الذي عملت جاهداً حتى توصلت إليه، وأنا أتصور أرضنا في البقاع بإنتاجها الرفيع كأنها جنة الله على الأرض.

كتبت إلى أخي محمد رستم في العـراق أذكـر لـه إعـجـابي بـالإنتاج الزراعي في أميركا، وكم آمل أن تكون أرضنا في البقاع على هذا النحـو، وحدّدت له المبلغ الذي سأحتاج إليه عند رجوعي إلى لبنان، بعد تحصيـلي الشـهادة التي جئـت من أجلها. حسَّنْتُ له الفكرة، ونقلتها في رسالتي كما هي في رأسي. الزراعة الحديثة في بلدنا وأرضـنا.. وجـاء جواب أخي مختـصراً مفيداً. ليس لديّ مال وأعيش على ما أتقاضـاه من راتب، وعليك أن تكمل علومك كما تشاء.

كم يرسم المرء من خطط، ويعمل لها بجدّ ونشاط، وتتبعثر جهوده أحياناً حين تصطدم بالعقبات المالية.

فكرت مليّاً بعد أن تلقيت جواب أخي في اختصاص أستفيد منه وأفيد بلادي، واستقر رأيي على أن أدرس التربية والتعليم.

انتقلت من جامعة AM&C إلى جامعة North Texas State University في دنتون تكساس.

أحسست أني وجدت نفسي في اختصاصي الجديد، وأحببته من كل قلبي. في هذه الأثناء بدأت بكتابة الشعر باللغة الإنكليزية.

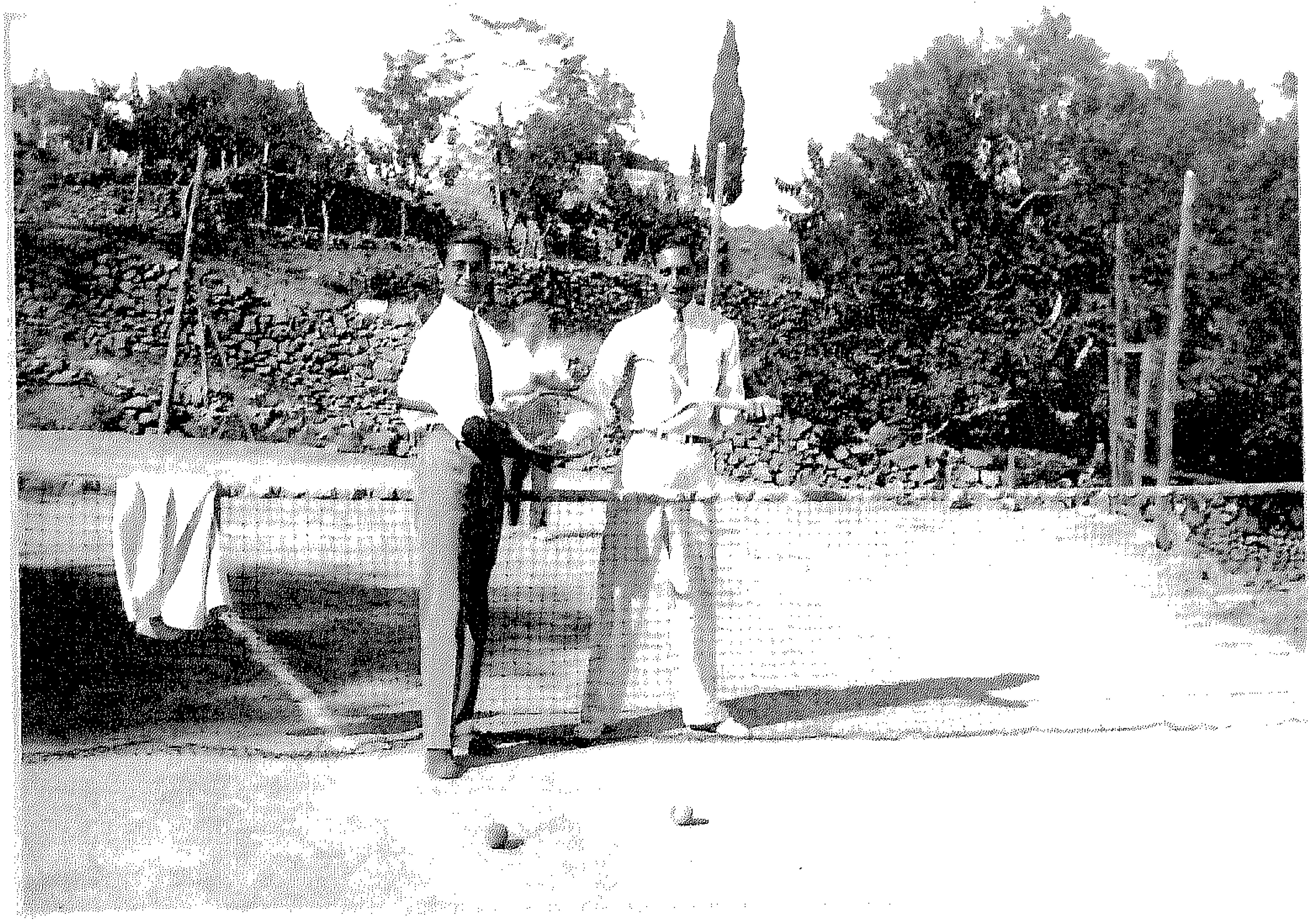

جودت حيدر يلعب كرة المضرب في جامعته سنة ١٩٢٦

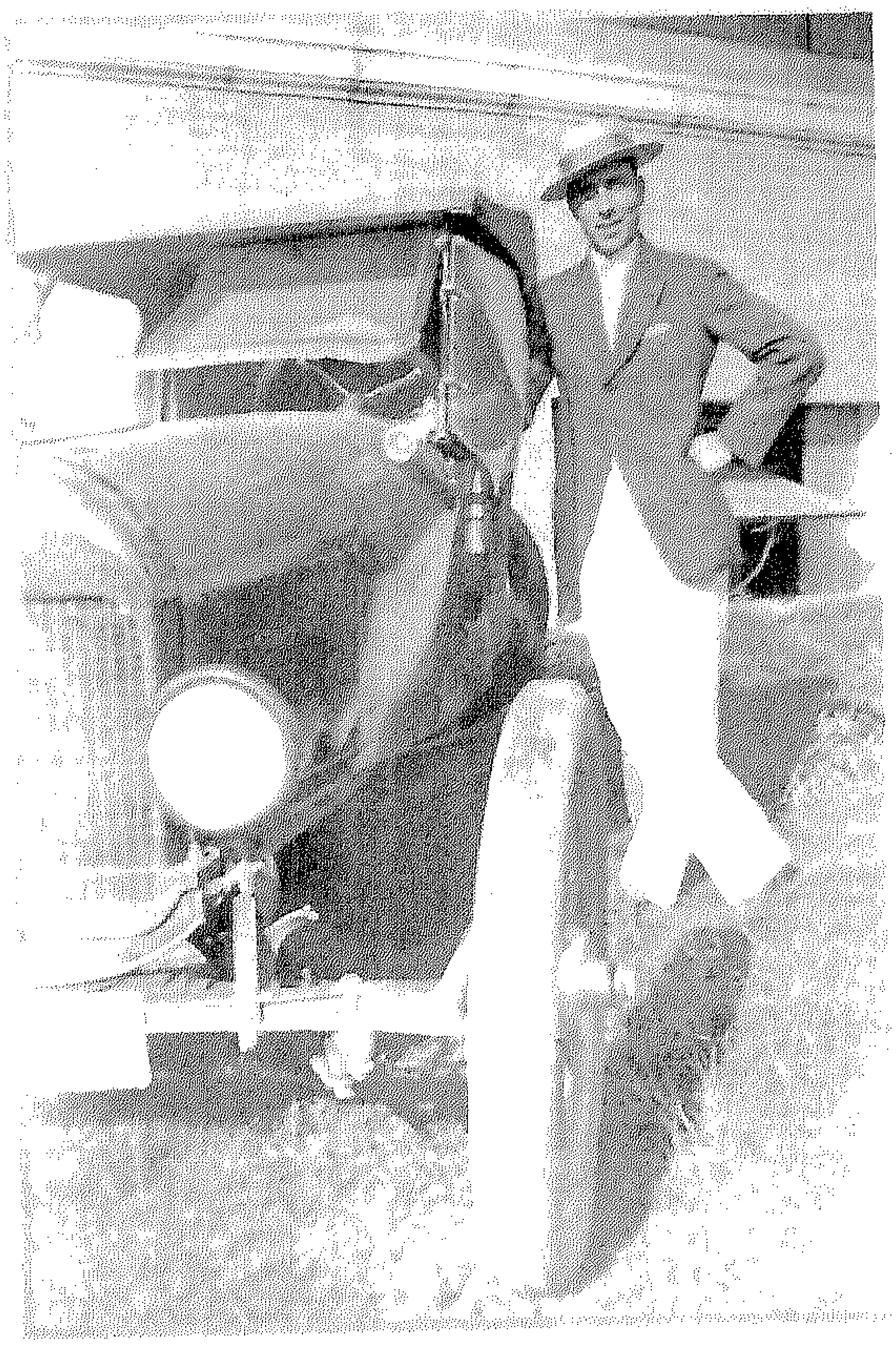

جودت حيدر في
الولايات المتحدة
أمام إحدى
سيارات ذلك
الوقت

في سنة ١٩٢٧–١٩٢٨ أنهيت دراستي في الجامعة حائزاً على شهادة .B.S في التربية والتعليم مع شهادة دبلوم تخولني التعليم في جميع المدارس الثانوية في الولايات المتحدة الأميركية وخارجها.

صورة التخرج سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨

قررت الرجوع إلى الوطن، وكان لا بد لي من الذهاب إلى نيو أورلينز بولاية لويزيانا لمقابلة القنصل الفرنسي والحصول على تأشيرة الدخول إلى لبنان الذي كان آنذاك تحت الانتداب الفرنسي.

قابلت القنصل وطلبت منه التأشيرة، فأجاب: لا يمكنني إعطاؤك تأشيرة دخول إلى لبنان، فأنت لست لبنانياً. أنت تركي، وجرى جدل طويل بيني وبينه قلت له أثناءه: أنا فلان وأبي فلان وأمي فلانة، وأنا من بعلبك. أنا لبناني من أب وأم لبنانيين، وبلدي لبنان، فأجاب: لا أستطيع تلبية طلبك. أنت تركي.. كنت خارج البلاد حين أبرمت معاهدة «لوزان» التي تنص على عدم الاعتراف بلبنانية اللبناني إذا كان خارج بلاده أثناءها.

قلت: وهل كوني أدرس خارج بلدي حين إبرام معاهدة لوزان يجعلني تركياً ويفقدني جنسيتي اللبنانية؟ فأجاب: لا أدري وكل ما أستطيع قوله لا يمكنني منحك التأشيرة، هذا هو القانون.

تركته والغضب يكاد يفيض، وعدت إلى الجامعة وبقيت فيها حتى حزيران ١٩٢٨ مصمماً على العودة إلى الوطن مهما كانت الصعاب، فوجهت كتاباً إلى المندوب السامي الفرنسي في سوريا السيد Ponsot مؤلفاً من ١٢ صفحة هاجمت فيه الانتداب وطرقه في معاملة الشعوب، كما وجهت كتاباً إلى عائلتي في لبنان أطلب منها تثبيت جنسيتي اللبنانية.

واستطاع أقاربي في لبنان وأخص بالذكر إبراهيم بك حيدر وصبحي بك حيدر ويوسف مخيبر بك حيدر الحصول على ما طلبته منهم، وأرسلوا إليَّ جواز سفر يسمح لي بالعودة إلى وطني.

مع ابراهيم بك حيدر «جبار البقاع»

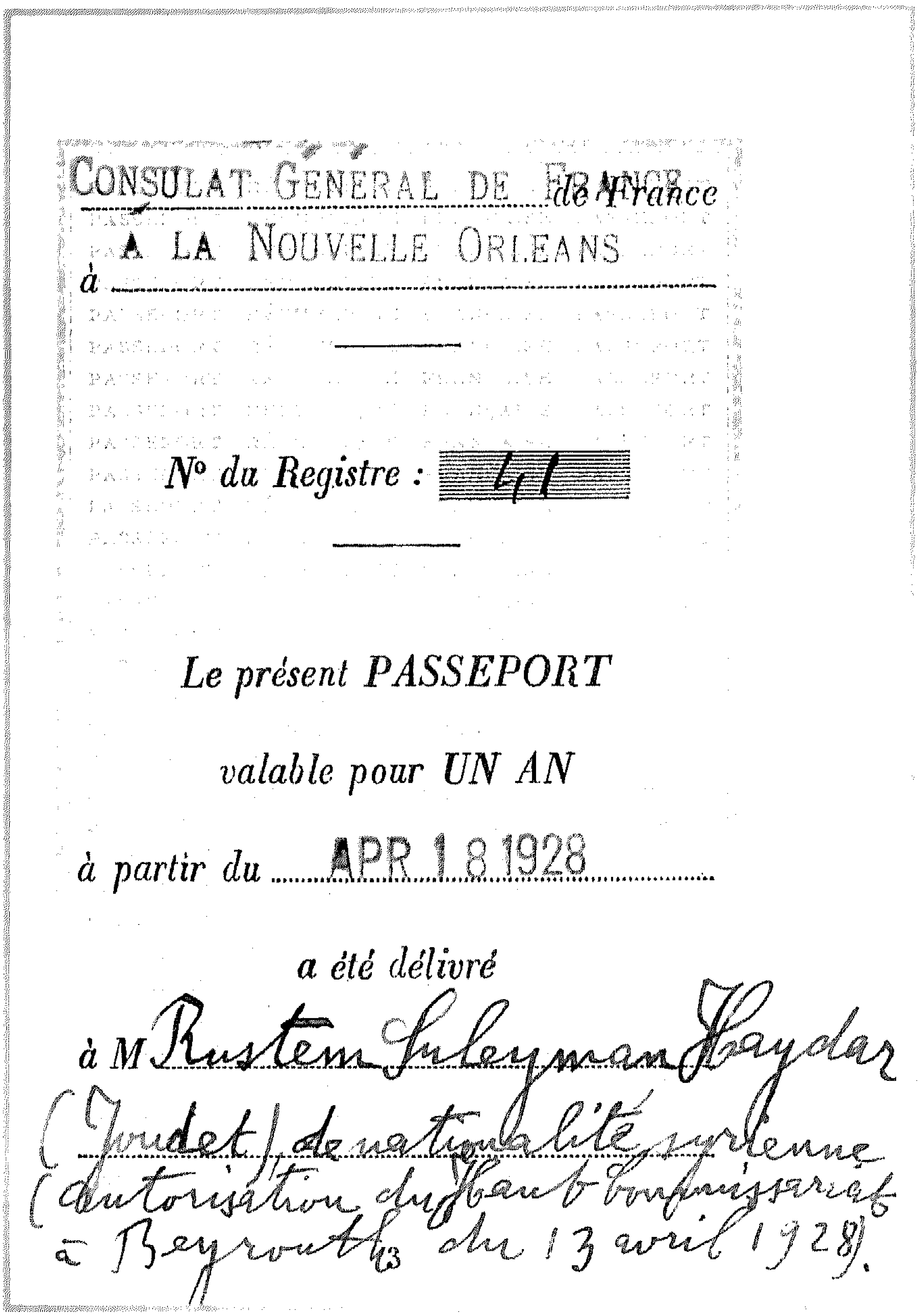

CONSULAT GENERAL DE FRANCE de France

A LA NOUVELLE ORLEANS

à

Nº du Registre : 41

Le présent PASSEPORT

valable pour UN AN

à partir du APR 18 1928

a été délivré

à M Rustem Suleyman Haydar (Joudet) de nationalité syrienne (autorisation du Haut Commissariat à Beyrouth du 13 avril 1928).

جواز السفر الذي أرسل إليه سنة ١٩٢٨ وبواسطته تمكن من العودة إلى الوطن

Signalement :

Âge : 22 ans

Taille : 5 pieds 10 1/2

Cheveux : noirs

Front : ovale

Sourcils : noirs

Yeux : gris

Nez : ordinaire

Bouche : moyenne

Barbe : —

Menton : pointu

Visage : allongé

Teint : foncé

Signes particuliers :

6

Consulat Général de France

Feuille réservée pour l'apposition de la photographie du porteur.

23

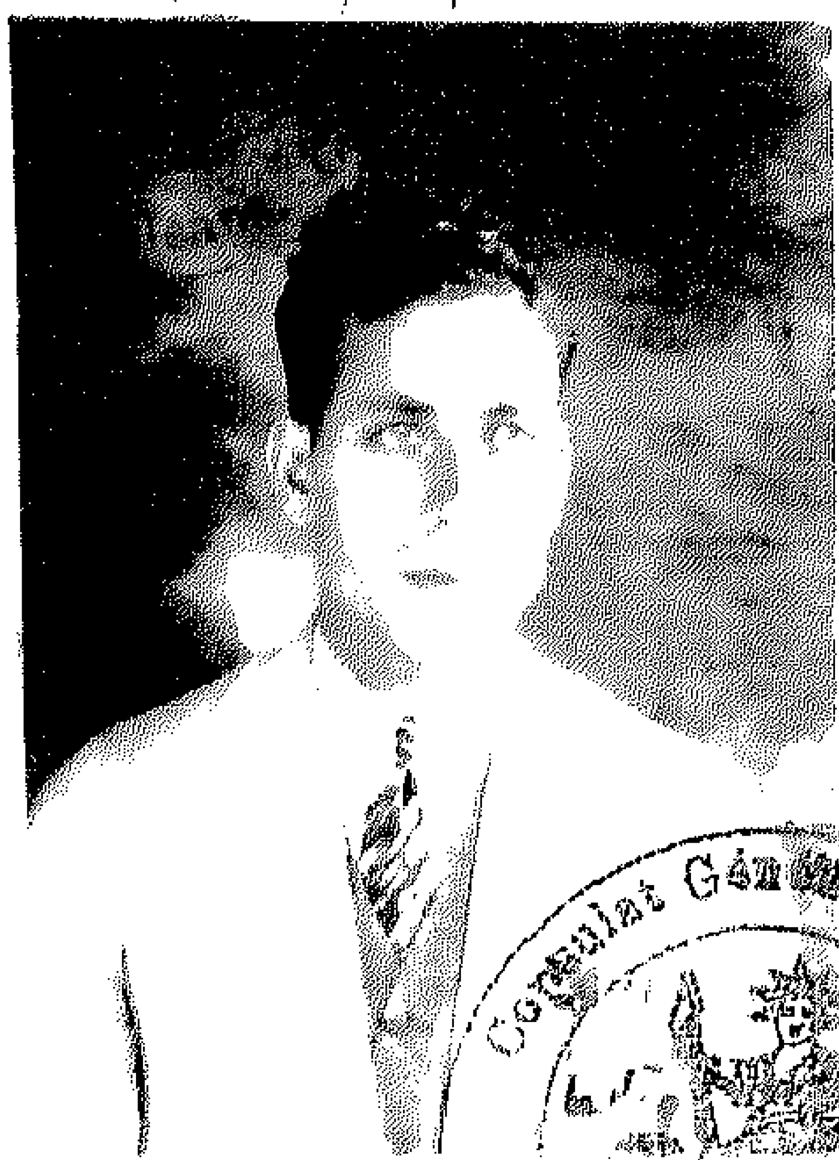

Consulat Général de France — Nouvelle-Orléans, La.

7

Profession : étudiant

né à Baalbek Liban, en avril 1905

domicilié à Denton, Texas, États Unis

immatriculé ou inscrit, sous le nº

à

le

qui, en compagnie de

se rend en France et en Syrie.

4

Signature du porteur

Fait à la Nouvelle Orléans

le dix huit avril

Mil neuf cent vingt huit

LE CONSUL GÉNÉRAL DE FRANCE ET P

LE CHANCELIER

D. Baudry

Consulat Général de France — Nouvelle Orléans, La.

NOUVELLE ORLÉANS

82

Quitt. nº APR. 18 1928

Art. 78

Tarif

Fr.

Perçu 103.60

5

صور جواز السفر من الداخل

كانت الرغبة في العودة إلى الوطن تشدني فحجزت على متن الباخرة «SS.ROMA» وهي باخرة دوّارة تمر على بلدان متعددة في طريقها. غادرت نيويورك، وكانت رحلة وأيّ رحلة.

ثلاثة وثلاثون يوماً على متن الباخرة.. مررنا بجزر الأزور أثناء عبورنا الأطلسي، وبجبل طارق، مراكش، الجزائر، الدردنيل، البحر الأسود، وقضينا ثلاثة أيام في كوستنجا رومانيا، وبعدها يممنا شطر بيروت.

كنت أحس وأنا في الطريق بسرور يغمرني من رأسي حتى أخمص قدميّ، وأفكار حلوة تداعبني وأشعر أن كل ذرة في الوطن أغلى من بقاع الأرض كلها.

صحيح أنني قلت لرئيس الجامعة إن وطني بحاجة إليّ.. ولكن نسيت أن أقول له: إنني بأمسّ الحاجة لتنسم رائحة بلادي، وأتنشق هواءها، لأرى أهلي.. أبناء وطني.. كل شيء في بلدي.. رماله.. أحجاره.. روابيه.. أشجاره، بعد غياب يقارب خمس سنوات.»

الفصل الثالث

في الوطن

في الوطن

أ- عمله في التعليم

يكمل جودت حيدر حديثه قائلاً:

في تموز سنة ١٩٢٨ وفور وصولي إلى لبنان طلبني معالي وزير التربية آنئذ، السيد جبران التويني، وحين قابلته قال لي:

إن السيد مشعلاني أعلى مفتش في الوزارة قد اختاره الله إلى جواره، وبما أنك تحمل شهادة الاختصاص في التربية والتعليم رأيت أن تستلم هذا المنصب راجياً أن تستفيد الوزارة من اختصاصك، ولا يراودني شك بأنك أهل لهذا العمل. الراتب الشهري مائة وسبع وعشرون ليرة لبنانية. أملي أن توافق، فوافقت، ووقّع المرسوم وأرسله إلى رئيس الوزارة للموافقة.

توجهت إلى بعلبك، وما أن وصلت حتى وصلني تلغراف من الجامعة الوطنية في عاليه يرغبون إليّ في أن أكون مديراً لهذه المؤسسة بعد أن علموا بأنني أحمل شهادة B.S في التربية والتعليم.

بعد ثمانية أيام عدت إلى بيروت وقابلت وزير التربية السيد جبران تويني لأسأله عن مرسوم تعييني، فأشار عليّ بأن أقابل رئيس الوزراء آنذاك أوغست باشا أديب قائلاً: إنه سيوقعه ويعطيك إياه.

ذهبت إلى رئاسة الوزراء وطلبت مقابلة رئيس الوزراء، وبعد أن دخلت عليه وحييته سألته عن المرسوم فأجاب:

آسف أن أقول لك إن «مسيو ريكلو» مندوب المفوضية الفرنسية العليا لدى الحكومة اللبنانية جاء إليّ وطلب مني المرسوم فأعطيته إياه، وهو بحوزته، فامضِ إليه لعلك تتفاهم معه.

استأذنت ودخلت على السيد ريكلو، فقابلني بوجه بشوش ورحب بي وطلب لي فنجاناً من القهوة.. وبدأ حديثه معي:

أنت أفضل شخص لهذا المركز لأنك تحمل شهادة اختصاص من الولايات المتحدة، وهي تؤهلك لهذا المنصب، غير أني آسف أن أقول لك بأن هذا المرسوم لن يرى النور.

وعندما سألته عن السبب أجاب بأن لديه معلومات بأنني ضد الانتداب الفرنسي!!

قلت: لقد درست في فرنسا في مدينة ليون، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأميركية، وكنت أثناء دراستي مثال الطالب الجادّ، لا ألتفت إلا إلى استقاء العلم والمعرفة ولم أتعاط السياسة لا من قريب ولا من بعيد. وبعد أن أنهيت دراستي عدت إلى بلدي ولي في الوطن ثمانية أيام فقط.

قال: لدينا استخباراتنا الخاصة، وقد نقلت إلينا معلومات أكيدة. لا تحاول، فما أقوله لك قطعيّ.. لن يرى المرسوم النور.

خرجت من غرفته أفكر في نفسي وفجأة مرّ في ذهني شريط أيام مضت، فتذكرت الكتاب الذي أرسلته من الولايات المتحدة إلى المندوب السامي ببيروت، والذي كان انتقاداً للانتداب الفرنسي.

مضيت توًّا إلى جامعة عاليه الوطنية وقابلت رئيسها الأستاذ الياس شبل الخوري، وتعاقدت معه على أن أكون مديراً للجامعة وكان أول منصب أشغله في لبنان.

لم تمض أيام على عملي حتى وصلتني رسالة من رئيس جامعة North Texas State University في دنتون الدكتور ماركس، أسهب فيها، وذكر أنه قرأ لي شعراً

كتبته بالإنكليزية بعد عودتي إلى الوطن أحنّ فيه إلى تكساس، وأذكر الأيام التي قضيتها في تلك البلاد أستقي العلم والمعرفة، مكرراً لي دعوته بالعودة إلى أميركا، ومتمنياً لي السعادة.

كنت قد أرسلت الشعر Dear Old Texas إلى تكساس في الولايات المتحدة ونشر في جريدة دالاس نيوز ثم في جريدة الجامعة The Eagles.

Dear Old Texas

There's no land but dear old Texas for me
'Tis paradise 'tis the home of the free
That's why I long to cross the ocean bar
To dwell in my country to hail its star.

I am visiting the old world somehow.
Wandering in the East and in Europe now
But oh! how I miss Texas and the plow
The hat, the pistol, the horse and the cow.

The skies of Switzerland are clear and blue
The old German castles are pretty too,
France is charmful and England not less
But there's no place like dear old Texas.

For ten by ten days I moved here and there
But now my soul roves in the Western air
Farewell, long farewell to Europe, my Jo,
Like spring I came and like winter I go.

Home again, home again to Dixieland
The ship will sail and marrily I'll land.
On the shore, and straight I go to the plow,
The hat, the pistol, the horse and the cow

I love thee old Texas, I love thy land
I love thy plains, rivers, rocks, hills and sand
I love thy flag, heaven, nature and sea
God keep you, God safe guard your liberty.

بقيت في جامعة عاليه سنتين دراسيتين بذلت فيهما جهدي كله في سبيل تحديث المدرسة والبرامج، حتى أضحت خلال هذه المدة البسيطة نسبياً من ألمع المدارس في لبنان وأفضلها، وأصبح طلاب جامعة عاليه يقبلون في الجامعة الأميركية دون أن يخضعوا للامتحان، ولا أنسى الأساتذة الذين تعاونوا معي إلى أقصى حدود التعاون وأخص منهم بالذكر الأديب الكبير أبا محمد مارون عبود الذي كان يدرس اللغة العربية.

في هذه الأثناء زارني في جامعة عاليه صديقي القديم عبدالله الحاج الذي ربطتني به الصداقة منذ أيام الجامعة الأميركية، وقويت أواصر هذه الصداقة عندما كان في البلاط الملكي العراقي يوم كان أخي وزيراً ورئيساً للديوان الملكي، والذي انتخب نائباً عن بيروت سنة ١٩٥٨. وبعد حديث أخويّ قال لي: إن سعدون باشا رئيس الوزارة العراقية يريد أن يراك، وينتظرك على جناح السرعة، فإذا كان بإمكانك الذهاب الآن أكون شاكراً ومسروراً بمرافقتك، وهو الآن في برمّانا.

ذهبنا معاً، وقابلت رئيس الوزراء العراقي، وبعد فترة قصيرة قال: أنت متخصص في التربية والتعليم من أميركا؟

قلت: نعم.

قال: أودّ أن تقوم بتصميم هيكلية للمدارس الثانوية في العراق، فنحن بحاجة إلى تطوير هيكلية مدارسنا وبرامجنا لنواكب الحضارة، ولا يمكن لأية أمة أن تصل إلا عن طريق العلم والمعرفة.

قلت: اختصاصي يا باشا هو التعليم، والهيكلية اختصاص مختلف تماماً، أنتم تحتاجون إلى متخصص في تاريخ التربية والتعليم، وهو الذي يدرس أحوال البلاد

والدروس التي يجب أن يتلقاها الطلاب، والمناهج المقررة ويقدِّر النقص والتقصير، ومن ثم يحاول وضع مناهج جديدة يمكن للطلاب استيعابها، وبالتدريج تنتقل الأجيال الجديدة إلى مراحل متقدمة، وهكذا حتى تصل إلى الدرجة المساوية لدرجة أبناء الدول المتقدمة علمياً.

ولا أنكركم أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل ورجل قويّ نشيط.

أما أنا فآسف، وكم كنت أتمنى لو كان الطلب من اختصاصي، إذن للبَّيت الطلب بكل امتنان وشكر.

عندئذ طلب مني تسمية أحد المختصين في هذا المجال، فأشرت إلى الدكتور كابرلي، وقد علمت لاحقاً أن الدكتور كابرلي لبى طلب الحكومة العراقية، وبقي في العراق ستة أشهر وصل فيها إلى جعل المدارس الثانوية العراقية نموذجاً رائعاً.

في إبّان ازدهار الجامعة الوطنية في عاليه، ووصولها إلى الذروة علمياً وإداريًّا وتجاوب الأساتذة والطلاب زارني فضيلة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وطلب مني أن أكون مديراً لكلية النجاح في نابلس. وبعد محادثات طويلة اتفقت مع فضيلته، فذهبت إلى نابلس قبل بدء العام الدراسي، واستلمت عملي الجديد، ووضعت الخطط اللازمة لإنجاح الكلية وبعدها افتتحت المؤسسة أبوابها بهدوء ونظام.

وما مضت أيام على بدء الدراسة حتى جاء مدير البوليس، الإنكليزي الجنسية، طالباً من الحاجب إخباري أنه يريد مقابلتي أمام باب الكلية.

دخل الحاجب يرتجف وأخبرني بأمر مدير البوليس..

قلت: ليحضر ويقابلني هنا في الإدارة.

وبعد دقائق دخل السيد Fitzgerald إلى مكتبي غاضباً يحمل في يده كرباجاً. وما أن دخل حتى كلمته باللغة الإنكليزية واللهجة الأميركية: ما الذي أستطيع أن أقدمه لك؟

مديراً لكلية النجاح في نابلس-فلسطين

قال: أنت أميركي أو عربي؟

قلت: هذا لا يهمّ.. المهم ماذا تريد؟

قال: أريد أن أقفل المدرسة.

ولما سألته عن السبب أجاب:

إن الطلاب يخرجون من المدرسة إلى السوق فيدوسون الخضار ويخربون ويسيئون إلى الباعة والناس، ويهتفون ضد الاستعمار.

قلت: لقد استلمت إدارة الجامعة يوم أمس، وأقول لك: إذا خرج الطلاب وداسوا الخضار وأساؤوا إلى الناس، وعمت الفوضى، عندها يمكن مراجعة الدوائر المختصة للتحقيق في الأمر. أما إذا لم يحدث شيء مما تذكره، فإنه لا يمكن لأحد أن يقفل هذه المدرسة.

بعد خمسة عشر يوماً عاد مدير البوليس إلى المدرسة، واستأذن عليّ في غرفتي، على غير ما كان في المرة الماضية.. هذه المرة كان مهذباً، ولا يحمل كرباجاً. وبدأ الحديث قائلاً:

إنني عاتب عليك.

قلت: ولماذا؟

أجاب: كنت آمل زيارتك، غير أني جئت أطلب منك زيارة الحاكم السيد Baily، وإذا شئت ذهبنا معاً.

قلت: لا مانع لديّ.. على أن يكون ذلك بعد خمسة عشر يوماً.

حضر مدير البوليس في الموعد المحدد، وذهبنا إلى السيد Baily وبعد تحية وكلام في أمور عامة قال لي السيد Baily:

نودّ تعيينك في الحكومة الفلسطينية، ونتمنى أن توافق.

وعرض عليّ وظيفة قائمقام براتب أكبر من راتبي في الكلية غير أني رفضت الطلب.

حاولت منذ استلامي الكلية مسابقة الزمن، والقضاء على الضعف والفتور الذي كان يسيطر عليها.

أحسَّ المعلمون بأن من واجبهم التجاوب مع الإدارة الجديدة، فقام بعضهم مشكوراً بكل ما لديه من طاقات، وقصر بعضهم في أداء واجبهم.

لم يمض على وجودي في الكلية إلا بضعة أشهر حتى علا اسمها في أرجاء فلسطين والبلاد العربية.

والأمر الذي كان يقضّ مضجعي هو تلكوء أولئك المعلمين الذين لم يستطيعوا السير معي، إما تهاوناً وكسلاً وضعف همة، وإما عن جهلٍ وضحالة علم. وهذا ما أوجب عليّ القيام بواجبي كاملاً.

صرفت معلمين ثبت لي عدم قدراتهم، وأبقيت المعلمين ذوي الاختصاص والنزاهة والنشاط، وتعاقدت مع أساتذة من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت ومنهم الشاعر الكبير إبراهيم طوقان والأستاذ قدري طوقان، والأستاذ نعيم الخوري وغيرهم، وبهذه الخطوة وبتعاون هؤلاء الأساتذة أضحت كلية النجاح نموذجية سواء من حيث النظام، أو من حيث التعليم الأكاديمي النموذجي، فازداد عدد الطلاب، وكثرت الأموال في صندوق الكلية، و لم تعد بحاجة إلى الهبة السنوية التي كان يقدمها فضيلة مفتي فلسطين من الأوقاف الإسلامية.

وقد اتخذت خطوات مهمة لمصلحة الطلاب منها:

تأسيس مكتبة كبيرة للكلية تحتوي على الكتب والدوريّات التي تدفع الطلاب إلى المطالعة. جهزت غرف الدراسة بأحدث ما يجب أن تكون عليه. ابتدأت أدرب الطلاّب تدريباً عسكرياً، وأزرع في نفوسهم حب الجندية والوطن. طوّرت الألعاب الرياضية ونظمتها، مؤمناً بأن العقل السليم في الجسم السليم.

في سنة ١٩٢٩ زار فلسطين الكابتن كانينغ Cunning الإنكليزي الجنسية، فطلبت مني دار الإفتاء أن أكتب كلمة ترحيب وتقدير بالضيف الكبير. والحق يقال: إنني في ذلك الوقت كنت شديد الحماس لأن أرحب بالكابتن كانينغ الذي قدّم الكثير لثورة من أكبر الثورات العربية ضد الاستعمار والاستبداد، وهي ثورة البطل عبد الكريم الخطابي* الذي انتصر مراراً على الإسبان وكاد ينتصر على الفرنسيين.

* ثورة البطل المغربي عبد الكريم الخطابي ثورة من أكبر ثورات العروبة والعرب ضد المستعمرين الذين أرادوا السيطرة على البلاد واستغلال خيراتها.. جمع عبد الكريم حوله رجالاً أشاوس بلغوا حوال (٣٠.٠٠٠) ثائر تغلي الثورة وحبّ الوطن في دم كل واحد منهم.. وبدأ يقاتل محتلّي بلاده وهم الإسبان والفرنسيون. ونظراً لإيمان رجاله بحقهم وتفانيهم في دفاعهم عن بلادهم فإن ثورة الخطابيّ انتصرت في معارك كثيرة على الإسبان و الفرنسيين، مما جعل فرنسا ترسل المارشال بيتان أحد القادة العسكريين الفرنسيين آنئذ ومعه نصف مليون عسكري لقتال عبد الكريم والقضاء على ثورته . ورغم هذا العدد الضخم وتأهيله العالي والعدة العسكرية المتفوقة، فإن عبد الكريم بقي أكثر من عامين يقاتل ورجاله بعنف وشهامة وشرف حتى كاد يكسر فرنسا. لكن التفوَق العسكري، كان واضحاً لصالح الفرنسيين. فاستطاع المارشال بيتان القبض على البطل المغربيّ وحكم عليه بالنفي إلى جزيرة سيشل حيث بقي في المنفى حتى لقي وجه ربه. رحم الله عبد الكريم الخطابي وأمثاله من الشهداء الأبرار، ووفق الله من يزال حيًّا يقاتل من أجل وطنه وأمته.

لقد كانت ثورة الخطابي في أوج اشتعالها وتأججها يوم كنت أدرس في جامعة ليون بفرنسا، وقد كتبت الصحف والمجلات عن تلك الثورة الكثير، فتأجج حماسي آنذاك، وقررت الذهاب إلى المغرب للانخراط في صفوف الثوار، ولكن صديقي بدري طليع حاول ثنيي عن عزمي، وأقنعني بأني سأكون في بلد لا أعرف عنه شيئاً، وما سأقدمه للثورة والعروبة قليل جدّاً، كما أقنعني بأن العلم والدراسة نضال، وأمتنا تحتاج إلى مثقفين كما تحتاج إلى ثوار.

ورغم أني اقتنعت بمتابعة الدراسة، واعتبرتها نضالاً شريفاً إلا أني كنت أحمل للثائر البطل عبدالكريم الخطابي والثوار الثلاثين ألفاً الذين كانوا معه الاحترام والتقدير.

والكابتن كانينغ كان من الذين وضعوا أنفسهم في خدمة تلك الثورة، وقدموا لها الكثير.. لم يكن يحارب على جبهة واحدة مع عبد الكريم، بل كان يقوم بأعمال كثيرة منها مدّ الخطوط الهاتفية العسكرية التي تحتاجها الثورة وسيلة للاتصال بين القائد والثوار من ناحية وبين الثوار أنفسهم من ناحية ثانية، ومنها تهريب السلاح وإيصاله إلى الثوار، وهو عمل جبار يستحق صاحبه الاحترام والتقدير.

كتبت مداخلتي ووشحته بأبيات من شعري باللغة الإنكليزية وكان الاجتماع في فندق من فنادق نابلس، وأمّ المكان حشد كبير من الناس من أصحاب الفكر والقلم، وعلى رأس المجتمعين الحاج نمر النابلسي وأمين التميمي وعزت دروزة وجمهور كبير من أهل نابلس، والمدن المجاورة من القدس وحيفا ويافا وطول كرم بينهم رئيس بلدية القدس.

ألقيت كلمتي بالإنكليزية وترجمها إلى العربية القس قبعين الذي كان يتقن اللغتين العربية والإنكليزية إتقاناً رائعاً. وما أزال أذكر بيتين من الشعر الذي أوردته في الكلمة:

Be Brave and never fear fate
For death comes always soon or late.

أي:

كن شجاعاً لا تخشى القدر،

فإنما الموت سيأتي عاجلاً أو آجلاً

* * *

في عام ١٩٣٠ إضافة إلى كوني مديراً لكلية النجاح عينت عضواً في مجلس التعليم العالي الفلسطيني، وعُرض عليّ أن أكون معاوناً لمدير التربية والتعليم العام فأبيت متذرعاً بأسباب عديدة منها أني أريد العودة إلى لبنان.

في هذه الأثناء قرأت مقالاً للسيد Hussey في مجلة Near East and India يدعي فيه أن أصل فلسطين يهودي وأن لليهود، في شتى أقطار الأرض، حق العودة إلى فلسطين. قرأت المقال وكتبت جواباً اتّسم بروح علمية في المجلة نفسها وباللغة الإنكليزية أدحض فيه ما جاء في مقال السيد Hussey وأوردت جريدة فلسطين المقالة باللغة العربية بعد ترجمتها تحت عنوان «سكان فلسطين».*

علمت يوماً أن جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق سيزور عمّان وبرفقته أخي محمد رستم حيدر. تركت نابلس وتوجهت لمقابلتهما.

عند وصولي إلى عمان أُخبرت أن طائرة جلالته تعطلت في الأزرق، فأعلمت سمو الأمير عبدالله الذي أصبح أول ملك للمملكة الأردنية الهاشمية بعزمي على المضيّ للقاء جلالة الملك فيصل وأخي، فقال لي: ابق هنا لأن السفر إلى تلك المنطقة قد يعرضك لمخاطر أنت في غنًى عنها.

بقيت في عمان، وفي المساء جلست مع كثيرين من رجالات الأردن في صالون الأمير عبدالله وإلى جانبي الأمير لطف الله المصريّ الجنسية صديق الأمير عبدالله وصديق أخي محمد رستم.

* يتمنى جودت حيدر على من لديه نسخة أو علم عن العدد الذي وردت فيه المقالة أن يخبره عنه وله الشكر.

وجّه سموّ الأمير عبدالله الحديث إليّ وسألني، عن كلية النجاح في نابلس وعن اختصاصاتي في الولايات المتحدة.

أجبته: في التربية والتعليم.

ثم أخذ يسألني السؤال تلو الآخر ويثني على صحة أجوبتي.

حتى سألني سؤالا فلم يرق له جوابي، فقال: لا. خطأ.

هنا أخذني نزق الشباب فرفعت طربوشي عن رأسي، غير أن الأمير لطف الله همس في أذني قائلاً: أنت في حضرة سموّ الأمير.. ضع طربوشك على رأسك..

وضعت طربوشي على رأسي، واعتذرت لسموّه.

بعد ساعتين دخل الملك فيصل وبرفقته أخي إلى عمان.

تقدمت نحو جلالة الملك لتحيته، وما أن رآني حتى قال: جودت؟!

قلت نعم يا سيدي.

قال: أود أن أراك لاحقاً:

ودار في خلدي سؤال:

كيف تذكّرني؟ لست أدري. إنه لم يرني سوى مرتين: الأولى يوم ذهبت إلى بغداد لمشاورة أخي في شأن سفري للدراسة في بلاد الغرب، وشربت مع جلالته الشاي في حديقة البلاط الملكي سنة ١٩٢٤، والثانية يوم هنأني بنيل شهادة التربية والتعليم بعد عودتي من أمريكا.»

* * *

ب- في شركة نفط العراق

يتحدث شاعرنا عن عمله في شركة نفط العراق فيقول:

«سنة ١٩٣١ قدَمت استقالتي من كلية النجاح في نابلس.

بعد رجوعي من نابلس ذهبت لزيارة أخي محمد رستم في بغداد. وهناك قابلت محامي شركة النفط العراقية .I.P.C السيد شادرجي، ومدير الشركة السيد Dunkly مبدياً رغبتي في العمل بالشركة.

وبعد عشرين يوماً وصلتني برقية بأن الكولونيل لونغريك سيكون غداً في مركز الشركة في طرابلس، وعليّ مقابلته.

قابلت الكولونيل لونغريك في الوقت المحدد، وخرجت من عنده معاوناً لمدير التوظيف في لبنان.

استلمت عملي في طرابلس في نيسان سنة ١٩٣٢ مقدراً حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي فالشركة كبيرة والأعمال متعددة متنوعة.

وفي حزيران من العام نفسه جاء من حيفا إلى طرابلس رئيس دائرة التوظيف والأراضي في الشركة السيد لونغريك وأخبرني أنني نقلت إلى حمص في سورية.

كان مدير الشركة في حمص يدعى السيد والتر البريطاني الجنسية، وكان إدارياً قديراً، وذا ذكاء حادّ وثقافة عالية، وفهم للحياة ومعرفة بالناس، ولما استقريت في حمص كمدير للاستخدام والعلاقات الخارجية والأراضي ربطتني به الزمالة والصداقة والتعاون.

كانت سنة ١٩٣٢ سنة جفاف وقحط.. بخلت السماء بالعطاء، وقحطت الأرض وكان قرار الشركة مدّ خط الأنابيب من كركوك إلى طرابلس ومن كركوك إلى حيفا.. فأرسلت إلى حمص فريقاً من الأميركيين للقيام بهذه المهمة.

قمت بتوظيف عمال ومستخدمين في الشركة من المدن والقرى السورية واللبنانية أربى عددهم على الألوف ما بين مهندس و موظف ومستخدم وعامل .

قمنا بمدّ الخط ١٢إنش وساعدنا الطقس الجاف وقلة المطر على السرعة في إنجاز العمل، وكان طول خط الأنابيب بين كركوك وطرابلس ما يقارب ٧٠٠كم.

بعدئذ قمنا ببناء ثلاث محطات في الصحراء هي T2، T3، T4 وتتسع كل محطة لما يقارب «٤٠٠ شخص» من أطباء وموظفين ومهندسين وعمال للمعدات الضخمة التي كانت تستخدم لضخ البترول من كركوك إلى طرابلس، حيث يعبأ في ناقلات النفط.

كانت المحطات التي تم إنشاؤها على الشكل الآتي:

T1 تم بناؤها من قبل الشركة في الأرض العراقية.

T2 كانت بين T1 وT3 مقابل بلدة أبو كمال على الفرات على الحدود السورية العراقية.

T3 بين T2 وتدمر.

T4 بين تدمر وحمص.

وجديرٌ بالذكر أنه بعد الحرب العالمية الأولى أنشأ الفرنسيون مصفاة تكرير للنفط في طرابلس، وكان ذلك قبل قيام شركة النفط العراقية بمدّ الأنابيب إلى طرابلس، وكان الفرنسيون يجلبون النفط الخام ببواخر إلى ميناء طرابلس، وتقوم المصفاة بتخزينها وتكريرها.

وإبان بدء العمل في إنشاء محطات T2، T3، T4 بدأت الشركة تستملك أراضي شاسعة في دير عمار والبداوي والمنية (محافظة طرابلس) كما استملكت المصفاة التي أنشأها الفرنسيون، وبعد عدة سنوات قامت الشركة بتوسيع وتحديث هذه المصفاة.

إثر مد الأنابيب بدأ النفط يتدفق ويملأ البواخر العملاقة التي أنشىء لها حوض خاص في طرابلس/ لبنان لتحمل هذه المادة الثمينة وتنقلها إلى العالم.

* * *

بعد أن انتهت الأعمال في مدّ خط الأنابيب بين كركوك – طرابلس وكركوك – حيفا انتقل مدير الشركة في سوريا السيد والتر إلى كركوك، واستلمت الإدارة منه في حمص.

ارتأت يوماً مديرية الشركة في لندن إقامة حفلة لمناسبة تدفق البترول من العراق إلى طرابلس بحضور شخصيات عربية وأجنبية، وبحضور اللورد ستانهوب وكيل وزارة الخارجية الإنكليزية.

وبعد التشاور في الأمر كان القرار أن تكون الحفلة في T3 التي تقع على بعد خمسين كلم تقريباً شرقي مدينة تدمر كما ذكرت.

توافد المدعوون من حيفا ولندن، ووصل اللورد ستانهوب مع مدير الشركة العام المستر دانكلي، فاستقبلتهما في مطار محطة T3 وقدمني المستر دانكلي لوكيل وزارة الخارجية كمدير للشركة في سوريا.

وفي حمص كنتُ أشرف على أعمال الشركة، ومنها شركات التغذية (Catering Companies) لتموين المحطات الثلاث في الصحراء T2، T3، T4. كانت شركة فرعون وشيحا هي الشركة المتعهدة.

كان وكيل المتعهدين في حمص المرحوم الصديق جوزف شيحا قد ذهب إلى روما، وعندما عاد أحضر معه اثنتي عشرة لوحة للفنان الشهير بيكاسو عرضها عليّ وقال لي: لقد اشتريت هذه اللوحات بأسعار مغرية كل لوحة بأربعمائة وخمسين فرنكاً فرنسيّاً. وكان يومذاك كل عشرين فرنك فرنسي يساوي ليرة ذهبية فرنسية.

قال لي: بما أنك صديق أريد أن أعطيك اثنتين تختارهما بالسعر الذي اشتريتهما به.

قلت: يا صديقي! أنا لا أتعامل مع شخص ذي صلة بالشركة. لو فرضنا أنني وافقتك ودفعت لك ثمن اللوحتين وعلقتهما في بيتي.. أتعرف ما سيقول الناس عني في المستقبل؟

أولاً سيسألون عن مصدر هاتين اللوحتين. وعندما سيعرفون مصدرهما. أتعتقد أنهم سيصدقون أني دفعت ثمنهما كاملاً؟

في حمص وفي خضم عملي الإداريّ الذي لم يكن يترك لي فرصة للراحة، عرفت بعض الأصدقاء، أنست بهم، وأحسست بالإخلاص في صداقتهم، ومن هؤلاء المرحوم هاشم الأتاسي الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية. في أوائل سنة ١٩٣٦.

ربطتني به رابطة صداقة متينة، أحببته واحترمته، ووجدت فيه الرجل الوطني، والعربي الأصيل والمثقف الواعي، وصاحب الأخلاق العالية والسيرة النظيفة المتلألئة.

كانت تجمعني به زيارات تكاد تكون متواصلة يزورني في منزلي، وأزوره في منزله، ويملأ سمعي بأحاديثه الشيقة. في الوطنية والعروبة وما إلى ذلك من موضوعات. وكان كثيراً ما يقف في حديثه عند بعلبك فيطيل الحديث ويسهب.. يتحدث عن صداقاته في بعلبك يوم كان قائمقاماً فيها وله أصدقاء يحبهم ويحترمهم ويحبونه ويحترمونه.

أصبح المرحوم هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية، وفي عهده اشتدت مطالبة السوريين بالاستقلال وخروج الفرنسيين من البلاد وإنهاء الانتداب، لم يهدأ السوريون يوماً، لكنهم في هذه المرة كانوا أكثر عنفاً وإصراراً. أضربوا في كل بلدة ومدينة وبقي إضرابهم نيفاً وثلاثين يوماً. هزتني العروبة والوطنية المتمثلة بالإضراب الحق هزّاً عنيفاً.

عملت جهدي في دعم الإضراب بالوسائل الممكنة ونشره بين العمال على كل الأراضي السورية حتى أضحى صوت العمال في شركة النفط صوتاً قوياً عالياً في النداء بالاستقلال والتخلص من الانتداب، ولكثرة عدد العمال في الشركة ولحماسهم الشديد ونقلهم عدوى الإضراب إلى أقاربهم وذويهم أثروا على جميع الأوساط في كل بلدة ومدينة على الأراضي السورية جميعها.

استفحل الإضراب واستشرى وانتشر، ولم يبق أمام الفرنسيين إلا الرضوخ لرغبات الشعب وأمانيه، فطلبوا من السوريين أن يؤلفوا وفداً يذهب إلى فرنسا للتوقيع على وثيقة الاستقلال.

ترأس السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية الوفد ، ونظراً لصداقتي المتينة معه واتصالي الدائم به رأيت من واجبي أن أنبهه إلى أمور، وكنت أعرف مدى حبه لي وتقديره لآرائي.

زرته قبل سفر الوفد الى باريس في ١٦ أذار ١٩٣٦، وبعد التحية قلت:

يا هاشم بك في باريس ستوافق الحكومة الفرنسية على الاستقلال التام لسوريا. أرجو أن تبقى في باريس حتى يوافق المجلس النيابي الفرنسي على ذلك، فبقاؤك هناك وسيلة ضغط قوية على المجلس، وإذا عدت إلى سوريا بعد توقيعك، فإني أخشى أن تكثر الدسائس وتفعل فعلها في أعضاء المجلس الفرنسي فيمتنع عن الموافقة ويكون الاتفاق حبراً على ورق لا قيمة له لأنه غير نافذ، إذا لم يوافق المجلس عليه ليس هناك اتفاق، ولا استقلال.

ذهب الوفد برئاسة رئيس الجمهورية إلى فرنسا ووقعت الحكومة الفرنسية الاتفاقية القاضية بمنح سوريا استقلالها.

وعاد الوفد بعد التوقيع فوراً، ورجع رئيس الجمهورية ليبشر الشعب السوري بالنصر العظيم والاستقلال الناجز.

كان القطار الذي أقلّه يعجّ بالناس فعلت النساء سطحه وحتى لم يعد يوجد موطيء قدم على هذا السطح. وما أن وصل القطار إلى حمص حتى كان الناس بعدد الحصى، وكأن أهل حمص والمدن القريبة والقرى قد جاؤوا عن بكرة أبيهم لاستقبال الرئيس.

علت الهتافات ولعلعت الزغاريد، ورأيت يوماً لم أر مثله. الفرحة على الوجوه، والناس يهنيء بعضهم بعضاً، النساء يزغردن والرجال يهتفون باستقلال سوريا وحياة الرئيس المنتصر.

في اليوم التالي ذهبت إلى بيت الرئيس هاشم الأتاسي لأهنئه، وبعد تحيته وتهنئته بالعودة وبتوقيع المعاهدة قلت:

أهنئك بالعودة والنصر الذي رجعت به من فرنسا، غير أني كنت أتمنى لو بقيت في فرنسا حتى يصادق المجلس النيابي الفرنسي على هذه المعاهدة، ولا أنكرك أني ما أزال أخشى ما كنت أخشاه سابقاً.

أحيلت المعاهدة على المجلس النيابي الفرنسي، وللأسف الشديد كان الذي تخوفت منه، ووقعت البلاد فيما كنت أخشاه، وألغى المجلس النيابي الفرنسي المعاهدة ولم يوافق عليها.

ذهبت يوماً إلى دمشق لزيارة صديقي النائب في البرلمان السوري السيد نوري الحكيم الذي ربطتني به صداقة ابتدأت علاقة تجارية إذ كان يشتري مني كمياتٍ من عدس «مقنة»، ثم أضحت هذه العلاقة صداقة متينة.

دعاني يومًا إلى تناول الغداء مع لفيف من الإخوان منهم البكري، والآغا سويدان العلي. وبعد الغداء أشار عليّ أن أرافقه لزيارة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني. وفعلاً قمنا بالزيارة وقدمني السيد نوري الحكيم إلى فخامة الرئيس قائلاً:

جودت حيدر مدير شركة نفط العراق في حمص.

صافحني فخامته بهدوء من وراء طاولته.

وتابع صديقي نوري الحكيم قوله إنه شقيق رستم حيدر.

فما سمع الشيخ تاج الدين باسم أخي حتى أسرع إليّ مربتاً على كتفي، وأجلسني إلى جانبه، وراح يقول ويردد: رستم حيدر معلّمي.. رستم حيدر رمز الوطنية.

انتهت الزيارة وخرجت مقدّراً الرجل الكبير وأصبحت تربطني بفخامته صداقة متينة.

في الثلاثينات وأثناء وجودي في حمص بدأت شركة نفط العراق بالتنقيب عن البترول في سوريا. وكان أول تنقيب في منطقة الشريفة بين حمص وتدمر، وأسفر التنقيب عن عدم وجود أيّ أثر للبترول في تلك المنطقة.

في سنة ١٩٣٦ -١٩٣٧ بعدما قضيت بضعة أشهرٍ في طرابلس، لبنان، نُقلت إلى دير الزور في سوريا مديراً للأراضي والتوظيف والعلاقات والتموين.

كان المدير العام للشركة السيد Griffith إنكليزي التبعة وكان التنقيب ينفذ على أيدي مهندسين أميركيين على شاطىء الفرات من جهة الجزيرة في محلة الدرو، ولم يسفر عن وجود بترول.

ثم جرى التنقيب في محلة الجبسة على بعد ١٠٠كم من دير الزور على نهر الخابور، فأسفر عن وجود الغاز بكميات كبيرة كما قال لي صدفة المهندس راينهارت (أميركي) المسؤول الأول عن التنقيب ، ولكن البئر أقفلت وانتهى أمرها. في سنة ١٩٦٥ أبان الوحدة بين مصر وسوريا وصل فجأة إلى لبنان صاحب شركة Burden International من Tulsa, Oklahoma في الولايات المتحدة وطلب مقابلتي. تواعدنا وتقابلنا في فندق السان جورج في بيروت... وكم كانت دهشتي كبيرة عندما سألني عن موقع الجبسة وعن كمية الغاز الموجودة هناك. كان جوابي أن الكمية كبيرة حسب مقولة المهندس راينهارت، أما الموقع فهو على مسافة ٥٠٠ كلم من الحدود اللبنانية. عندئذٍ تراجع السيد

Burden عن مشروعه لأنه مكلف ويمكن تأميمه عند انتهائه نظراً للحكم القائم آنذاك.

ثم انتقل التنقيب إلى منطقة الصبخة ما بين دير الزور وحلب فلم يسفر عن وجود لا البترول ولا الغاز.

سارت أعمال التنقيب في هذه الآونة بشكل رائع وبسرعة مثالية والعمل في ذروته والنشاط يسيطر على كل من يعمل في الشركة والنتائج الجيدة تبعث على النشاط والجدّ؛ وتدفع بالإنسان خطوات إلى الأمام. جاء إلى دير الزور رئيس الحكومة السورية وهو السيد بهجت الخطيب، اللبناني الأصل.

دعوناه إلى الغداء في محطة الدرو، وكان المدعوون كثراً، وبطبيعة الحال كما يقضي التقليد المتبع دعونا مندوب المفوضية الفرنسية في دير الزور الكولونيل أردوان.

ذهب «المستر سوفستر» رئيس المالية في شركة النفط العراقية إلى المكان المعد للوليمة لترتيب الأمور ووضع البطاقات بأسماء المدعوين كلّ في مكانه.

فوضع بطاقة الكولونيل أردوان على رأس الطاولة وعلى يمينه رئيس الحكومة السورية.

كأن القدر كان دائماً يأبى إلا أن أختلف مع الانتداب الفرنسي، وأن أتهم من قبلهم.

مضيت لأطلع على ترتيب الطاولة فرأيت بطاقة حاكم البلد الفرنسي على رأس الطاولة، وعلى يمينه رئيس البلاد.

بدلت البطاقات بسرعة بحيث أصبح رئيس الحكومة السورية مترئساً الطاولة وعلى يمينه الكولونيل أردوان.

أتى «المستر سوفستر» وسألني عن سبب قيامي بالتبديل، فقلت له:

لا أحد يتقدم على رئيس الحكومة السورية في سوريا.

قال: ولكن هذا مندوب عن المندوب السامي أعلى من رئيس الحكومة.

قلت: قل ما شئت، وفكر كما ترى. لكن الترتيب سيبقى رهن إرادتي.

بقي الترتيب كما وضعته، وبعد الغداء ذهبت إلى بيت المحافظ السيد توفيق شامية وأطلعته على ما جرى فأخبر رئيس الحكومة فيما بعد بما كان.

كان الانتداب الفرنسي لا يترك شاردة أو واردة إلا ويتدخل فيها ويخطط لتكون تحت سيطرته.

كان الكولونيل أردوان مندوب المفوضية الفرنسية في دير الزور يتدخل في أمور القبائل والعشائر هناك.

ومن أفعاله انه حرض عبد العزيز المصلاط على أخيه الاكبر جميل الذي كان رئيس عشائر الجبور في الصحراء، والمعروف بوطنيته وحبه لبلده، ووعده باستلام الزعامة مكان أخيه الأكبر.

فكرت ملياً بالأمر... لماذا يحاول الكولونيل قلب الموازين في هذه العشيرة بتسليم الولد الأصغر مقاليد عشيرة كبيرة، والأخ الأكبر حيّ يرزق، وقادر على تدبير أمور العشيرة بحنكته وتجاربه.

رأيت من واجبي أن أضع الأمور في نصابها، وأعمل على إبقاء الشيخ جميل رئيساً للعشيرة، وزاد في اندفاعي معرفتي بوطنيته الصادقة وعروبته الأصيلة.

ذهبت إلى بيت الشيخ جميل، وتحدثت معه طويلاً، فوجدته كما أخبرت عنه رجلاً سديد الرأي، عارفاً بأمور العشيرة ومتطلباتها، غير أن الفقر والحاجة ظاهران عليه.

قلت له: أريد أن أراك في دير الزور غداً أو بعد غد.

فعلاً جاءني في اليوم التالي، وبعد أحاديث كثيرة، قلت له: كم يلزمك من المال لتستطيع المحافظة على مشيختك، وتنافس أخاك عبدالعزيز؟

بداعٍ من الوطنية يجب عليّ أن أساعدك وأقف إلى جانبك.

قال: أحتاج ثمن القهوة، وبعض حاجات صغيرة.. يكفيني في الشهر ما بين المئتين والثلاثمائة ليرة فقط.

وعدته خيراً، وودعني والبهجة واضحة على قسمات وجهه.

في اليوم التالي أمنت له مائتي ليرة شهرياً من جيبي الخاص.

بعد مدة من الزمن زرت الشيخ جميل في منزله؛ فرأيت الناس حوله، ومعالم العز واضحة عليه والقهوة جاهزة...

عاد الشيخ جميل شيخ القبيلة دون منازع.

مضت فترة من الزمن، وكنت في جبسة، وإذا بالشيخ جميل يأتيني بحصان كميت اللون رائع الصورة والهيئة. امتطى صهوته فارسٌ وانطلق به ما يقرب من المائة متر ثم عاد. ليقول لي الشيخ:

هذا الحصان الأصيل لك يا بك.

قلت: يا شيخ جميل حصاني هو سيارتي. وهذا الجواد الجميل أنت بحاجة إليه. المهم عندي أن يبقى بيتك مفتوحاً، وتبقى شيخ القبيلة.

ودّعني الشيخ، وقدّرت فيه الإخلاص والاعتراف بالجميل.

تابع جودت حيدر حديثه قائلاً:

«لا تسأل عن المعاناة التي كنت أعانيها في دير الزور، فالمناخ الحار الجاف كان يقبض النفس بعنف شديد، إذ كانت الحرارة تصل إلى ٤٤ درجة ولا سبيل

إلى التبريد إلا بواسطة المراوح المعلقة في السقوف.

واصلت العمل في شركة نفط العراق حتى سنة ١٩٤٠ أي حتى أستشهاد أخي محمد رستم حيدر في العراق.

في سنة ١٩٤٧ عدت إلى العمل في شركة نفط العراق في مصفاة طرابلس\لبنان بعد انقطاع سبع سنوات وأعمال التنقيب كانت ما تزال جاريةً في جبل تربل في دير عمار محافظة طرابلس. وأسفر عن وجود آثار للبترول تبخر مع مرور الزمن لتشقق الصخور.

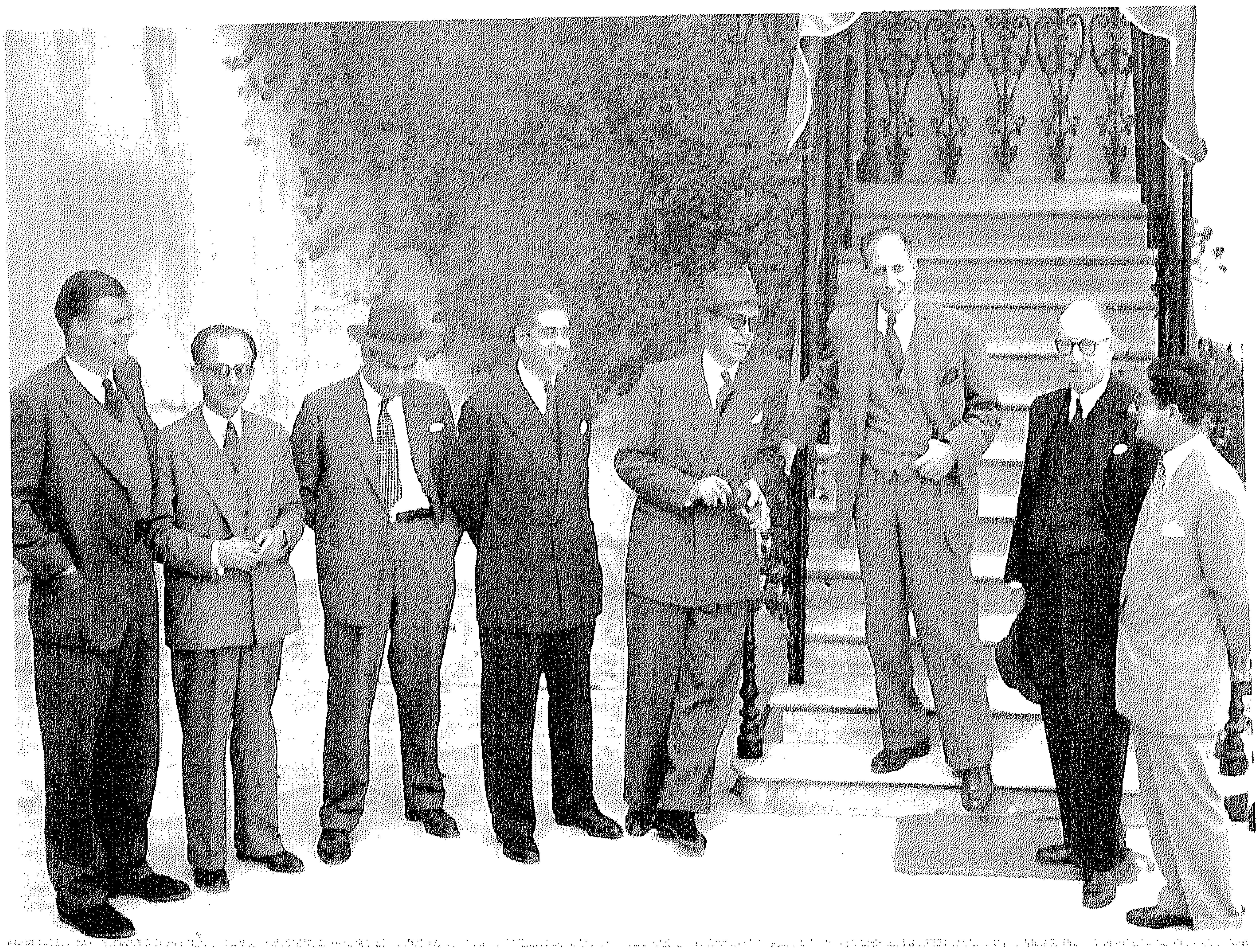

الثالث من اليمين على درج نادي شركة نفط العراق في طرابلس، لبنان

وبعد عودتي أيضاً تم تحديث المصفاة، وعلى أثرها وفي سنة ١٩٥١ منحت الدولة اللبنانية وساماً لرئيس الشركة Mr. Herridge كما منحتني وسام الاستحقاق اللبناني المذهب في عهد فخامة رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ودولة رئيس الوزراء رياض الصلح بتاريخ ١٣ شباط سنة ١٩٥١، وهو أول وسام يقدم إلي.

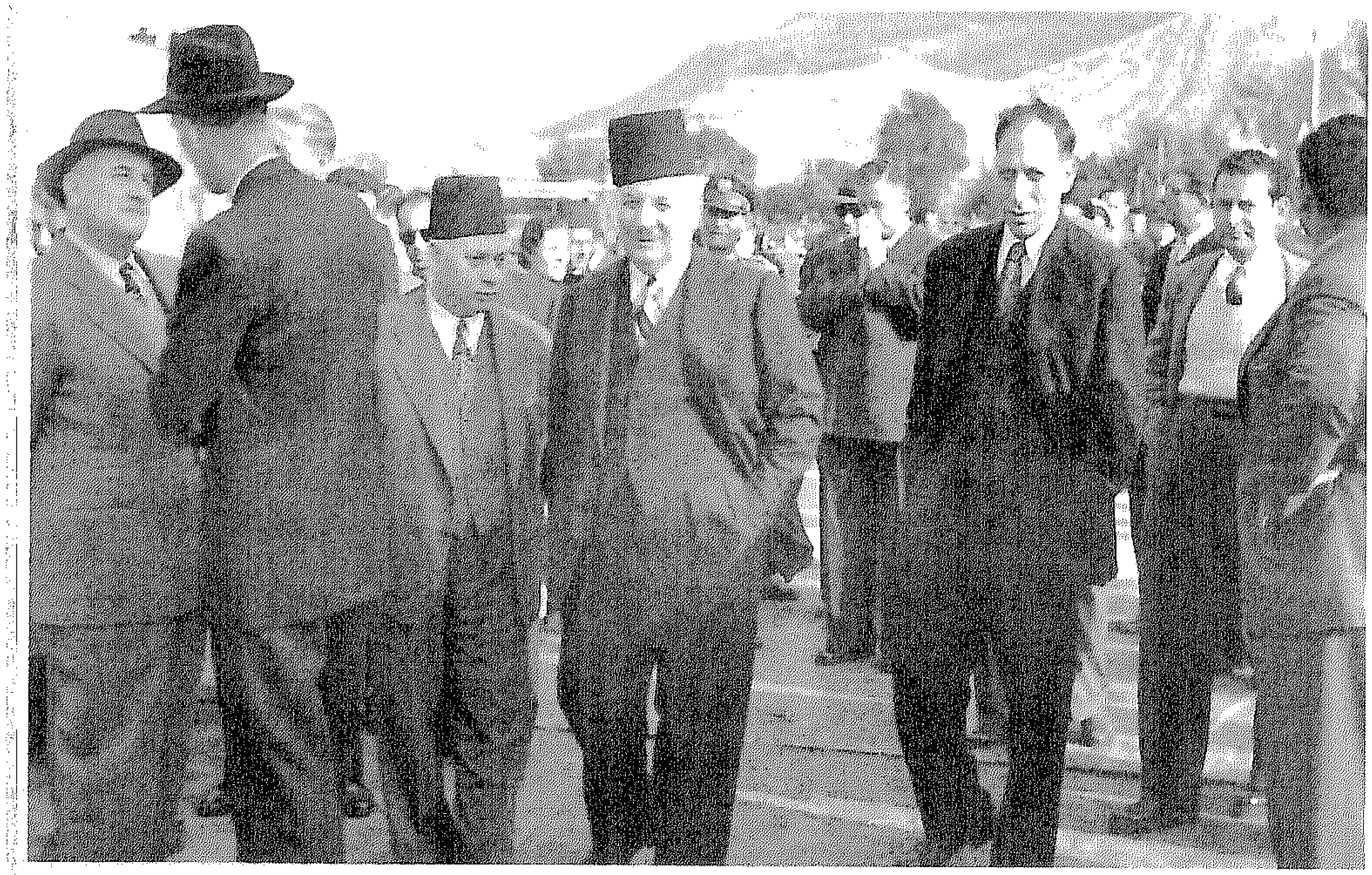

جودت حيدر مع دولة رئيس الوزراء المرحوم رياض الصلح بعد تحديث المصفاة سنة ١٩٥١

كان للشركة في لبنان نقابة للعمال، يرأسها جورج أبو شاهين من الكورة وكان موظفاً لدى الحكومة الإنكليزية بالسودان قبل عودته إلى وطنه ليعين في شركة نفط العراق في طرابلس.

كانت علاقتي بالنقابة علاقة طيبة يسودها التفاهم والمنطق.. نجتمع كثيراً ونتداول في أمور العمال ورواتبهم وعلاقتهم بالشركة، نتفق على بعض النقاط ونختلف على بعضها الآخر، فنحاول بكل ما أوتينا من قوة على حلّ كل نزاع.

وضعت نصب عيني في تلك الأيام أن أكون إلى جانب العامل وأعمل ما في وسعي لأوصله إلى حقه، وكانت الشركة دائماً تستحسن ما أقوم به من خطوات في هذا المجال لأن الإدارة كانت توافقني الرأي بأن العامل إذا كان مكتفياً مادّياً يعمل بنشاط ويتحمل في بعض الأحيان فوق طاقته إذا طلب منه ذلك، فتصبح مصلحة الشركة مصلحته، ويبتعد عن الطرق الملتوية التي تؤمن له بعض المال بالطرق غير المشروعة.

نالت النتائج التي حصلت عليها باتفاقنا مع النقابة رضا العمال عن تصرفات الشركة نحوهم، ورضا الشركة عن تجاوب العمال مع إدارة الشركة وقيامهم بكامل واجباتهم.

والذي كان ملاحظاً بوضوح عدم الاختلاف بين الشركة والنقابة، كلٌّ يقوم بما عليه بإخلاص.

في تلك المرحلة طلبت الإدارة مني تعديل سلم الرواتب بما يناسب العمل والعمال مبنيًّا على مكان ونوعية العمل.

فقمت مع بعض الموظفين المساعدين لي بزيارة جميع فروع الشركة في سوريا ولبنان والأردن والعراق، ودرست الوضع على الأرض، ودونت المعلومات المتعلقة بالعمال ووظائفهم وأوضاعهم الصحية والمالية.

وبعد رحلة دراسية طويلة استطعت تعديل سلسلة الرواتب بناء على أسس علمية لمصلحة الشركة والعمال.

بعد ما يقارب الشهرين وضعت تقريراً مفصلاً عن التعديل وأسبابه قدمته للإدارة مرفقاً بجداول كاملة وإحصاءات دقيقة.

كان العمال في الشركة في شتى الأقطار مثال العمال النشيطين الذين يضحّون بأوقاتهم وجهودهم في سبيل شركة ترى من واجبها أن يكون عمالها بأحسن وضع اقتصادي. لذا كان سلّم الرتب والرواتب يتجدد دائماً، وينظر في هذا التجديد إلى مصلحة العامل ليعيش عيشاً كريماً.

حقاً إن الشركة خلال الخمس والعشرين سنة التي قضيتها فيها كانت مثال الشركات العالمية الناجحة، التي تعرف إدارتها العليا مسؤولياتها وتؤديها كاملة مما يجعل كل من ربطته بها علاقة راضياً محباً مقدّراً.

تقلبت في مناصب عدة في شركة النفط العراقية ابتداءً من معاون مدير التوظيف في طرابلس ١٩٣٢ إلى مدير العمل والعلاقات الخارجية والأراضي في سوريا عند استقالتي سنة ١٩٤٠.

وبعد عودتي وحتى استقالتي سنة ١٩٦٠ مجدداً كنت أشغل منصب المستشار الصناعي لشركة نفط العراق (IPC) في لبنان وسوريا والعراق والأردن وقطر.

كتبت مجلة «**Crescent**» الصادرة في لندن في عدد نيسان ١٩٦٠ ما يلي:

> "Mr. Haydar is another of the selected band who joined the company at the beginning of the first pipe line constructions. He was engaged on April 11, 1932 and took over the staff appointment of Assistant Employment Officer in Syria in September of the same year and was, incidentally, the first National Staff employee in the company.
>
> Towards the end of pipeline construction he became i/c Homs Depot, a post he occupied for two years, then, after a short spell as Inspector, Commissariat Department, he became Employment Officer in Tripoli and later in Deir-ez-Zor. In 1941 family affairs occasioned his resignation but he rejoined the company in 1947 as Assistant Employment and Security Officer, Tripoli Refinery. Thenceforward all his service was in Tripoli where he became Personnel Officer, then Employment Superintendent and finally, in 1956 he became the Industrial Relations Advisor, the post he occupied until his retirement in February of this year. He was the first of the staff to hold such an appointment.

With the retirement of Jawdat Beck the company loses a distinguished personality educated at the American University of Beirut and the University of Texas, he is both a scholar and a poet. In November, 1950, he was awarded the Gold Medal of Lebanese Merit.

الفصل الرابع

عائلته

عائلته

أ- زواج الشاعر وأولاده

تحدث جودت حيدر عن زواجه وأولاده بحنان فقال:

عام ١٩٢٨ عدت من الولايات المتحدة الأميركية بعد أن أنهيت دراستي في جامعتي North Texas State University وAM&C College Station في دنتون تكساس متخصصاً بالتربية والتعليم.

ما أن وصلت إلى بيروت حتى تلقيت نبأ وفاة رجل من كبار رجالات آل حيدر، وهو المرحوم سعيد باشا ابن سليمان حيدر، وأخبرت أن سبب الوفاة حادث سيارة، وأنه قد انتقل إلى رحمة الله عن عمر يناهز الرابعة والتسعين.

مليحة

مضيت مسرعاً إلى بعلبك لأشارك في المأتم الكبير، وكان لي لقاء بأخي محمد رستم الذي جاء من العراق ليشارك في المأتم.

شاركت بمأتم رجل كنت أجله وأوقره وأحترمه، وعشت أحزان العائلة بوفاته..

والتقيت الكثيرين والكثيرات من أقاربي الذين يظهر على وجوههم الحزن والأسى. ولفتت نظري في تلك الأيام القليلة التي يغمرها التفكير بالموت والحياة، وتغشي الوجوه مسحة من الحزن الصامت العميق فتاة من أقاربي زادها الحزن جمالاً،

وعرفت أنها مليحة بنت مخيبر بك حيدر ابن الفقيد سعيد باشا فبدأت ترتسم في خيالي صور.

أحسست أني وقعت في شباك عينين تمثلان الذكاء والبراءة والطهارة، واقتربت من تحقيق أمل كان يراودني دائماً كما يراود كل شابّ وهو أن يكون لي زوجة وبيت وأولاد. ولَمَ لا أفكر بمليحة؟ ولم لا أعمل على تقوية أواصر هذا الإعجاب؟ بل لماذا لا أصارحها بما في الفؤاد من شعور حلو نحوها؟

فعلاً بدأت الأمور تأخذ منحًى جدّيّاً سريعاً، فما بدأت بالتلميح بفكرة الزواج حتى لقيت من مليحتي جواباً نقلته إلى قلبي عيناها لتختصرا الطريق.. ومضت أيام هنيئة مليئة بالآمال الحلوة العذبة.. وانتقلت الأمور لترتسم أمامنا صورة الأولاد يملأون بيتنا حبوراً..

يا لها من أيام جميلة على قصرها، وما أكثر عطاءها، وما أروع ثمارها!.

كانت حصيلة تلك الأيام القليلة ارتباط قلبين، وتوافق روحين، بآمال مفعمة تكبر وتعذب وتحلو. ولم يبق إلا أن أهيىء النفس والجوّ للانتقال إلى بيت الحب الحقيقي.. بيت الزوجية التي يخيم على أجوائها الحب والحنان والفكر والعاطفة.

عينت مديراً لكلية النجاح في نابلس. وما فارقت بيروت حتى سكنت صورة مليحة القلب والروح والعقل.

مضت السنة الدراسية في نابلس. وكنت أعيش أوقاتي الخاصة مع الحبيبة الغالية مليحة التي في كل ليلة ونهار كنت أرسم ألف صورة للوصول إلى الزواج منها والعيش بقربها.

في عام ١٩٣١، بعد انتهاء العام الدراسي استقلت من الكلية في نابلس، وعدت إلى لبنان، لأنتقل إلى عملي الجديد في شركة النفط العراقية.

عندها وفي عام ١٩٣٢ تحقق الحلم فتزوجت مليحتي الزوجة الوفية، والصديقة المخلصة، ورفيقة الدرب والنضال في الحياة، وأم الأولاد الذين أرى في كل منهم نفسي.

مع زوجته مليحة في الأرز «أقصى اليمين» وشقيقه محمد رستم «أقصى اليسار»

في سنة ١٩٣٣ وكنت آنذاك مديراً للاستخدام والعلاقات الخارجية في شركة النفط العراقية، في حمص ولد بكرنا بسام، وما مضت سنوات حتى امتلأ بيتنا بزغردات الأطفال، وحلاوة ابتسامتهم فكان لنا مع بسام ست بنات هنّ:

سلوى: تزوجت من دريد ابن مصطفى بك حيدر

سهام: تزوجت من عزت ابن يوسف بك الزين

بسام محاطاً بأخواته في حفل خطوبة شقيقته ريما

منتهى: تزوجت من خليل ابن ابراهيم بك حيدر

شاهينة: تزوجت من أسعد ابن راشد بك عسيران

ريما: تزوجت من ماهر ابن فريد بك أرشيد

وحنان الحائزة على شهادة ماجيستير في العلاقات الدولية من جامعة ال LAU في بيروت وهي في صدد إعداد رسالة الدكتوراه في نفس الإختصاص.

عشنا بوئام عائلي، وكان كل من يعرفنا يغبطنا على هذا الحب الذي يخيم على بيتنا..

في هذا الجو المفعم بالعاطفة ترعرع بسام وأخواته حتى كبروا وتعلموا وشقوا كلٌ طريقه باستقامة ونجاح.

حلّت سنة ١٩٨٢ لتضيف إلى حياتي حادثاً جللاً ومؤثراً وجرحاً نازفاً لا يندمل، فقد اختار الله إلى جواره زوجتي ورفيقة دربي.

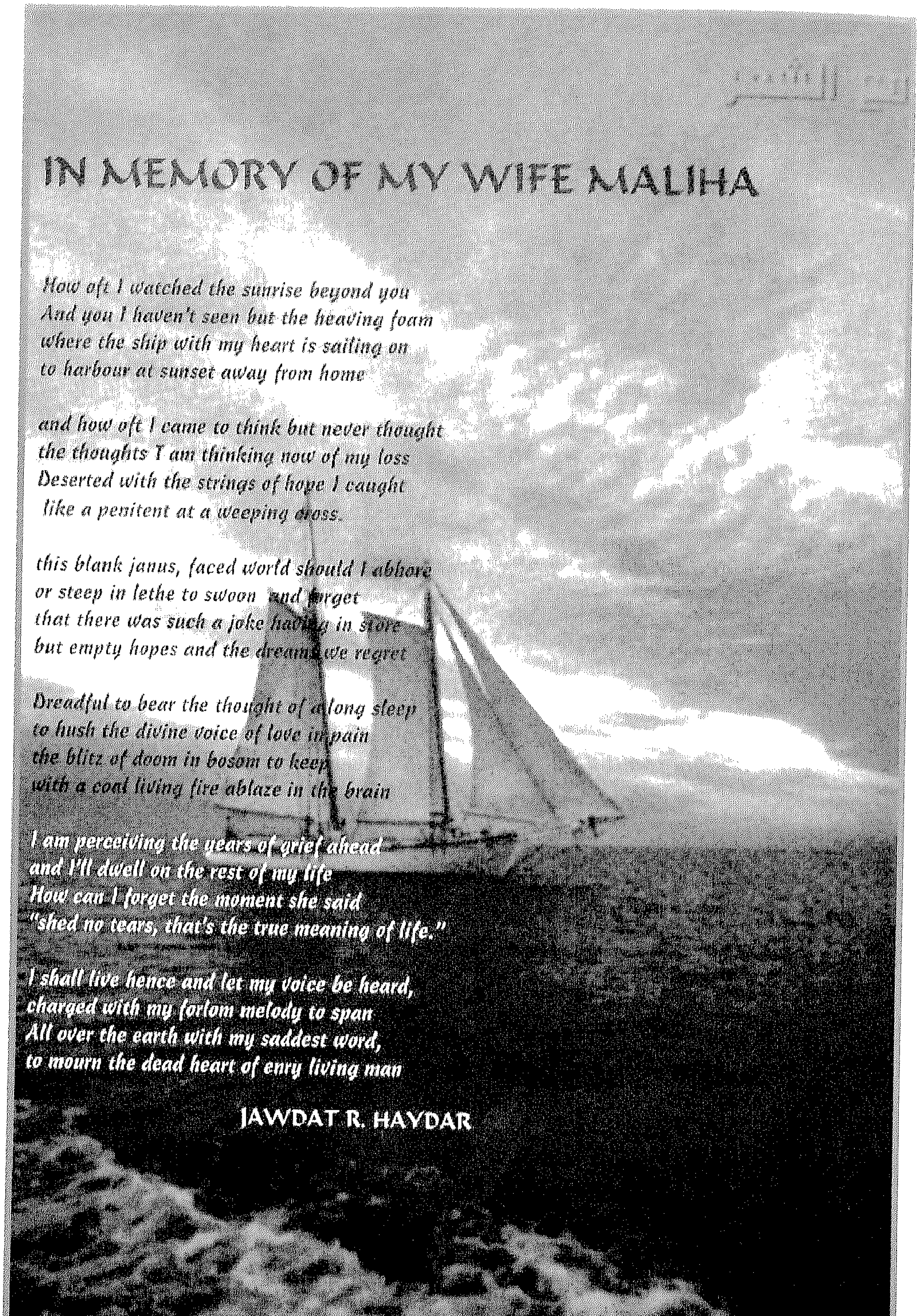

IN MEMORY OF MY WIFE MALIHA

How oft I watched the sunrise beyond you
And you I haven't seen but the heaving foam
where the ship with my heart is sailing on
to harbour at sunset away from home

and how oft I came to think but never thought
the thoughts I am thinking now of my loss
Deserted with the strings of hope I caught
like a penitent at a weeping cross.

this blank janus, faced world should I abhore
or steep in lethe to swoon and forget
that there was such a joke having in store
but empty hopes and the dreams we regret

Dreadful to bear the thought of a long sleep
to hush the divine voice of love in pain
the blitz of doom in bosom to keep
with a coal living fire ablaze in the brain

I am perceiving the years of grief ahead
and I'll dwell on the rest of my life
How can I forget the moment she said
"shed no tears, that's the true meaning of life."

I shall live hence and let my voice be heard,
charged with my forlom melody to span
All over the earth with my saddest word,
to mourn the dead heart of enry living man

JAWDAT R. HAYDAR

رثاؤه لزوجته وقد نشر في عدة دوريات

توفيت المرأة المثالية، والمعاونة القوية على صعوبات الحياة ونوائب الدهر. كانت تقية ورعة صبورة ناضجة التفكير، تمتاز بالصمت في الوقت الذي ينبغي فيه الصمت، ومتكلمة تنطق بالكلمة الفصل حيث ينبغي الكلام، ومن أهم ميزاتها دأبها في تربية أبنائها وتعليمهم على أسس سليمة، وجدّها في زرع المثل العليا في نفوسهم. تركت الحياة ولكن روحها ما تزال مرفرفة فوق سماء بيتنا، رحمها الله.»

وأيضاً يقول في رثائها:

تنبعث الحياة مع الزمان نموا
وبمراث الطبيعة تشب وتشيب
لتتوارى بعداً
تردادها مع الريح في غياهب الكون،
خزين عمر يرجع الميت حياً
وأنت، أنت العطرة التي نمت، وفي
ربيعها هوت، وفي عطرها انطوت،
وتجسدت رمز قداسة، وبعد البعاد أصبحت
الحطب.
وكلما رفَ الهوى أدركت معنى الأسى
وكان عيشنا كالشمس طرواة عند
الغروب، وبعد الغروب صفاء
تلك ليالي النجوم والسهر
وعندليب الغاب ينشد الحان الطيب
حتى يغيب القمر، ويطل من المغيب.
هذه الذكريات، كم أتوق إليها
في عزلتي، أحلم بحب كان كالفرات أمواجا تتصاعد.
هنا طال صبري، وتناولت الصبر، وأنا صابر
في غابة الصبر ومن أتاني يراني كالزمان صابر
على صبري.

وأنت يا حبيبتي لا تحزني.
هذا قضاء وقدر.
والحياة ارتفاع جبالٌ وحنو واد.
هذا الكون متناقضات نفي وإيجاب
ولو لم يكن هكذا لما كان.
ما هو إلا هذا العمق لا يحده مدلول،
إلا أكفان العبر في دنيا السكون.
والآن كالنحلة انطلاقاً
أمضي إلى الجبال والقمم.
وبالإزميل أحفر على صخور البقاء
حكاية حبي وما كانت إلا حباً عقلانياً
ضميره الوفاء.
لا حب قيس وليلى مزيجٌ من الجنون والبكاء.
هذا، وجاء ملاك الرعب، ورحلت مع الأيام
في خريف عمري كروض حور
ضعيف البنية يجف رويداً رويدا على
طريق الهلاك صابر محتار قبالة تعاظم الريح
تهب عاصفة لتجعل من باقي أيامي ركامها.
حبيبتي لا تحزني لأن التلاقي بعد
المنية، والخلد سرمدي معنى لا وجود
والطبيعة، أبداً، مصدر الخلق، والتفكك
والرجوع، ولو لم تكن هكذا لما كانت لتكون
كما هي معنى ووجود.
وأنت وأنا، ذكرى حياة
رجعت لباطن الأرض جسداً
ولباطن السماء روحاً
أتت من عند ربها زمنا وذهبت.

ب- رسائله الى زوجته أثناء الخطوبة وبخط يده:

مدرسة النجاح الوطنية بنابلس أسست سنة ١٣٣٧هـ ١٩١٨م

الثبات عنوان النجاح

نابلس في ٥ شباط ١٩٢٤م

نمرة التلفون : (٤٢)

صندوق البريد (٧)

زهرة اماني مليحة

لا ادري كيف ابدأ بالكتابة لك لاقص عليك ما في الفؤاد من محبة كبيرة وشوق زائد، فلم اكن قبل اليوم لاعرف معنى الحب الحقيقي حتى جئت انت ودخلت الى اعماق نفسي واستعبدتها بنظراتك الساحرة فأصبحت خاضعة هائمة بحبك، واني لأعجز اذا حاولت ان اصف لك شعوري وعواطفي، ولو استطعت لقدمت اليك قلبي لترينه مملوءاً من غرام ووجد فقد نفذت سهام عيونك اليه فاصبح اسير حبك لا ينبض الا بذكراك ولا ينتعش الا بمشاهدتك.

ما احلى تلك الايام القليلة التي مضت وما اسعد حظي بها حينما كنت اتطلع اليك فاسر واطرب وافرح لان كل ما فيك جميل بديع جذاب يشرح النفس ويبهج القلوب مهيئاً لي بحبك، ياليت تلك الايام دامت فدام سرورنا، فقد احييتني وعلمتني كيف اعيش واحيا، فالحياة الهنيئة هي الحب الطاهر وانا احبك بكل قلبي، وما خلقت الا لاحبك فانا سعيد وسعادتي انت يا ملاكي الطاهر. اذا كانت الحياة هي الحب فنحن سعداء والحياة كلها جميلة. اه ما اجملك يا حبيبتي العزيزة وما ارق قلبك، كم كان صعباً ذلك اليوم الذي فارقتك فيه وتركت قلبي عندك وكم تألمت عندما وجدت نفسي بعيداً عنك لا استطيع رؤيتك.

شركة النجاح الوطنية بنابلس تأسست سنة ١٣٣٧ - ١٩١٨

نمرة التلفون : (٤٢)

صندوق البريد (٧)

الثبات عنوان النجاح

نابلس في

بعدما فارقتك عند الصباح في بيروت وما اشد ساعة الفراق
جرت بنا السيارة وما عتمت حتى دخلت بنا حرج الشويفات
المشهورة بحقول الزيتون الجميل فتمتعت تلك الحين بمنظر
وبفوقه منظر، حسناً وجمالاً، فالاشجار الباسقات من امامي
وورائي، والازهار البديعة من حولي تتراءى لي من جوانب
الطريق بمختلف الوانها وتفوح علي باعطار اريجها، ناهيك
عن سماعي تغريد الطيور التي تصدح بصوت هو اعذب من صوت
الموسيقى فتذكرت عندئذ تلك الساعات العذبة التي مرت
علينا كالمنام ونحن نتمتع بالحب الصادق على شاطئ البحر
الظريف.

اتذكر بكل مسرة وشوق تلك الساعات والايام التي قضيناها
سوية وانا اردد عليك الف آه، فلا تلوميني يا حبيبتي على الاعتراف
في تلك هذه الاشواق والتنهدات فانها تنمو في صدري وتضطرب
في قلبي كما ينمو الماء في المرجل وكما يتضطرب الغصن من الهواء
الشديد. وليس لي من علاج اصح من لقياك ثانية فانه
النعمة الكبرى والامل العظيم.

اعلمي يا سلوى بان حياتي بدونك كالزنبقة المجردة
من بياض اللون، والوردة بدون شذاها العطري، والشجرة
بلا ثمرها الشهي، ان حبالك يطوح بي احياناً الى ما اخاله
نوعاً من الجنون، ولكن الانسب انه من اللذة ان يتمتع

الثبات عنوان النجاح

نابلس في

نمرة التلفون : (٤٢)

صندوق البريد (٧)

الجنون من الحب ذلك الحب الذي يحلو لنا ان نختار من
صيانة الخيال عند الساعات الحالكة مع النسيم ارسل
قبلاتي الحارة وحبي المخلص

جبت

الجواب مع عشرين قبله حالاً وسريعاً حتى نقدم لك ما اصل الحساب

نجمة حياتي حليمة

في الليل المظلم تلاطمت أمواج بحر الحب واشتدت وأخذت بمراكبه أحلامي حتى أغرقتها وحتى الفجر ابتدأت أفرز ضميه ذكرياتي الواحدة بعد الأخرى حتى وصلت الى تلك الساعة المؤلمة عندما تركتك ودموعك نازلة كالمزن الهتون ، هناك أصبحت لا أشعر بشيء إلا بعد ساعة من الزمن وجدت نفسي في واد جميل أقطع من الأزهار المبتسمة حتى أصنع لك أكليلاً شغل يدي وأرسله صحبة البريد . في ذلك الوادي كانت الطبيعة صامتة ما عدا الطيور المنشدة بتلك الأنغام الشجية لدقات الشمس من بعد غياب المظلم ماورا الغيوم الملبدة ، علمت عندئذ بأني قضيت سنيناً طوالاً قبل خطبتي بك لا أعرف للحب الحقيقي معنا لأن حياتي كانت خيالية وأما الآن قد عرفت بأن الحب الحقيقي يحيي الانسان ويجعله سعيداً في حياته لأني الآن قد حييت واسعدت [illegible] وكل ما تمناه في هذا العالم [illegible] الدائم حتى انتهى [illegible] السرور والعيش الرغد . انت التي علمتني كيف أحب وكيف أتمتع بالمناظر الجميلة وأفهم معنى الجمال في الطبيعة لذلك انت أبنتي الغالية وزهرتي الشذية التي أعطتني إياها . نعم كنت سعيداً لو كنت الآن بجانبي تشاركيني في هذه الساعات الربيعية الظريفة سعادتي وعيشي اللذيذ ، وكم كنت سعيداً لو ان الله حقق آمالي عن قريب وأصبحت ميسوراً حتى نعيش ونموت سوية ونصبح مثل الحب الطاهر لغيرنا من بعدنا . اعلمي يا مليحتي بأن حياة الحب لذيذة لمن فهم معناها الحقيقي لأن الحب ليس لأجل قضاء الشهوات الحيوانية بل لأجل الصداقة الحقيقية الدائمة التي تمزج الروح بالروح حتى يصبح الفرد يشعر بأن آلام صديقه هي آلامه الخاصة وان سرور صديقه هو سروره الخاص ، وذلك التبادل النفساني الذي يجعل حلقة الحب ثابتة متينة .

الحب يصنع من سموم الدهر شراب ويقتل الحقد ما بين البشر ولا يرشف منه دواليه تلك الدمعة العذبة اللذيذة ، الحياة إلا المتحابون الحقيقيون المخلصون لأن الحب هو أكسير السرور والعيش الرهني . أتذكر بحسرة تلك الدقائق الوردية التي كانت تتلوها نظرة الحب والغرام يوم كنت تنشدين وتلعبيه وتتكلمين بجانب البحر

الطريف وكان كلامك يسقط على مسامعي كالموسيقى العذبة التي ما ينشد فرل لك
الله في ساعات حزنه وآلامه. في تلك الثواني شنفت روحك واطلعت على قلبك
وكنت سعيداً. اعلمي بأني احببت فيما مضى وكلما حبك دفنه كل ماضي الذي كنت اتمتع
به وخلعه لي مستقبلاً جديداً اتشقه واهواه. اكتب اليك الان وصدى
لأذني سامع نغمة حزينة شجية من صرير قلمي وهذا اللحن الخفي يبكيني لأنه يعبر عما
يكنه فؤادي لك من حب ووجد.

اهلاً وسهلاً في الست سرية والست زينب وكرمي لهم سيكون بقدر محبتي لك هل تري
بأس من ذلك بلغيهم سلامي وقولي لهم بأني انتظر تشريفهم. قبلي لي ايادي مرت عمي
واهدي سلامي الى ابراهيم ابك وعائلته وصبحي ابك وعائلته وام احمد واحمد وشهير وعزيز
وكمال وقبلي لي عيون منع واهدي ايضاً سلامي الى كل من يسأل عني بطرفكم ودومي للحبيبك

جمشيد حيدر

يمكنني ان شاء الله ان اسافر الى بغداد نهار الاربعة الموافقة في ١١ آذار ~~[illegible]~~ اذا تم ذلك في ذلك
اليوم بعد الظهر احصل الى بيروت واقضي نهار الخميس ونهار الجمعة اسافر الى بغداد اذاً
ارجوك انتظاري نهار الاربعة بعد الظهر في البيت واذا لم اتمكن اكتب لي الى هنا نهار
الخميس.

جمشيد

جمعية النجاح الوطنية بنابلس أسست سنة ١٣٣٧ - ١٩١٨

الشبات عنوان النجاح

نمرة التلفون : (٤٢)

صندوق البريد (٢)

نابلس في ١ [illegible]

عزيزتي مليحه

تركت الشمس خدرها ومزقت منديل الظلام عن وجه الطبيعه الجميل ودخلت اشعتها الى غرفتي فايقظتني من ذلك الرقاد العميق فرأيت من النافذه نخلتين [struck out] باسقتين متعانقتين والزهور حولها ترقص في الهواء ضاحكه كأنها تزف حبيبين قد حظيا ببعضهما بعد مرور اعوام طوال. عند ذلك المنظر تذكرت تلك الثواني يوم كنت وكنت معاً نتعانق امام ذلك الشيخ الهرم ذلك الطود المكسو في الاعشاب المغطى في الثلوج جبل اللبنان جبل الحب والاحباب. لست ادري والله لمن اجوا قلبي تسيل حباً ووجداً عندما اكون وحيداً في عزلتي بعيداً عنك. ولكن اعلمي يا مليحتي بأن كل ما نقاسيه الان من فراق وبعد سيكون تذكاراً لذيذاً لتلك الدقائق التي سنقضيها سوية فيما بعد لأن حياة الدنيا تمضي كرهاً وبسطاً ولكن لولا الكره لما طاب الجذل. ان في قلبي نبع متفجر من الحب ثجاج كلما مرت الاعوام عليه ازداد غزاره وعذوبه لأن الحب الصادق الاكيد معدن ثمين لا يفنى مع الايام بل يفنى الزمن ويخلد حتى الشمس تتحول الى رماد لأن نار الحب اشد حراره من الشمس وثابته لا تدور على محورها.

نمرة التلفون : (٤٢)
صندوق البريد (٧)
الثبات عنوان النجاح
نابلس فى

كونى سعيده يا ملاكى الطاهر لأن سعادتك هى سعادتى فى هذه الحياه وآلامك هى آلامى لأن من احب تألم ومن تألم لأجل الغير فهو محب مخلص . فما الحب الا ومضه يقتبسها الانسان من ينبوع السعاده الخالده ونجمة الآمال التى تصعد بالانسان الى اعلى درجات المجد لأنه فى الآمال يحيا البشر سعيداً ويموت سعيداً . ولأن انت ذلك الكوكب المتألق فى سماء حياتى لأنك انت كنت لأول لحظه ولا زلت اعلى واسمى هدف اتوجه لأن اصل اليه فهل لرب الكائنات يوماً ان يرحمنى ويبلغنى مناى حتى اعيش معك ابداً واقتسم معك حياه هنيئه كما يستمد القمر من الشمس النور . فى ذلك الحين نعيش فى الحب نفسين فى جسد واحد وبعد الموت جسدين فى قبر واحد حتى اذا انبثقت الرياحين يوماً على قبرنا وامتصت اجسامنا كنا جسداً واحداً بعد الموت فى اوراق الرياحين برهاناً على حبنا فى عالم الوجود فان كان حبك هذا فهنيئاً لنا على سعادتنا والا فلا .

كم وكم فى ظلمات الليل اضمحل الى عالم الخيال فاعرج الى السماء حتى اشعر بالجمال واسامر النجوم النيرات واسمع اناشيد الملائكه ثم اهبط الى الارض على فراش ناعم منسوج من ايمان الحب والاخلاص ملون بدموعى قد هطلت لاجل الفراق واتصور بجانبى مليكتى مريم ام

مدرسة النجاح الوطنية بنابلس
تأسست سنة ١٣٣٧ه ١٩١٨م

الثبات عنوان النجاح
نابلس في

نمرة التلفون : (٤٢)
صندوق البريد (٧)

الفسيح بطرابلس وجولييت بجبال الكليد من ثم استيقظ
واجد نفسي في وادي الدموع وحيداً حزيناً لا من اتسامر
معه ولا من اشكو له امري وكلي على تحقيق الآمال.
اهدي سلامي الى صبحي بك وقولي له ماذا جرى في قضية جودة
وبلغي سلامي الى ابراهيم بك وعائلته،
الى مرتا العم وام احمد واحمد واخوتك يوسف اذا كان في بيروت
شهيرة
منيح ـــــ سا فيدت حاره
ابو قحطان ومدامته
محمود صالح ووالدته
منيرى الالمانيه
وكمال بك وكل من يسأل عنا بطرفكم

جورج

مررنا على طبريا وانا آت الى نابلس فما حضيت في السمت
زينب وانت سريعاً ورجعت نهار الخميس الماضي فما ~~وجدتهم~~
وجدتهم. اذاً ارجوك ان ترسلي لي الادريس حتى
تلفونك القادم

الثبات عنوان النجاح
نابلس في ٢ مايس

تلغراف التلفون : (٤٢)
صندوق البريد (٧)

عزيزتي مليحه

تدجى الليل وهطلت الانواء والجبال الشم تستر هباء الضباب وكان البرق شديد السطوع يبلع السحاب ويهزم السدف ويأتي بالجديد ان مابين هنيهة واخرى وانا منعزل في كهف احلامي بعيد عن العالم مناجياً شيخاً هرماً في الندم وعجب. قلت يا ايها المتعبد والشيخ الجليل كيف تعيش وحيداً بدون احباب وخلان ؟ قال كنت فتياً وصعد بي السرور على حبال الحب حتى هرمت وتقطعت تلك الحبال والان اكابد مرور الزمن في عذاب الهم. قلت هنيئاً لك يا ايها المحترم لان امالك قد اضمحلت واصبحت وحيداً في هذا الكهف عالماً اين انت وكيف تعيش وانا ويلي انا قد تيمني الحب وشتتني ايدي القضاء والقدر في اسهم نارية احرقت حبال وصالي بحبيبتي والان اكابد مرارة العيش لان هذه الديار خالية من الاحباب والخلان.

مليحة كنت يوم كنت بجانبك ارى بهجة الفردوس وزهرة النعيم وقلبي كان يرقص طرباً عندما كنت تبتسمين لوجودي بين يديك وتبكين لذكرى الفراق. اه على تلك الدقائق التي مرت بنا كأنها الرؤى التي اصبحت ذكرى الماضي يوم كان لطفك وحنانك ينبوعاً ارشف منه

مدرسة النجاح الوطنية بنابلس تأسست سنة ١٣٣٧ – ١٩١٨

الثبات عنوان النجاح

نابلس في

نمرة التلفون : (٤٢)

صندوق البريد (٧)

كأس السرور في ساعات اللقاء. اعترف الآن يا صديقي عن فؤاد
صادق لقد كنت في كل وقت وجدنا بالقرب منك ترامت نفسي
على شفتيك الورديتين وخدك الاسيل وكانت سهام
عيونك تصل الى اعماق قلبي حتى اشعر بالجمال وجنات
الله العاليات. ان نفسي الآن غريقة في عقال الاوهام
لأنهم معنى للجمال وعقلي اصبح غير حاس ليذهب بي
الى عالم الخيال والحور. نعم كنت سعيداً لا احسد احد
على سعادته ولكنه الآن انا تعيس وسبب هذه التعاسة
هو البعد عنك لأنك اصبحت والله انت الروح التي تحر
كني وكيف لجسد يعيش بدون روح.

اهدي سلامي الى ابراهيم بك وعائلته وقدمي له محارة هل مع الافرنسيه
للاحباب وبلغ سلامي ايضاً الى الشيخ صبحي بك وعائلته وقل له هل اتاه
مكتوب منه لبغداد من القنصل الافرنسي؟ اهدي سلامي الى ام
احمد وكل اهل بيتها وقبلي عني اياديه مرتين ام صلاح وسلمي لي
على منى ومنيره وشهيره وكمال. سلام خصوصي للعائلات
ام رياض. والسلام مع قبلات حارة.

ذهبت اليوم الى القدس فما وجدت الى الآن الثوب
الذي تريده ولكن قيل لي بأنه في مدة اسبوعين سيصل وسيخرج
من الخياط ثوباً جميلاً وعندئذ نرسل الى الكرام بنوكل

حبيبك
جودت

يوم الاحد في ٢٥ تشرين ١٩٦١

عزيزتي مليحه

قبلات حارة واشواق كثيرة. وصلت الى دمشق بكل راحة ووصلنا في
ذلك الـ... الذي تركتك فيه في بيروت وذهبت لعند ابن العم نجيب
تك خوري حتى أمضي الساعات القليلة الباقية من تلك الليلة. صباحاً
ذهبت الى البلد وركبت سيارة "المرسيدس" مع اثنين آخرين من الركاب
وابتدأت سيارتنا تمر بالسلام في البراري والقفار طول ذلك النهار والليل
معاً وفي اليوم الثاني الساعة التاسعة ونصف وصلت الى بغداد تعباناً
جداً فحممت ونمت الى الساعة الرابعة من بعد الظهر بـ... حال وصولي
لم اجد اخي في البيت وهو يأتي لأجل الغذاء. بعد الساعة الرابعة عملت مخابرة
تلفونية مع ابراهيم نجيب وذهبنا معاً الى غرفته وتحدثنا عن سوريا ومصير (؟)
حديثاً مهيجاً أكثر الاوقات لأن المذكور كان دائماً يسأل عن غزل. عند
الساعة السابعة رجعت الى البيت فوجدت اخي جالساً ... بعد الحلاقة
جلس لي بي وتحدثنا كثيراً عن امور سياسية وشخصية ثم ذهب ورجع
الساعة الثامنة ونصف وجلسنا على العشاء بشير وابراهيم وانا وابنه
الوزير يمازحنا ويهزل معنا فكانت ساعة من الزمن لطيفة جداً. كل
هذه الساعات مرت بي وانت في مخيلتي قاتل الله الايام التي جعلت كل
منا في بلد يموت حنيناً للآخر.
بيت محمد الجديد على الغاية من الجمال. ويزداد هذا الجمال مع
وجود سيارة جديدة من نوع "الدوج اللاندونية" ولكنه كل هذا
لا يسرني لأني ارى نفسي وحيداً بعيداً عنك. مهما العيش

وفرحاً ان ارى اشياءً جديدة فانك لا اشك لأن في قلبي غصة البعد
عنك والام الحب لشخصك وذوقك اللطيف.
في البوسطة القادمة سأخبرك عنه شغلي اذا ما رجعت الى
بيروت لان اليوم الاحد وغير ممكن الشغل او مواجهة مدير الشركة
هنا وسيري جداً انه ارى اشياء كثيراً لاجلي. اهدي سلامي الى
ابي عمك صحتي بيتك وطمنيني صحته. بلغي سلامي الى منح مشيرية وكمال ومزين
وناظمة وكل من يسأل عنا في طرابلس وودي لحبيبتك

جودت

لا تكتبي لي الى بيروت لاني لا اعلم
متى ارجع الى سوريا فاذا كنت وطولا
سأخبرك في الخبر القادم

جودت

نهار السبت في ١٧ كانون ثاني ٤٦

عزيزتي مليحة

قبلت جاره جاء مدير شركة النفط العام "مستر دنكلي" من حيفا وتكلم معه معالي الجادرجي الى مستشار الشركة بخصوص نقال الدول بأنه مستعد بكل سرور ان يوظفني في الشركة ولكن هو ذهب حالاً الى كركوك لذلك تأخرت عنك في الكتابة لكي لست منتظراً جوعة كل يوم حتى أراه وخبرتك بما سيكون

فهذا الصباح رجع "المستر دنكلي" من كركوك مع المدير في تلك البلدة ومعالي الجادرجي بك عزمني واخي حتى نتناول العشاء في بيته غداً ونجتمع مع المدير العام ومن اجتماعنا هذا سأخبرك عن النتيجة.

اما من جهة "لوبيب" فانه كتب الى المندوب الى مسيو ريكلو لدى الجمهورية اللبنانية والى مدام دباس وهو سيحضر بعد مدة الى سوريا ولبنان وسيتكلم لاجلي.

بلغي سلامي الى عمتك وعمتك ممنوع وشهيرة ومنيرة وكمال والى الشطورة الندوة واسلمي لمن عهدك

جودت

ت- أخوه محمد رستم حيدر

جاء في ديوان الشاعر الحاج عبد الحسين الأزري الصادر عن مؤسسة النعمان- بيروت ص ٣١٠-٣١٣:

«هو محمد رستم حيدر، من رجال السياسة العربية في فجر عهدها الحديث. ولد ببعلبك سنة ١٨٨٩ وتعلم بدمشق وتخرج من المدرسة الملكية بإسطنبول، وأتم دراسته في جامعة السوربون، ومدرسة العلوم السياسية بباريس، وشارك في تأسيس جمعية «العربية الفتاة» وعين مديراً للمدرسة العربية السلطانية في بيروت. ثم أنتدب للتدريس في المدرسة الصلاحية في القدس، وفي السنة الأخيرة من سني

الحرب العالمية الأولى التحق بجيش الملك فيصل الأول، وبقي مشاوراً له، وذهب بمعيته إلى باريس في مؤتمر الصلح كمندوبٍ ثانٍ. وفي سنة ١٩٢١ جاء مع الملك فيصل إلى العراق، فعين رئيساً للديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك.

وفي سنة ١٩٢٩ عين وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة في بلاط شاه إيران على أثر اعتراف إيران بحكومة العراق. وفي أواخر سنة ١٩٣١ عين عضواً في مجلس الأعيان ثم أسندت إليه وزارة المالية فوزارة الاقتصاد مرتين. وفي أواخر ١٩٣٤ أعيد تعيينه لرئاسة الديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك غازي، ثم أنتخب في المجلس النيابي وعين وزيراً للمالية وبينما هو في مكتبه الرسمي سنة ١٩٤٠ دخل عليه مفوض في الشرطة وأطلق عليه الرصاص من مسدسٍ بيده فأصابه إصاباتٍ مميتة توفي بعدها. كان يجيد من اللغات بجانب العربية التركية، الفرنسية والإنكليزية.»

كنت أبتعد عن الأسئلة الحساسة التي أخشى أن تثير أشجان الشاعر وأحزانه، ولذا أخرت السؤال عن الشخصية المهمة في حياته بحسب تقديري.

أخيراً رأيت أنه لا بدّ مما ليس منه بدّ، فطرقت الموضوع من دون مقدمات.. سألته:

من الشخصية التي كانت أكثر تأثيراً في حياتك؟

فأجاب:

إنه أخي المرحوم محمد رستم*.. إنني أعتبره أبي وأخي ومعلمي.

---

* جرى حديث طويل بيني وبين الشاعر جودت حيدر، وأحسست أنه يحفظ الصغيرة والكبيرة من حياة أخيه وتعلمه وثقافته وأخلاقه ونضاله في سبيل العروبة، ومراكزه العليا التي تبوأها لدى الملك فيصل منذ التحاقه به في الثورة العربية الكبرى..

أحسست أن حديثه يحتاج إلى كتاب كامل. فقد كانت تأتيه الأفكار واحدة تلو أخرى متتابعة متسلسلة كأنها كانت على رفوف مكتبة مبوَّبة يتناول منها الفكرة التي يريد دون عناء ولا إضاعة للوقت.

تحدث طويلاً سلساً تارة هادراً تارة، لكنه كان في كل حالاته، وكل نبرة من صوته قلبه يقطر حبّاً لأخيه، ويظهر التقدير الشديد له. ولما كان هذا الكتاب كتاب مذكرات يودُّ الشاعر أن يكون الحديث عن أخيه مقتصراً على علاقتهما. أما التاريخ.. تاريخ المرحوم محمد رستم فحاول الابتعاد عنه في هذه المذكرات تاركاً تسجيله للتاريخ، وإن كان قد تحدث لي بشكل مفصل ومركز في جلسات كثيرة.

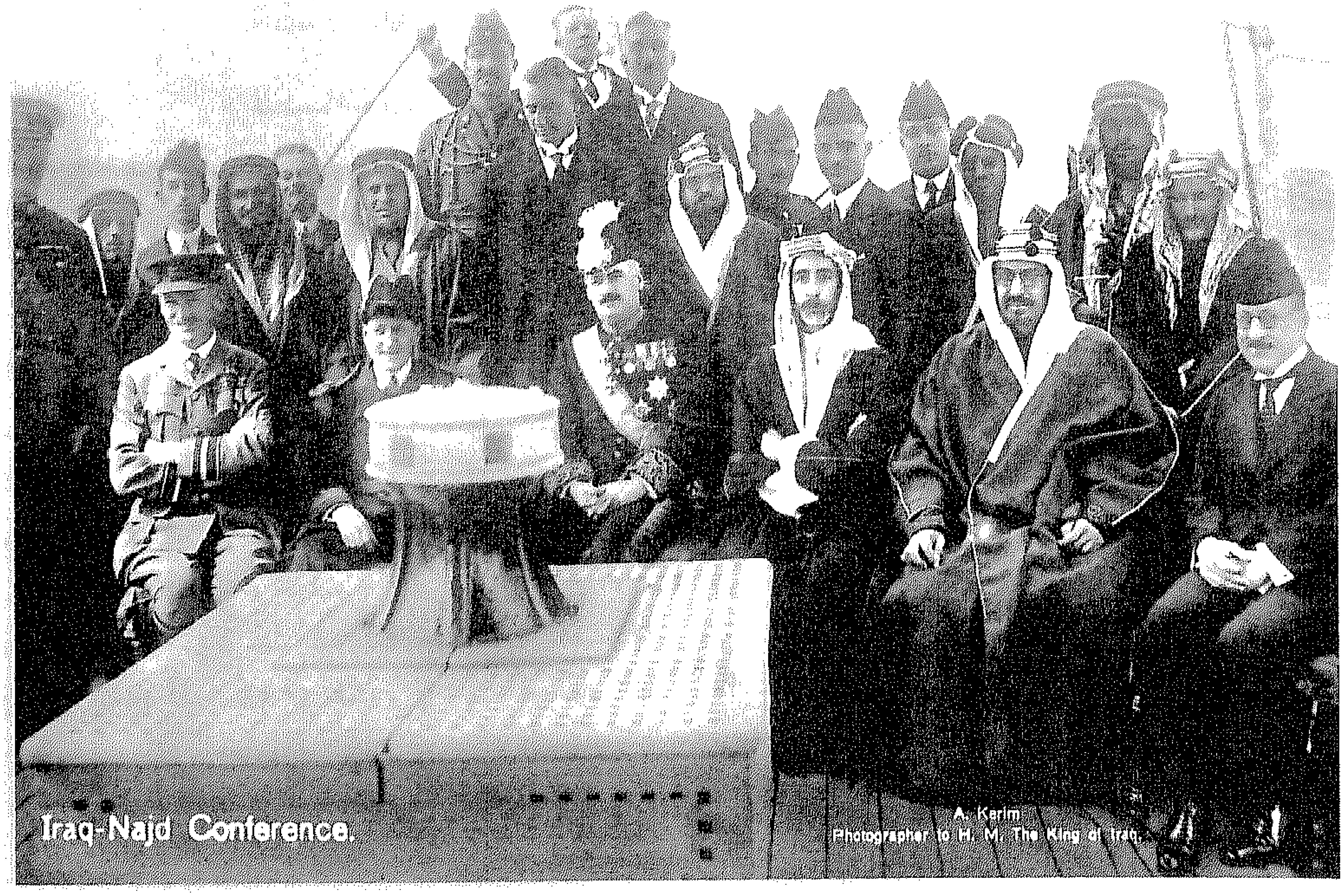

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وجلالة الملك فيصل الاول
ومن خلفه رستم حيدر في مؤتمر نجد ـ العراق

كنت ألتقيه حين أحتاج لمشورته في الأمور المهمة، فأمضي إلى العراق، وأحد هذه اللقاءات يوم تركت الجامعة الأمريكية في بيروت مصمماً على الذهاب إلى الولايات المتحدة لإكمال دراستي فيها، كان في بغداد وبحضور الملك فيصل، ورأيت الشاعر محمد مهدي الجواهري خارجاً من البلاط آنذاك. وبعد سنين عديدة أرسل إليّ الشاعر الكبير ديوان شعره مع الإهداء مرفقاً بالرسالة الآتية:

دار الرافدين
للطباعة والنشر والتوزيع

سيادة الأخ الكريم جودت حيدر المحترم

أتقدم اليك بخالص تحياتي واحتراماتي ، وما أنت بالبعيد عني فحسبي ما أعرفه عن مكانتك الرفيعة وشرف بيتك الأصيل (آل حيدر) فضلا عمّا آمل من صميم قلبي أن لا تخونني فيه الذاكرة وان على بعد المدى أي وان على بعد ستين عاما أو ما يقرب من ذلك من أنني أتذكر لشدة الأواصر بيني وبين الفقيد والشهيد (رستم) من أنك زرته وهو رئيس الديوان الملكي ببغداد أيام كنت من حاشية الملك فيصل الأول ومن صفوة المقرّبين الى الملك نفسه والى أمين سرّه العظيم (رستم حيدر) الذي أودّ أن أعطيك صورة مصغّرة ودالة على أكثر وعلى أعزّ منها هو أن الفقيد وما ستطلع عليه في كتابي الجديد كان مرجعي الأول والأخير في كل ما كان يعنّ لي من هذه المشكلة أو تلك ، وأنني الوحيد الذي كان الى جانبه في كل رحلات الملك فيصل الأول الى كل أنحاء العراق .

أخي الكريم ..

حسبي من الشواهد والأدلّة الموثقة على تلك الأواصر الوطيدة والعريقة بيني وبين الفقيد أن أقدم اليك ـ ولأول مرّة أتقدم به الى أحد غيرك ـ نموذجا صغيرا من هذه الحلقة المرفوعة على يد الأخ النبيل محمد سعيد الطريحي عن عهد الملك غازي ومقتل الشهيد رستم في كتابي الجديد من نوعه وبعنوان (ذكرياتي) والذي سيكون لي شرف تقديمه اليك خلال هذا الشهر ـ كما أتوقع ـ وفي بيروت نفسها حيث قد أنجز أمر طبعه أيضا .

انني أجيء بهذه اللقطات تمهيدا لما أتوقعه من نبلك وكرمك أولا ، ولحرصي الذي لا يقلّ أبدا عن حرصك أنت على تخليدي ذكرى الفقيد الجليل وعلى تقديمه الى الجماهير الغفيرة التي تودّ من صميم قلوبها أن تتعرّف اليه ، وذلك بأن تتلطف عليّ وعلى // دار الرافدين // الجديدة والتي تكاد تسمّى بـ (دار الجواهري) لتكون هذه الذكريات عن الفقيد تتويجا لدار الرافدين .

وأخيرا فهذا جلّ ما أتمناه ويتمناه الناس معي كما أشرت ، ولك الفضل على أيّ حال .

دمشق في ١٩٨٨/١٢/٣

محمد مهدي الجواهري

[توقيع]

ـ قصر السبكي ـ شارع الروضة

سوريا ـ دمشق ص.ب ٤٢٥٣
DAR AR-RAFIDAIN
Syria - Damascus PO BOX 4253

فأجبته بالرسالة التالية:

بيروت في : ١٩٨٨/١٢/٢٣

دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيـــع
جســر السبكي - شارع الروضـــــــة
دمشـــــق - ســـــــوريـــا

سعادة الاخ الكريم محمد مهدى الجواهرى المحترم •

ســـــلام وتحيـــــــة ،

عندمـــا قرأت كتابكم المرسل الي والمشكور ركبت خيول الذاكرة ورجعت في طيات الزمان مسرعا اربعة وستين عاما الى الــــوراء • تراني الان وانا اكتب اليك هـذه الرسالة قلمي في بيروت وخيالي في بغداد جالسا مع المغفور له الملـــــك فيصـــل الاول والمرحــوم اخي رستــــم •

ان للايام منعطفاتها وغرائزها فان ذهبت كان الموت وان تردت كان الصبـر منفذا لها • الصبـر في نظر ى هو الزمن لان الزمن ملا كـان الا ان يكون سـر الخلـود والخلود ســر ما كان ان يكون •

كتابك " ذكـريات " سيكون مرجعا لحقبـــة من تاريخ العـرب ، مرجعـا لاشخاص ماتوا وفي خيالهم الامـة العربيـة وطنا واحدا موحـدا • الحق في كتابك يا اخي سيكون درسا للذين نسـوا او تناسوا اوطانهم •

أما بعد فالذى تصبو اليه قد تحقق وقد طبعت مذكرات المرحـوم رستم وسيجرى توزيعها بواسطة الدار العربية للوثائق وانني مرسل لكم نسخة منهـــــــا مع تقديـــرى وخالـــص احتـــرامي •

أما انا فقد صدر لي ديوانان من الشعر في اللغة الانكليزية وانني بصدد نشر الديوان الثالث واكون جد مسرور ان تتيح لي الفرصة لكي اطبعه في " دار الرافدين " اى " الجواهري " .

آملا ان نلتقي قريبا لنتكلم عن الماضي وذكرياته وعن الحاضر وتنبوآته والله يعلم ما في الصدور .

وبالختام ارجو ان اراك بصحة تامة
يا شاعر الوطن المخلص والفيلسوف الخالد .

جودت حيدر

وكنت ألتقي أخي يوم كان يأتي إلى بعلبك، وأذكر يوم جاء معزياً بسعيد باشا سليمان حيدر.

كانت هذه اللقاءات حلوة وكنت أتمنى لو كانت أكثر، أو لو كنت دائماً إلى جانبه، غير أن أعماله الكثيرة من جهة، واهتمامي بمستقبلي من ناحية ثانية جعلاني أقبل بهذا القدر القليل من اللقاءات.

إثر انقلاب بكر صدقي في العراق سنة ١٩٣٧ اضطر أخي لترك بغداد والمجيء إلى لبنان، حيث بقي عندي في طرابلس فترة من الزمن زدت فيها تعلقاً به وإعجاباً بأخلاقه، وكنت آنذاك في شركة البترول العراقية، ثم سافر بعدها إلى أوروبا.

اغتياله ومأتمه ومدفنه

سنة ١٩٤٠، وأنا جالس في مكتبي في دير الزور/ سوريا جاءني اتصال يقول بأن طائرة شركة النفط العراقية قد أرسلت من حيفا على جناح السرعة لتقلّني إلى بغداد لأن أخي قد أُطلق عليه الرصاص في مكتبه بوزارة المالية العراقية.

أخبرني ناقل الخبر هاتفياً أنّه حيّ، غير أن حالته خطيرة، وقد نقل إلى المستشفى الملكي، والدكتور كروكشن يجري له عملية في بطنه.

رحت أكلم نفسي.. وقد راودتني خواطر فيها أمل، وأخرى تنهك عزيمتي وتهدّ قواي فأستنجد بالله

ترى هل أجده على قيد الحياة؟ هل أنعم بشفائه وعودته إلى عمله بجده المعهود؟ هل سيعود رستم إلى رياضته (رياضة المشي) التي لم يتخلَّ عنها يوماً؟

كم أتمنى أن يشفق عليّ الله ويبقيه...

وتأتي الأفكار قاتمة سوداء.. قد يكون فارق الحياة، وما هذا الكلام الذي أخبرت به إلا نوعٌ من المسكّن ريثما أصل إلى بغداد..

لا.. لا أريد السماح لهذا الخاطر.. فابتعد أيها الشؤم.. إنه بخير إن شاء الله

ما أن وصلت إلى بغداد وترجلت من الطائرة حتى هرعت كأسرع ما يمكن أن يهرع رجل إلى المستشفى الملكي فطلبت الدخول، وجاءني الجواب: إن الدخول إلى غرفة رستم ممنوع.. ثم تراجعوا عندما علموا أني أخوه.

سمح لي بالدخول.. دخلت وكلمني، وأحسست أن حالته ليست خطرة، وأنه لا بد سيتماثل للشفاء بسرعة، ولكن الذي نغص عليّ تلك الأيام الثلاثة في بغداد قول الدكتور أحمد قدري: إن وضعه دقيق للغاية وغير مطمئن..

بعد ثلاثة أيام كنت في منزل حسين أفنان مدير السكك الحديدية حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً لما جاءتني مخابرة من أخي يطلب فيها الذهاب إليه حالاً.

ما أن سمعت الكلام حتى مضيت سريعاً تراودني مخاوف تقبض على قلبي قبضاً شديداً. فعلاً كنت خائفاً جداً..

دخلت غرفته فأحسست أن مخاوفي هذه المرة في محلها.. كانت حالته قد ساءت وتنذر بشيء لا أريد أن أراه..

قال لي: جودت لقد بدأت أحزّق، وهذا دليل على أن الالتهاب بدأ في عمليتي، وسأنتهي بسرعة. لذلك أوصيك:

أولاً: عليّ دين ثلاثمائة دينار عراقي لدائرة الأوقاف سدّدها عني يا جودت وأنا متأكد أنك ستفعل

ثانياً: عليك مسؤولية الاهتمام بالعائلة فلا توفر من أجلها جهداً.

ثالثاً: خذوني وادفنوني في بعلبك.

وسألته عن أسباب الحادث، وإذا ما كان يتهم أحداً، فأجاب. لا.. لم أوذِ أحداً طوال حياتي، وقمت بعملي بما كان يمليه عليّ ضميري، لذا أنا مرتاح.

لا تتهم أحداً يا جودت.

لديّ أوراق بخط يدي خذها وحاول طباعتها، فهي مهمة..

يجب أن تطبع هذه المذكرات.

أطلب منك أن تكون صادقاً مع وطنك ولو قست عليك الأيام، وخانك بعض من تحسب أنهم لا يخونونك، وقلب لك الدهر ظهر المجنّ.

كن صادقاً مع وطنك لأن كل ذرّة تراب في الوطن تفدى بالروح..

كن مع وطنك دائماً ولو لم تصل إلى حقك فيه.

اعمل لوطنك بكل ما أوتيت من قوة فكر وساعد، وسيذكر التاريخ للعاملين الشرفاء أعمالهم، وللمتآمرين آثامهم.

أعطني خدك لأقبله قبلة الوداع...

ثمَ أسلم أخي روحه إلى بارئها، وأحسست أنني كطائرٍ كسر جناحه.. حاولت أن أتماسك وأن أقوى، لكن عبثاً لأن أمثاله يحق أن تبكي عليهم البواكي، وأن تمتلىء القلوب عليهم أسىً وحسرة.

وأصدرت الحكومة العراقية مرسوماً بدفنه في المقبرة الملكية قاطعة عليّ الطريق بنقله إلى بعلبك.

حاولت، وراجعت المسؤولين، لكنهم أبوا.

كنت أقرأ الصحف، وأستقصي عن المجرم الذي قتله، والأسباب الكامنة وراء الجريمة، ولكني كل مرة أعود إلى وصيته وقوله في آخر ساعة التقيته فيها وهو على قيد الحياة.

«إنني لا أشك بأحد.. ليس لي عدوّ.. لم أوذِ أحداً طوال حياتي.. قضيت عمري في سبيل الوطن والعروبة».

الوداع الأخير:

وحان وقت الوداع الأخير، فمضى أخي إلى جوار ربه، وبقيت أنا كمن ليس له في الدنيا أحد، اللهم إلا هذه المسؤولية الجسيمة التي حمّلني إياها في وصيته الأخيرة.

عُينت الساعة التي ينقل فيها الجثمان إلى مثواه الأخير، وخرجت بغداد عن بكرة أبيها لوداعه، واصطفّ الأهالي على جانبي الشارع المؤدي إلى المقبرة الملكية، وطوله حوالي سبعة عشر كيلو متراً.

وإذا نظرت إلى أعالي السطوح لا تجد إلا نساء متراصات يوحين لمن رآهنّ أن نساء العراق كما رجاله قد خرجن دون استثناء لوداع الشهيد الذي قال لي في لقائنا الأخير: «ليس لي عدوّ».

كانت النساء يصرخن ويعولن ويدعون على الجاني المجرم.

وجاء آلاف من على ضفاف الفرات يودعون الذي كان نائباً عنهم، وجاءت عشائر جدودنا بني أسد لتلقي التحية على الراحل الغالي وتودعه الوداع الأخير.

في خضمّ هذا الحشد الكبير كانت الجنازة تشق الشارع إلى المقبرة الملكية.

ورغم حزني الشديد على أخي، كنت حين أنظر إلى الناس والدموع تنهال من عيونهم أشعر بعزّة تبلغ الذروة، وبفخر بالرجل المناضل في سبيل وطنه وعروبته، والذي عمل طوال حياته لإعلاء شأن أمته ورفع مستوى كل فرد شريف فيها.

وكنت أحسّ أن الدنيا كلها قد لبست ثياب الحداد لوفاة الشهيد.. وكان هذا الشعور حقيقة، فقد أفاضت الصحف العراقية والعربية والعالمية في نشر المقالات والحديث عن سيرته ومزاياه، وعن نضاله المتواصل، كما ألقيت في المجلس النيابي العراقي الكلمات المؤثرة في رثائه، ونكست الأعلام ثلاثة أيام حداداً.

وعلى الرغم من ذلك كله، كنت أحس أنني وحدي الذي فقد أخاه وسنده.. حزني يساوي حزن هؤلاء الناس جميعاً، وأولاً وأخيراً المأساة بشكل خاص ودقيق مأساتي أنا.. والحمل بعد رستم سيكون عليّ ثقيلاً.. رغم أني لم أعبأ طوال حياتي بالصعاب، فكانت قوتي بوجوده إلى جانبي.. وعاد الفكر إلى الوراء.. وخرجت بالنتيجة التي رافقتني طوال حياتي في كل أزمة، ويوم يتكالب الدهر بمصائبه لينهشني، كانت النتيجة: يجب أن أتماسك وأقوى على الدهر وأتحمل كل المسؤوليات التي طلبها مني وأريحه في مثواه لأني نفذت وصاياه.

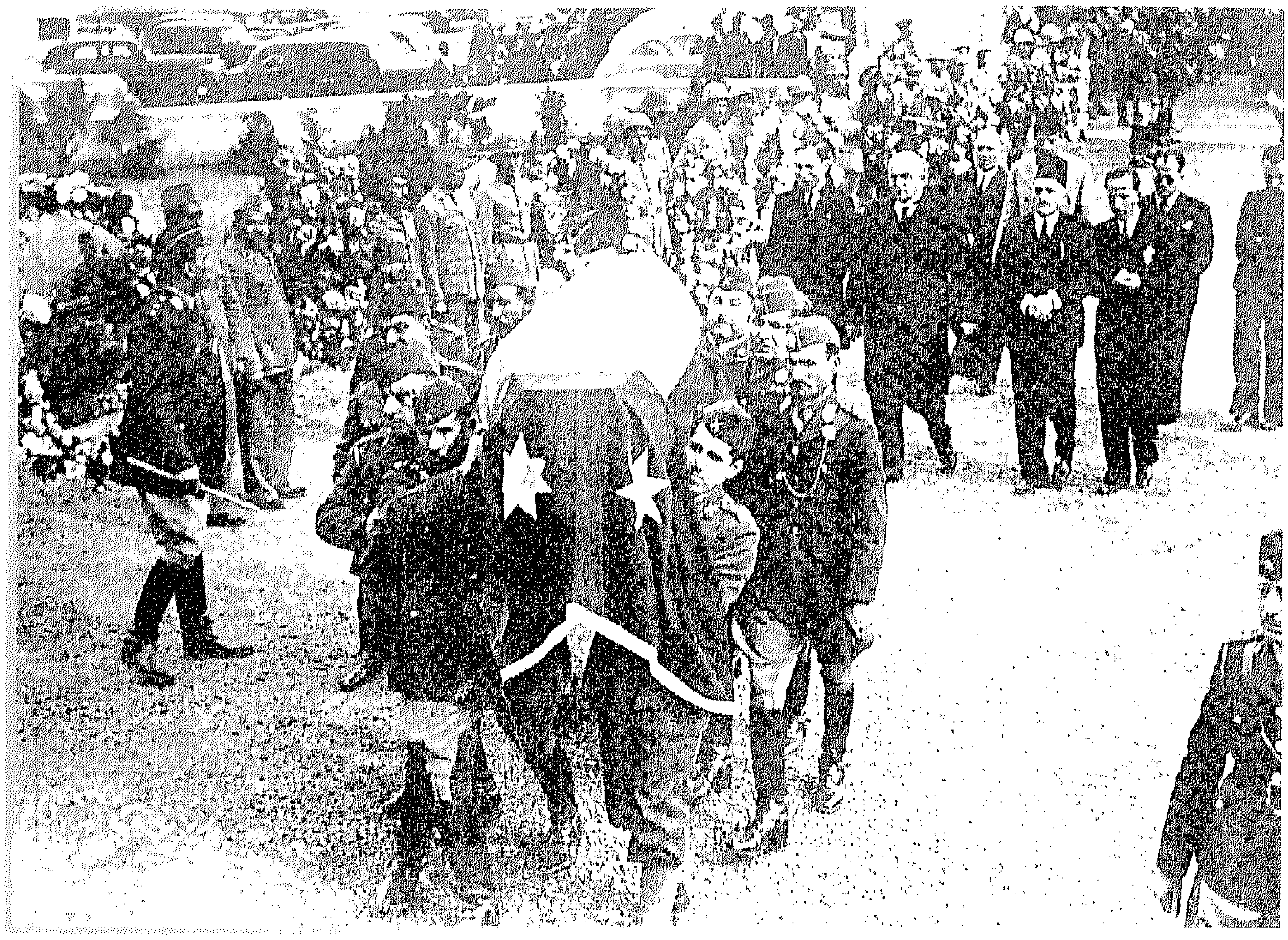

جثمان رستم حيدر محمولاً إلى مثواه الأخير في المقبرة الملكية بالأعظمية ووراءه افراد أسرة حيدر

المرحوم الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وإلى جانبه السيد جودت حيدر، أمام نعش رستم حيدر

المقبرة الملكية بالأعظمية (بغداد) حيث يرقد رستم حيدر

وتوالت عليّ برقيات التعزية من كل مكان.. من البلاد العربية.. أميركا وأوروبا، وكل من يعزيني يشعرني بحزنه العميق، وبخسارة البلاد العربية علماً من أعلامها الكبار، ولم يقصِّر الشعر في هذا المضمار فقد تبارى الشعراء من شتى أقطار العرب يرثون الفقيد الكبير، ومن كبار الشعراء الذين قالوا الشعر في رثائه: الشاعر البعلبكي، شاعر الأقطار العربية وأحد أقطاب الشعر العربي في عصر النهضة خليل المطران الذي رثاه بالقصيدة الآتية:*

روِّعت بالفراق بعد الفراق ... وبها ما بها من الأشواق

«بعلبك» تبكي وليداً تردّى ... نازحاً واحتوته أرض «العراق»

كان سلوانها رجاءَ تلاقٍ ... أين أمسى منها رجاء التلاقي؟

لا تخافي اغترابه، وتخالي ... أن بُعداً تباعد الآفاق

* ديوان الخليل، الجزء الرابع، دار الكتاب العربي-بيروت، لبنان (ص ٢٤٠-٢٤٢)

إنما النأي في اختلاف المرامي … وتنابي الخلال والأخلاق
ليس في موطن الكرام اغتراب … لكريم الأصول والأعراق
لحد ذاك الفقيد إن ضنّت السحب … سقته سحب من الآماق
ويحيّي حجيجهُ العزّة القعساءُ … في هيبةٍ وفي إطراق
«رستم» كان في العراق من القو … م وزكّى دعواهُ بالمصداق
عاش فيها محبباً وحبيباً … مخلصاً وُدَّه بغير مذاق
مالكاً منهم القلوب بزينا … ت السجايا وبالطباع الرقاق
قمر سابق الظنون ولم ير … ع أواناً لمثله في المراقي
أترى كان ذلك الوثب منه … في المعالي معجِّلاً للمحاق؟
أيُّ جانٍ سما إليه فأجرى … دمه الحرَّ؟ تبّ أهل الشقاق!
ذلك الرهط بئس ما تركته … من تراث أيام الاسترقاق
لو أبيد الأشرار لم تف إلا … دية المجد بالدم المهراق
وفدًى للإخاء بين شعوب … الضّاد أغلى النفوس والأعلاق
ويلهُم، ما أفادهم أن يثيروا … فتنة من خبائث الأعماق؟
أحنقوا أُمّهُ عليهم وزادوا … ذمّاً للقتيلِ في الاعناق
نحن في حقبة تحوّل حال الخلق … فيها عن شرعة الخلاّق
عاد فيها ذو المبسم الحلو أضرى … من ذوات الأنياب والأشداق
أين دامي الأظفار من قاذف النار، … وَمُفْني الديار بالإحراق؟
ومعيد النسيم سُمّاً زعافاً … ومبيد السفين بالإغراق؟

لكأني بالعلم سخّر فيها بأسه للطغاة والفُسّاق
والحِمام المصيَّرُ في الكون، من يعلم سرّ البقاء غير الباقي؟
محنة إن تك المنية منجاةً فمنها، والفوز للسبّاق
بل لعلّي شططت في الحكم والأحكام لا تستقيم في الإطلاق
قد يجيءُ الخير الكبير من الشرِّ إذا جاز ما له من نطاق
يا فقيداً مثاله الحيُّ لن يبرح ملءَ القلوب والأحداقِ
أمّة العرب ذاقت الهون أحقاباً طوالاً، والهون مرّ المذاق
كيف تنسى فضل المنادين بالوحدة والواضعين للميثاق؟
والألى أفنوا العزائم في ربط الأواخي وفي التماس الوفاق؟
فلتكن للعهد الجديد شهيداً خالداً بالذكرى عن استحقاق
كلّ بذل كما بذلت خليق بجزاء من الفخار وفاق
إلحق اليوم «فيصلاً» فلقد كنت لخير الملوك خير الرفاق
ولو الواجب المخلَّف لم يثنِكَ، لم تلف مبطئاً باللحاق
وأجبٌ مرهق التكاليف، أدّيت تكاليفه على الإرهاق
لك فيه بتٌّ قويمٌ، ورأي واسع الأفق، ساطع الإشراق
شئت من شئت في الوزارة بالحق ووفيت ما اقتضت من خلاق
وأتيت الإصلاح من حيث يؤتى في الأمور الجسام أو في الدِّقاق
يا بني «حيدر الكرام» أعزّيكم ودمعي من حرِّه غير راق
رزؤكم رزؤنا، وكالعهد في الودِّ خوالي أيامنا والبواقي
شاطر العرب حزنكم وتلظّى كل قلب لمجدهم خفّاق
عظّم الله أجركم ما صبرتم ووقاكم مكاره الدهر واق

أما أنا فرأيت في موته أن العالم يمشي ليدفن عالما:

Rustem Haydar

Go ye a pilgrim to Baghdad and look
At the world marching to bury a world
He, the tongue of wisdom in speech and book
Was shot and to the grave of time was hurled

Rustem, the mason of the Arab land
Was carving the pillar of liberty
From the firm Arabian granite by hand
A sign of valor, love and unity.

Feisal the great king knew he was the brain
The vision of hope to rebuild the empire
Like him rarely a man to live again
A man with a heart of prudence and fire

Truly the empire he planned in his mind
From the Atlantic to the Gulf to be
For the generations to come behind
A huge bastion of might and chivalry

At the grave they bid him farewell today
And the drum fire set the heaven to flame
He isn't dead, he's walking the years, they say
With the greatest name of glory and fame.

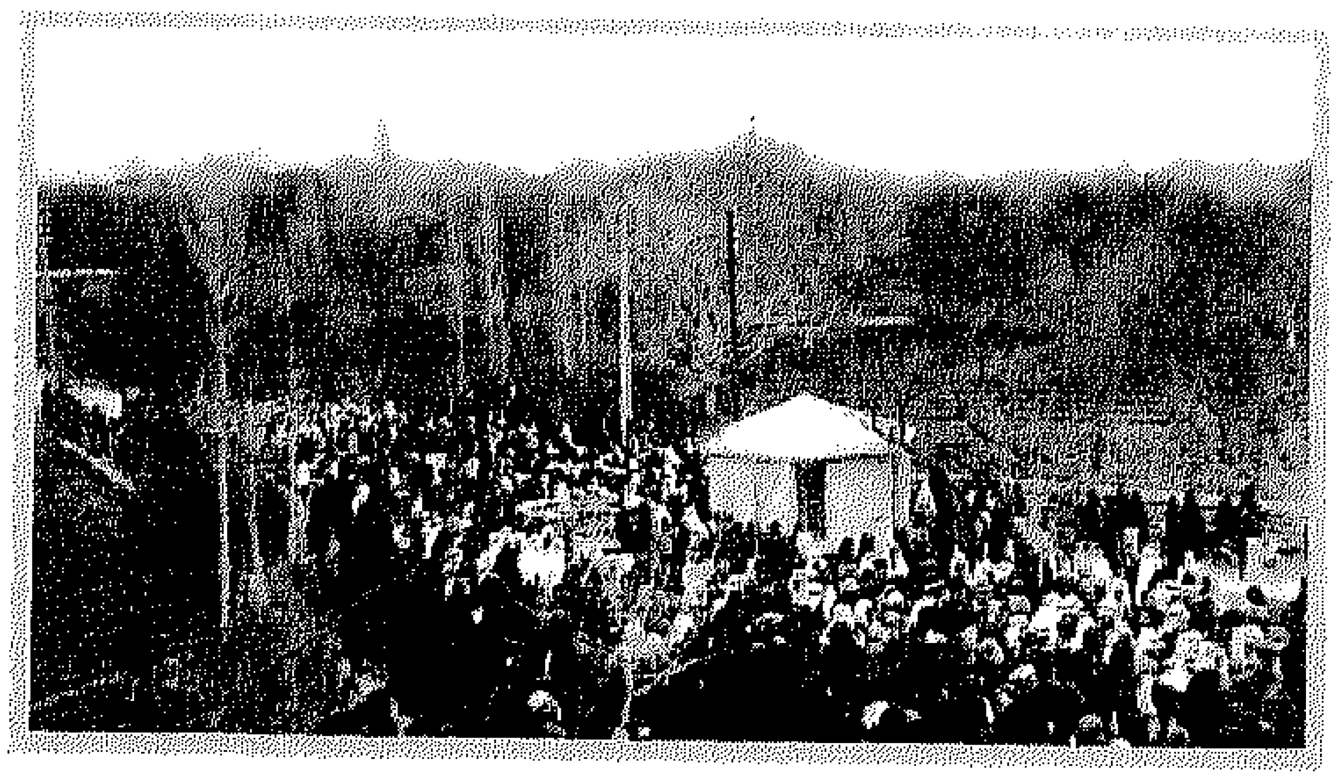

المعزون يؤمون منزل جودت حيدر في بعلبك

ث- وحيده بسام:

تحدث شاعرنا بحزنٍ وألم عن وحيده بسام وفقدانه إياه في عمرٍ مبكر فقال:

«أتم بسام دراسته الابتدائية والثانوية في ال IC، ثم أكمل تحصيله الجامعي في الجامعة الأمريكية في بيروت AUB.

وانخرط في العمل الصحفي في مجالٍ أحبه منذ صغره، المجال العلمي المتعلق بميكانيك السيارة. وبجد ونشاط وإصرار ناضل حتى حاز على امتياز «مجلة المحرك» بدءاً بالسيارة وانتهاء بالطيارة والصاروخ، وهي مجلة علمية اختصاصية تبحث وتكتب عن كل ما يتعلق بالمحرك، وهي أول مجلة صدرت في لبنان والعالم العربي في هذا المضمار.

غذّى مجلته بكل ما لديه من خبرات ومعرفة علمية ميكانيكية دقيقة، وما في طاقته من حب للعمل والدأب المتواصل.

كانت مجلة «المحرِك» تظهر في الأسواق، وتبشر بما يعمل له بسام، غير أن الذي منعها من مواصلة الطريق كما كان يأمل صاحبها هو أن قراءها كانوا قلة؛ فتوقفت «المحرك» عن الصدور. فتعاون مع سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث وكانت له زاوية خاصة تتعلق بالمحركات والطيران والفضاء..

كانت له طموحات عديدة تدور في إطار المحركات ابتداء بالسيارة حتى الطيارة والصاروخ.

كان رائداً من روّاد رياضة سباق السيارات في لبنان، والأول في نقل هذه الرياضة من هواية فردية إلى فن له طرقه وشروطه، وما «سباق الكارتنغ» في المريجة بضاحية بيروت الجنوبية إلا نتيجة لعمله وجده.

وقد نشأت هذه الرياضة في الأردن بتوجيه من جلالة الملك حسين الذي كانت تربطه ببسام صداقة قوّى أواصرها وشدّ وشائجها علاقة أصيلة بين آل حيدر والأسرة الهاشمية، نتيجة العلاقة المتينة بين الملك فيصل الأول ملك العراق وأخي محمد رستم حيدر.

اهتم بسام أيضاً بسباق سيارات، «الستوك كار»، وأجرى أول سباق من هذا النوع في المدينة الرياضية ببيروت.

وعمل كذلك على صعيد «الراليات»، فوضع فكرة «رالي» لبنان سوريا، ورسم خرائطها ومخططاتها، وقام بتنفيذها على أرض الواقع، آملاً أن يكون هذا الخط عاماً وشاملاً كل البلاد العربية، ومتحلياً بصفة دولية.

أثناء الحرب الأهلية غادر بسام لبنان إلى إنكلترا هو وزوجته وولداه جودت وجنين، وفي لندن عرضت عليه عروض مغرية، وقدّرت الشركات العالمية إمكاناته في مجال المحرك وعلى مستويات المحركات كافة.. وكان من الممكن أن يصل إلى درجة عالية لو أن القدر أتاح له فرصة من العمر..

لكن المرض العضال داهمه و لم يمهله..

في إحدى زياراته إلى لبنان كنت أمشي وإياه في حديقة بيتي ببعلبك وكان يشكو من ألم في ساقه.. وقطع حديثه الذي كان قد بدأه وتوقف قائلاً: بابا أحس أن دماغي لا يعطي ساقي الأوامر بالسير أو الحركة.

لم يقل هذه الكلمات حتى ملأ الخوف جوانحي، وسرى في كل عرق من عروقي..

مات بسام.. ومات فيه أمله وطموحه تاركاً فينا آلاماً ممضّة وحزناً عامراً، وغمامة سوداء قاتمة، وأثراً كبيراً في حياتي يضاف إلى موت أخي محمد رستم وزوجتي.

وتاركاً في نفوس أصدقائه ومعارفه ذكرى لا يمكن أن ينسوها..

وهذا نموذج مما كتب عنه بعد وفاته:

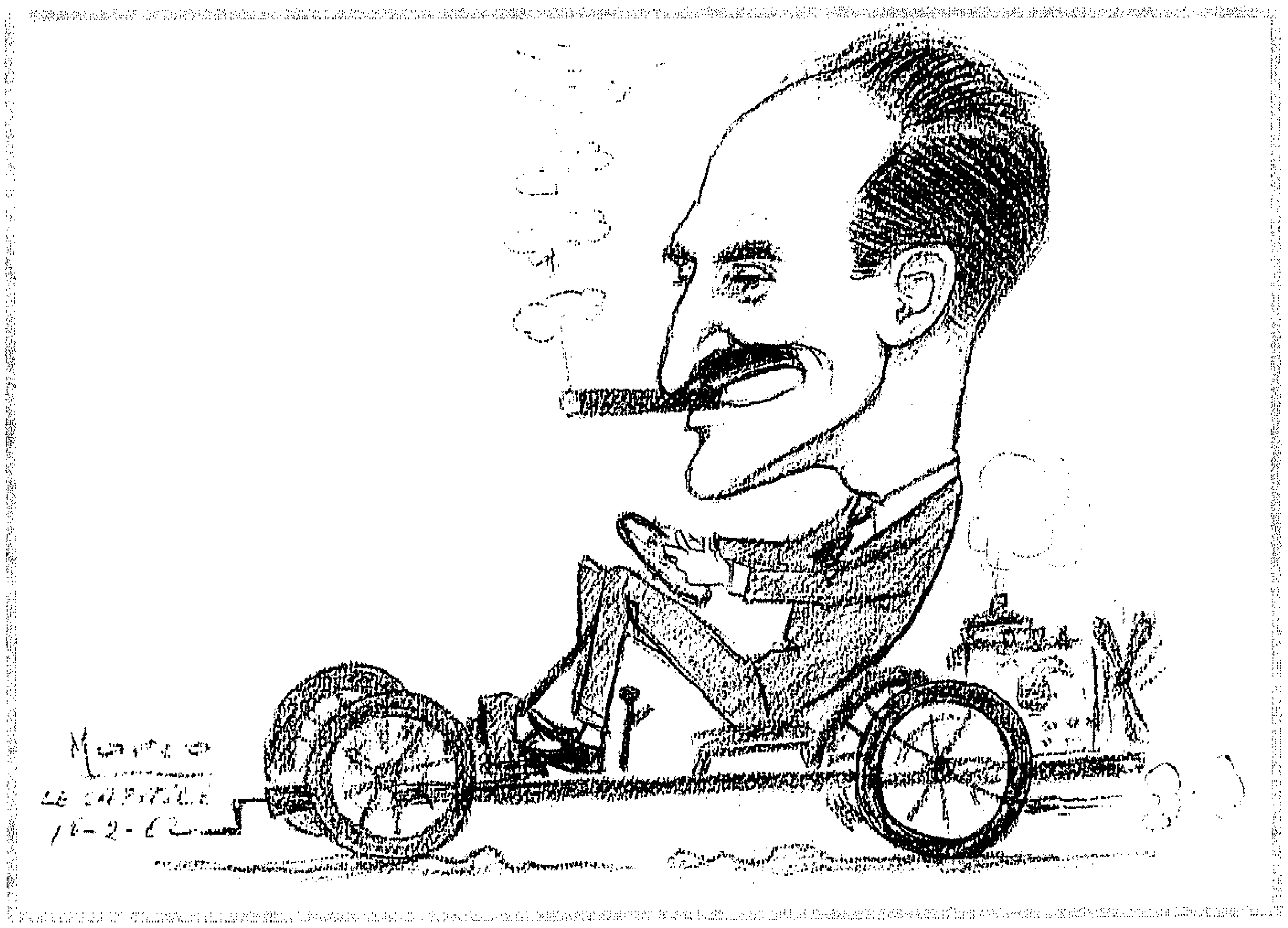

دائماً في القلب والفكر يا أستاذنا الكبير

(بقلم الصحفي ابراهيم فخري)

عندما التقيته في بداية السبعينات، في مكتبه في دار الحوادث في الشياح، لفتت انتباهي خوذة بيضاء لراكبي الدراجات النارية مهشمة الجوانب، يحتفظ بها في مكان بارز في غرفته المطلة على عين الرمانة. وعندما سألته عنها باستغراب،

أجابني مشيراً إلى الحادث الذي تعرض له على متن دراجته النارية، والذي كان لا يزال يعاني آثاره في رأسه وصدره، تأمل، لو لم أكن أعتمر هذه الخوذة لكان رأسي بهذا الشكل والغريب أنه حتى الآن، لا يزال المسؤولون عندنا يعتبرونها غير إلزامية لركوب الدراجة النارية».

يومها، اعتبر بسام حيدر نفسه، وإثر نجاته بأعجوبة من هذا الحادث المروع، قد ولد من جديد، وولادته الجديدة هذه كانت ضرورة ماسة للصحافة التقنية في العالم العربي، ومن دون أدنى شك فهو رائدها الأول.

فكرة إصدار مجلة تقنية تتعاطى كل ما هو ميكانيكي، وباللغة العربية، راودته وهو على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت، وكان يؤمن بأن النشء العربي، بحاجة لمثل تلك المجلة الناطقة باللغة العربية، وهي المفقودة من قاموس الصحافة العربية في طول العالم العربي وعرضه. وكان أن أصدر مجلة المحرك والتي تمكنت من الصمود فترة من الزمن، لتتوقف عن الصدور لاحقاً لا لشيء إلا لافتقارها إلى زيت الحركة والمتابعة، وبسام حيدر كان باستطاعته إكمال هذه الرسالة يومها، وهي غايته قبل كل شيء. إلا أنه كان يعز عليه أن يرتهن كغيره، ويقف مستجدياً على عتبة الكبار.

ولعل صراحته كانت تقف دائماً في طريقه، وعند مطالبته بالتروّي، كان يغضب ويجيب: «وماذا يبقى للإنسان إذا فقد حرية التعبير؟ أنا لن أختبىء أبداً وراء ظل إصبعي، وتأكد بأنني لن أموت من الجوع....»

الصحفي الكبير، سليم اللوزي آمن به وبطموحاته الكبيرة في إصدار مجلة عربية علمية موسعة، تتعاطى كل الأمور التقنية وكل آلة تعتمد المحرك في التشغيل، سواء كانت سيارة أو طائرة أو باخرة أو حتى صاروخاً، ووجد في هذا الرجل الإصرار الذي تميز به اللوزي عندما أصدر مجلة الحوادث في الخمسينات. وكانت مجلة الموتور الوجه العلمي للحوادث التي أدخلت إلى الصحافة العربية آفاقاً جديدة، ليتفرع عنها ملاحق الطيران والفضاء والسلاح والدفاع، ولتصبح ثلاث مجلات في واحدة، وكان بسام حيدر في هذه المجلة، الأستاذ والزميل والصديق لكل من عمل معه.

بسام حيدر، لم يكن بالصحفي الذي يكتفي بالجلوس وراء مكتبه وكتابة مقالاته التقنية فقط، بل كان رائداً من رواد رياضة السيارات في لبنان، وهو من الرعيل الأول الذين اهتموا بهذه الرياضة. فعشاق هذه الرياضة يذكرون دون شك، سباقات الكارتنغ في المريجة والتي عمل على نشرها في دول عربية أخرى مثل الأردن، والستوك كار في المدينة الرياضية خلال الستينيات، والذي كان منسقها الأول، حيث تمكن من إقناع عدة فرق دولية للاشتراك فيها، وكان له أكثر من نشاط على صعيد الراليات، بل كان أول من وضع فكرة وخرائط طرقات رالي لبنان سوريا الشهير، وقام بالتخطيط لها على الأرض مباشرةً. وإن كان غيره قد تولى تنفيذها. وكان من أهدافه الرياضية إقامة رالي يتحلى بالصفة الدولية، تجمع طرقاته الدول العربية في المنطقة. وكان شعاره دائماً: إذا كانت السياسة تفرق فالرياضة تجمع. ولكن بسام انطفأ قبل أن يحقق حلمه، وذهب فجأة ليترك غصة في قلوب من عرفوه حقاً. وإن غيّب الموت جسداً، فالطريق التي استكشفها بسّام حيدر ما زالت بانتظار سالكين جدداً.

لا نقول وداعاً يا بسام، بل أنت دائماً معنا في القلب والفكر يا أستاذنا الكبير.

بعد وفاة بسام انفطر قلبي وتفجر قلمي وبدأت الكتابة باللغة العربية، وكتبت هذه الأبيات:

«وجودي لا وجود»

وشوش وشوش وشوش شواطئك الرملية يا بحر*
بـأمـواج مـن السـبـق غـازيـات الـرمـال تـيـهـا
تتراجـع قـهـراً بـقـعـقـعـةٍ فـهـمـهـا غـامض
آه لو علمت ما بها لعلمت سر الوجود والخلود
شـــريـــط الحيـــاة وجـــود لا خـــلـــود
خـــذ مـــن الـــبـــحـــر عبرةً وامشِ يـــا صـــاح
عـــلـــى دروب الحيـــاة حـــكـــيـــمـــاً في الـــوجـــود
وخـــذ مـــن الـــطـــبـــيـــعـــة اخـــرى

* الصوت والمعنى واحد في هذا السطر

الشتاء مع قسوته يعطي الحياة عيشها
والربيع وردة خلقت لتموت
لولا قطرة الشتاء لا حياة لا ربيع لا وجود
مشيت مع الزمان شتاء
وقطرة الشتاء ما كان لها وجود
يا زماني ماتت وردتي وأنا تراني ذاهلاً
في وجدي لا وجود

A Shelter Of Tears

In Memory Of My Son Bassam

O time! What a trap of smiles you have made
My spring days were so delightful to taste
But now I feel the keen edge of your blade
I suffer take me to your bosom in haste

The tears in the eyes a lake of sorrow
Within a faint shadow talking to me
"Pa dry not the tears hence nor tomorrow
Keep them in your eyes a shelter for me

One tear means a universe of despair
So why weep and count the tears in the lake?
One would be more than sufficient to bear
Be patient, Pa, stop weeping for my sake

Dad take care of Mom, Jawdat and Janine
Love them as always I've loved them before
Sorry my journey so early had been
To be with my dear mother for ever more"

O time! Should you be so bitter of breath
Having mothered birth and the years of care?
Why without notice your warrants of death
Are mailed to the King of Terrors by air?

O Havoc! O the storm of life the rain!
Should the Spring die Winter remain!
Take me O God! to live with him again;
I suffer take me to live with him again.

* * *

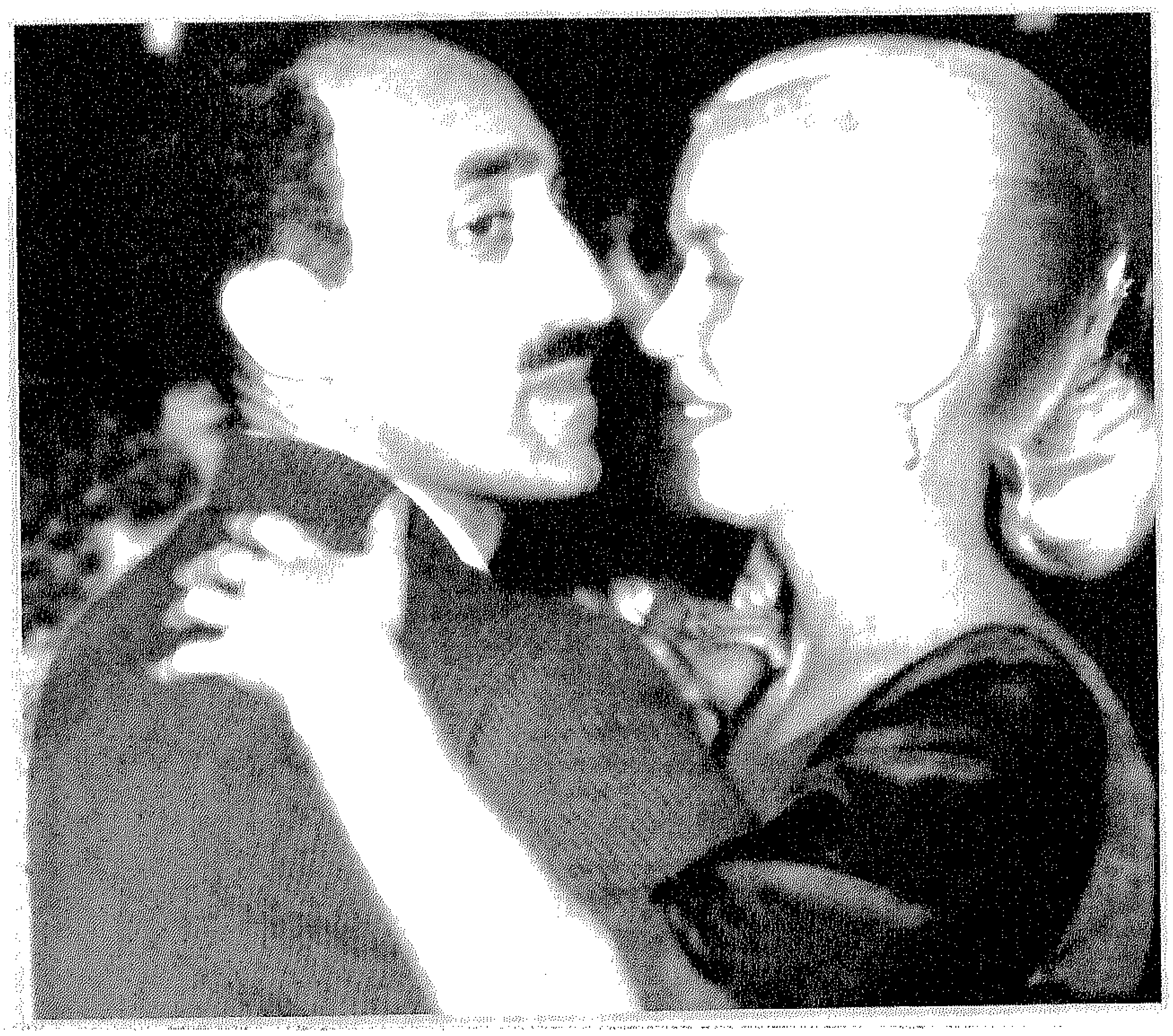

ميرتل وبسام

تزوج بسام سنة ١٩٦٤ من ميرتل مكنزي بعد قصة حب جميلة ورزقه الله بتوأم جودت (Jody) وجانين.

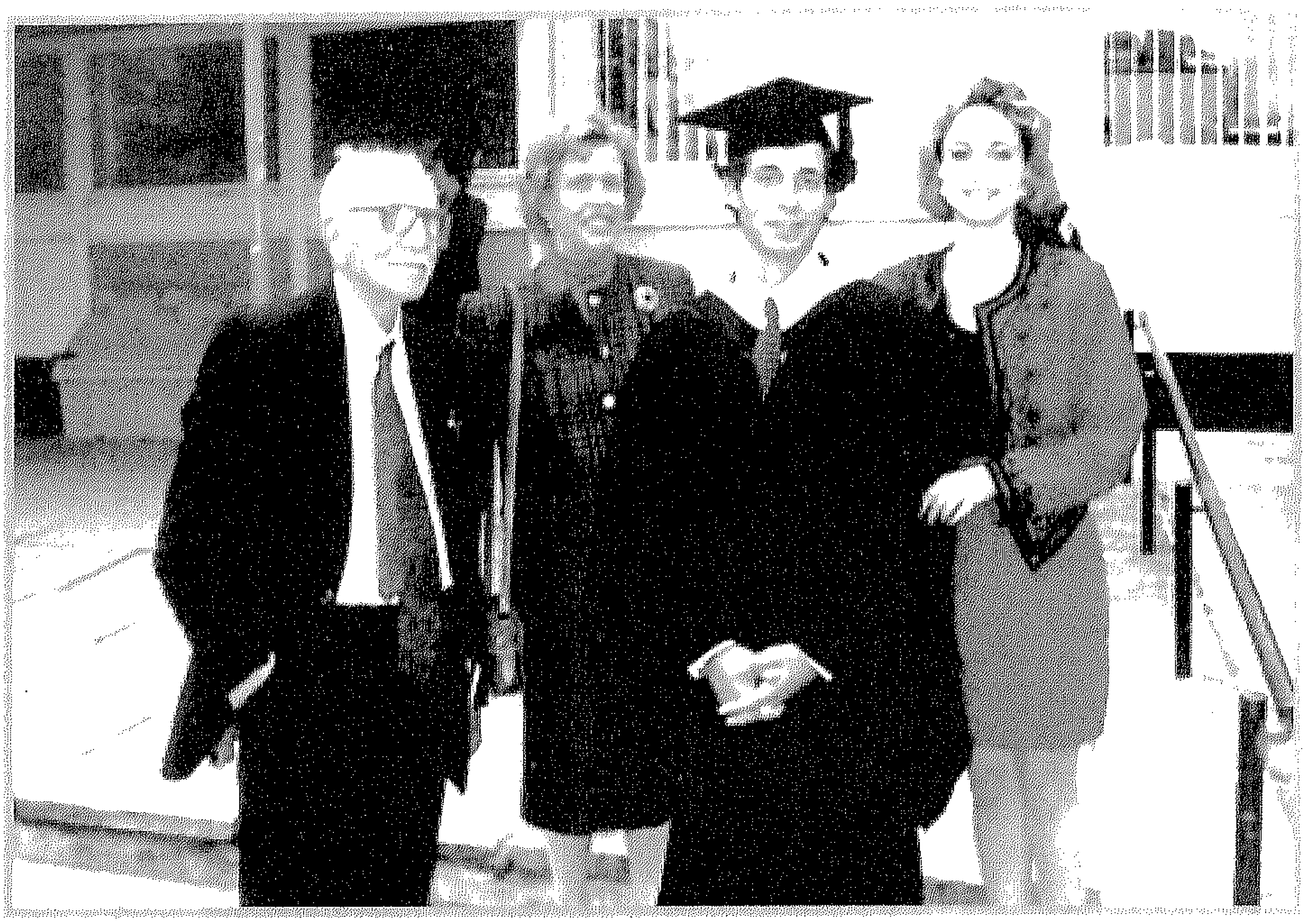

في أكسفورد يوم تخرج حفيده يحيط بهما ميرتل وجانين

كان بسام يحلم بأن يكمل أبنه جودت (Jody) علومه الجامعية في جامعة أوكسفورد في بريطانيا. وهكذا وقبل وفاته بعدة أشهر تبلغ جودت(Jody) قبوله في تلك الجامعة المشهورة وزف البشرة الى والده... كأن الله أراد أن يحقق لبسام أحد أحلامه قبل وفاته.

أتم جودت(Jody) تخصصه في تلك الجامعة المشهورة حائزاً على الشهادات العليا في مجال الهندسة المعمارية.

أما جانين فقد أكملت دراستها الجامعية في جامعة كنتنبيري في إنكلترا.

جودت وجانين

الفصل الخامس

في معترك الحياة

في معترك الحياة

أ- بعد شركة نفط العراق

بقي جودت حيدر في شركة النفط العراقية حتى عام ١٩٦٠ حيث طلب إعفاءَهُ من مهامه الوظيفية، وعاد إلى بعلبك من أجل خوض المعركة الانتخابية، ولما لم تحالفه الظروف عاد للعمل الوظيفي من جديد.

شغل منصب المدير العام في شركة فرج الله للمطبوعات ببيروت سنة كاملة. بعدها انتقل ليستلم الإدارة العامة لشركة Mid East and Auto Trading Co. التي كان يملكها آل الزاهد السعوديون. وبقي مديراً عاماً لمدة أربع سنوات.

ازدهرت الشركة أثناء ادارته، وازدادت أرباحها أمثالاً.

جودت حيدر مع دولة الرئيس رشيد كرامي وال زاهد

يتكلم جودت حيدر عن هذه المرحلة فيقول:

«كلفني أصحاب الشركة بالذهاب إلى لندن لشراء شركة Intercontinali. سافرت إلى لندن وكان برفقتي محامي الشركة الأستاذ أنطوان المالح رحمه الله (وهو صديق ونائب سابق في المجلس النيابي اللبناني).

بعد مباحثات طويلة أجريناها في لندن تمّ الاتفاق بيننا وبين الشركة على شراء ما لها في الشرق الأوسط (لبنان، الأردن، سوريا، العراق) بمبلغ خمسة وستين ألف ليرة لبنانية لا غير وهكذا تمت الصفقة.

كان لشركة Intercontinali مكاتب في مرفأ بيروت استلمت إدارتها إضافة إلى عملي الرئيسي كمدير عام لشركة .Mid East and Auto Trading Co.

بعدئذ ذهبت مصطحباً معي الأستاذ أنطوان المالح إلى روما للبحث في اتمام صفقة اخرى مع شركة إيطالية لصنع قوارير الغاز ومحاولة الحصول على هذه الوكالة.

قبل سفري طلبت من مدير البنك المركزي في بيروت تزويدي بكتاب إلى البنك الأميركي في روما، حتى إذا ما تمت الصفقة واحتجت إلى النقود أستلمها هناك.

أعطيت الكتاب الى مدير البنك الأميركي في روما، فسألني عن المبلغ المطلوب. قلت: الآن لا أحتاج أي مبلغ. وسأحتاج إلى المال إذا حصل اتفاق بيننا وبين شركة القوارير. ولكن الاتفاق لم يتم.»

وعند عودة جودت حيدر إلى بيروت عرف أن الكتاب كان مفتوحاً لأيّ مبلغ يطلبه لإتمام الصفقة وذلك لثقة المؤسسات المصرفية به.

يتابع شاعرنا ويقول:

«في سنة ١٩٦٣ أجرت الحكومة اللبنانية مناقصة عامة لشراء /١٥٠/ بوسطة للنقل العام لمدينة بيروت.

تقدم إلى المناقصة شركات عدة منها شركة «المرسيدس» الألمانية والشركة الفرنسية «شوسون» وشركة روسية وشركة Mid East and Auto Trading Company التي كنت أديرها.

تراوحت أسعار العرض بين ٣٥٠٠٠ ليرة للشركة الروسية و٦٠٠٠٠ للمرسيدس، أما الشوسون فكان عرضها بـ ٥٩٠٠٠ ونيف.

أما عرضنا فكان ٤٢٠٠٠ ليرة.

بعد فتح الملفات أخبرني رئيس لجنة المناقصة هاتفياً أن سعر عرضنا هو الأدنى بعد الشركة الروسية التي استبعدت لعدم الكفاءة الميكانيكية للباصات، وقد رست المناقصة على شركتنا.

انتظرت النتائج الرسمية التي لم تظهر إلا بعد فترة.

أخيراً علمت أن المناقصة رست على شركة الشوسون الفرنسية، لأسباب لا أزال أجهلها...........!»

استقال جودت حيدر من Mid East and Auto Trading Company سنة ١٩٦٥ بعد أن ارتفع دخلها أضعافاً مضاعفة، وأصبحت في عداد الشركات المهمة، وقامت ببناء مبنىً ضخماً مؤلفاً من أربعة وعشرين طابقاً في رأس بيروت.

أتته عروض عمل كثيرة غير أنه رفضها جميعاً ليتفرغ للأدب والشعر.

ب- مع مجرى الحياة

كانت للشاعر جولات في العمل السياسي، وأخرى في مجال الأعمال الحرّة، حالفه الحظ تارة، وحاربته المقادير أخرى، لكنه بقي في كلا الأمرين متبوئاً المركز الذي يستحقه، محفوظ المكانة في قلوب المسؤولين والناس.

يتحدث جودت حيدر عن أعماله الزراعية بهدوء قائلاً:

«وأنا في شركة النفط العراقية ضمنت أراضي بيت العابد اثنتي عشرة سنة، وهي عشرة آلاف دونم في إيعات وستة آلاف دونم في مجدلون، وكامل قرى معربون وحام وشعيبة وجميعها قرىً في سهل البقاع.

كان لي ولشركائي وكلاء يتولون مهام وشؤون هذه القرى.

كنا نزرع العدس في أراضي إيعات وأسقيها من مياه مقنة لأني كنت أملك أكثر أراضيها، فكنا ننتج كميات كبيرة من العدس، ونبيعها في فرنسا بأسعار جيدة.

على مدى السنين لقبت بملك العدس.»

من ينظر إلى الأعمال التي قام بها جودت حيدر يرى فيها تنوعاً يصل في بعض الأحيان إلى التناقض، غير أنه حين يدرس الموضوع بدقة ويعرف الرجل بما يحمل قلبه من حيوية، وفكره من ذكاء وتنظيم، يدرك أن كل هذه الأعمال المتناقضة في الظاهر متجانسة في العمق.

فمن ملك للعدس في لبنان إلى مزرعة للدجاج حاول أن تكون مجهزة ويُعمل بها على أسس علمية رفيعة، ويدخل فيها كل ما يُستعمل في الدول الغربية المتطورة من مكننة وعلم وأساليب.

في أوائل الستينات جاء إلى لبنان وزير الاقتصاد الأمريكي السيد روزفلت ابن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ودعينا إلى حفل كوكتيل في فندق فينيسيا. وفي اليوم التالي إلى عشاء في منزل السفير الأمريكي في اليرزة.

بعد العشاء جلسنا أنا والسيد روزفلت منفردين، وعندها سألني عن مناقصة البوسطات للنقل العام لمدينة بيروت، والتي جرت في العام السابق.

تكلمنا كثيراً وأخبرته عن مجريات المناقصة وإعلامي شفهياً بأن المناقصة رست على شركة Mid East Auto & Trading company وكلاء الشفروليه التي كنت مديرها العام. غير أن النتيجة النهائية كانت لصالح الشركة الفرنسية لأسباب عدة لا زلت أجهل بعضها.»

في جلسة في دارته ببعلبك راح جودت حيدر يحدثني عن مشروع ردم البحر، وأثار انتباهي فأصغيت إليه يقول:

«التقيت صديقي المهندس توفيق شاهين سنة ١٩٤٤، وفكرنا في مشروع لم يكن في ذلك الوقت يخطر ببال أحد، وهو ردم البحر.. بعد تفكير ومناقشات حاولت مع صديقي توفيق نقل الفكرة إلى حَيِّزِ التنفيذ، غير أننا اصطدمنا بعقبات كبرى أهمها الكلفة الكبيرة لهذا المشروع.

والآن بعد مرور نصف قرن ونيف نرى ما فكرت به آنذاك أصبح اليوم حقيقة، حيث ردم قسم من البحر محاذٍ لأوتوستراد الضبيَّة. كما يردم قسم مقابل ساحة البرج ببيروت، ويردم قسم من البحر محاذٍ للمطار لإقامة مدرج جديد».

ومنها انتقل ليسرد لي قصة تأسيس مجمع لاستيراد الغنم والماعز والبقر، في مدينة القامشلي السورية، وإنشاء مسلخ كبير يتبع الطرق الحديثة في ذبح المواشي وتنظيفها. وكان من المقرر إرسالها في سيارات مبرّدة إلى لبنان على أن تباع بأسعار أقل بكثير من أسعار السوق، ومن الشروط التي توضع على اللحامين الذين يتعاونون مع المشروع ويشترون منه لحومهم أن يضعوا اللحم في خزائن مقفلة من الزجاج ليصل اللحم إلى المستهلك نظيفاً مضموناً من الناحية الصحية، على أن تسلم اللحوم بأسعار أقل بكثير من السعر الحالي.

عرض المشروع على فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري فطلب منه توزيع ٤٨٪ حصةً كأسهم لغير مؤسسي الشركة.

بعد المناقشة تم الإتفاق بحيث يبقى للمؤسسين ٥٢ ٪من أسهم الشركة.

إطمأنَّ جودت حيدر إلى أن المشروع سيتم بنجاح، لكن هذا الاطمئنان لم يدم طويلاً فقال:

«وضعت المخططات للمشروع، ورسمت النماذج للآلات اللازمة. وبعد انتهاء التصاميم والمخططات أخذتها وأرسلتها إلى صديقي السيد فرنسيس كتانة الذي كانت تربطني به صداقة متينة، والذي ترك لبنان ليستقر في أمريكا، وطلبت منه تأمين المعدات من شركة كرايزلر التي كان يملك جزءاً منها، فأعجب بالفكرة ووافق على الطلب، وأخبرني ببدء العمل بصنع تلك الآلات.

عندها قام صديقي المهندس توفيق شاهين بوضع تصاميم المسلخ، وطلبنا رخصة لهذا العمل.

بعد فترة طلبني رئيس الجمهورية إلى مكتبه بحضور صديقي ميشال شيحا. افتتح فخامته الحديث قائلاً: سيكون لكم ٤٤٪من الشركة و٥٦٪ ستكون اسهماً حرّة. وأضاف قائلاً: سهم أو سهمين زيادة أو نقصاناً غير مهم.

عند ذلك قلت لفخامته: أنا لا أوافق على رغبتك وطلبك يا فخامة الرئيس، لأن هذا الطلب يسلبني حقي في إدارة الشركة، وأنا الوحيد الذي يمكنه إدارتها، لأنني شغلت عدة سنوات منصب مدير شركة النفط العراقية في دير الزور، وأعرف طبيعة البلد والناس، وأنا الذي خططت ورسمت لهذه الشركة وأعرف كل ما يلزمها وكيفية العمل فيها والكد والجهد الذي يجب أن يبذل لتبقى الشركة كما خطط لها وطنية ونظيفة لا يعتريها غش.

وعلى كل حال سيكون في الشركة مجلس إدارة من حقه مراقبة أحوال الشركة، ومعرفة الشاردة والواردة فيها.

قال: لا لا جودت بك. أنت كريم وشهم، ومتأكد من أنك ستسهل الأمور وتوافق على طلبي.

لكنني لم أوافق وأخبرت صديقي فرنسيس كتانة بالأمر، وطلبت منه بيع المعدات والآلات التي طلبت منه صنعها إذا أمكنه ذلك، وإخباري إذا كانت هناك خسارة لأتحملها.

وجاءني الجواب السار من السيد كتانة أن معدات بالمواصفات ذاتها كانت قد طلبت إلى المكسيك وبسعر أفضل، وهكذا انتهى مشروع يحتاجه الوطن، وأرجو أن يتحقق على أيدي أحد شبابنا.»

تابع جودت حيدر حديثه عن أعماله قائلاً:

«تركت شركة النفط العراقية سنة ١٩٤٠ لمدة من الزمن بعد اغتيال أخي محمد رستم حيدر وزير المالية العراقية آنذاك، وعدت إلى بعلبك.

وفي أوائل الأربعينات زارني في دارتي في بعلبك أصدقائي السادة إميل البستاني، عبدالله خوري، شكري الشماس، والمهندس فواز. وكنا زملاء في شركة نفط العراق.

بعد حديث طويل حول الماضي والحاضر والمستقبل، اتفقنا على إنشاء شركة تعهدات (CAT) على أن يكون لكل واحد منا ٢٠٪ من الشركة.

مع إميل البستاني

بعد إنشاء الشركة جاءني السيد إميل البستاني ليخبرني أنه يوجد في عاليه مركز للجيش الإنكليزي، ولديهم تعهد طرق لخراج قرية رأس بعلبك، ويمكن أن نحصل على هذا التعهد إذا كان أحدنا على معرفة من أحد الضباط الإنكليز الذين يملكون زمام الأمور.

اجتمعت بالميجر بافيت الذي كان يتردد على بعلبك لمقابلة قائد القوات الإنكليزية في البقاع الجنرال Freidburg الذي كان يقطن في أحد بيوتي في بعلبك. وطلبت منه مساعدتنا في الحصول على هذا التعهد، وفعلاً ذهب إلى دائرة المناقصات في عاليه، وفي اليوم التالي تم تبليغنا أن التعهد قد رسا على شركتنا الكات.»

قمنا بتنفيذ الالتزام الذي عاد على الشركة بربح قدره/ ٤٤٠٠٠ ليرة لبنانية، وتبعته عدة تعهدات رابحة غير أني طلبت انسحابي من الشركة للأسباب الآتية.

كنت متوجهاً يوماً إلى شركة الكات وإذا بي ألتقي بأخ زوجتي المحامي يوسف مخيبر بك حيدر.

قال: لماذا تعمل بالتعهدات أما تسمع الأخبار؟ ألا تقرأ الصحف؟ إن الألمان قد أصبحوا على قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى هذا البلد وستنقلب الموازين، فما عليك إلا أن تجمد مشاريعك، وتحرص ألا تسرف في صرف الأموال.

لم آبه لكلام يوسف مخيبر وتوجهت إلى بعلبك حيث دارتي، والتقيت بالجنرال الاسترالي Freidburg. كان متجهم الوجه، فسألته عن السبب، أجاب: «تبلغت بالذهاب إلى العلمين لأن الألمان تقدموا على تلك الجبهة والحلفاء يخلون الإسكندرية.»

فكرت في كلامه، طويلاً، وذهبت إلى الشركة في بيروت حيث طلبت من الشركاء قبول انسحابي لأسباب خاصة غير مستجيب لطلبهم بالاستمرار.

تركت الشركة وعدت إلى بعلبك لأعمل في الزراعة، ولأزاول الكتابة والشعر والقراءة، مفكراً بإنشاء مصنع للورق.

بدأت الدراسة.. من أين نغذي المصنع بالمواد؟ تبين لي أن في صحراء تونس نوعاً من الشجر جيداً لصناعة الورق، كما توجد في لبنان أشجار يمكن الاستفادة منها أيضاً. وإذا ما دعت الحاجة والضرورة إلى مزيد من المواد الأولية يمكننا شراؤها من أوروبا وكندا.

نضجت الفكرة، وظننت أن الأمر قد استقام، غير أن الظروف كانت لي بالمرصاد، فقد رفضت الحكومة الموافقة على المشروع، فعدت لأفكر ببناء مصنع للسكر.

في مزرعتي التي تبلغ مساحتها ١٧٧٢ دونمًا، وفيها ستة آبار من المياه يضخ كل بئر ما يقارب ٤ إنش فيها عدة بيوت ومزرعة دجاج.

زاد في قناعتي بإقامة معمل للسكر على هذه المزرعة كون السكة الحديدية من بيروت إلى حلب تمر من الجانب الغربي منها، مما يسهل نقل البضائع منها وإليها.

طلبت رخصة للبناء ،وحصلت عليها بسرعة. بدأت أدرس أسعار معامل السكر في شتى أنحاء العالم فوجدت الأسعار باهظة في دول أوروبا الغربية، وأن أفضل الأسعار لدى ألمانيا الشرقية. راجعت مكتب ممثلي ألمانيا الشرقية في بيروت، ونتج عن المباحثات مجيء ثلاثة مهندسين من ألمانيا الشرقية ليدرسوا الأمر على الأرض، ويرسموا الخطط لبناء المصنع اللائق.

أكمل المهندسون دراساتهم وعادوا إلى بلادهم مزودين بكل ما يحتاجه المشروع من دراسة وتصميم وخرائط، ودراسة أسعار، والأسواق التي يمكن التعامل معها. بعد فترة وجيزة أرسلوا الدراسة النهائية للمصنع.

بناءً عليه سافرت إلى فرانكفورت ومنها إلى برلين الغربية حيث هبطت في المطار الذي بناه هتلر. خرجت من المطار ومضيت إلى الجدار الفاصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية . دخلت إلى دوائر الدولة ، الأمن العام. الجمرك وفي يدي حقيبة ثيابي ثم خرجت لأجد نفسي في برلين الشرقية.

طلبت سيارة تاكسي فلم أجد، فاضطررت أن أحمل حقيبتي وأمشي في الشارع لا أدري إلى أين أنا ماضٍ.. ليس لدي أية معلومات إلا أني أحمل في جيبي ورقة تحدد المكان الذي أقصده، وهو فندق برليني.

أخيراً وجدت شرطياً في الشارع حاولت سؤاله فتبين لي أنه لا يعرف من لغات العالم إلا لغته ـ اللغة الألمانية. كلمته بالإشارة، وشرحت له مدى تعبي.

حمدت الله أنه فهم بلغة الإشارة، وهزّ لي رأسه.

مرت سيارة صغيرة يقودها شاب.. فطلب منه الشرطي الوقوف ودار بينهما حديث دام دقائق فتح بعدها صاحب السيارة باب سيارته مشيراً إليّ بالركوب.

ركبت إلى جانبه، فأوصلني إلى الفندق ومضى.

طلبت غرفة فأجابوني بأنهم لا يستطيعون تأمينها إلا إذا أحضرت ورقة تسمح بذلك من المأمور المسؤول في «السنتر». طلبت منهم أن يؤمنوا لي سيارة أجرة ويشترطوا على السائق البقاء بانتظاري لأعود معه إلى الفندق.

وصلت إلى «السنتر»، وطرقت باب المأمور المكلف بالأمر فلم أسمع جواباً. فتحت الباب فلم أجد أحداً، خرجت لأسأل عن المأمور فأجابوني بأنه غائب. ولكن بإمكانهم الطلب من إدارة الفندق تأمين الغرفة هاتفياً وإخبارهم بغياب المأمور.

رجعت إلى الفندق.. أخبرتهم بالأمر. وكان الجواب: نعتذر.. لا يمكننا إعطاءك غرفة إلا بورقة رسمية موقعة من المأمور المختص.

أخيراً اتصلت بالشركة فلم يمض وقت طويل حتى حضر المهندسون الثلاثة ممثلو الشركة الذين أتوا إلى بيروت، واصطحبوني إلى دار الضيافة الحكومية حيث بقيت اثني عشر يوماً ضيفاً على الدولة.

كانوا يدعونني كل يوم إلى مطعم لتناول وجبة العشاء، مصطحبين معهم بعض الأشخاص إكراماً لي، ولتأمين وسائل الراحة والتسلية. كما كانوا يرافقونني خلال النهار ويطلعونني على معالم برلين الشرقية. وعلى أهم ما فيها.

أثار انتباهي قصر الضيافة الذي استضافوني فيه حيث كان يطلّ على ساحة كبيرة في وسطها تلّ من التراب، مما أثار دهشتي وعجبي.. ساحة مهملة إلا تلك الطرقات التي

تحيط بها من كل جانب. ما سبب إهمال هذه الساحة، ولم هذه التلة الترابية في وسطها، وأمام قصر الضيافة؟

سألت من في القصر عن هذه الساحة، وسبب إهمالها.. وكان الجواب: إن هتلر على أغلب الظن قد انتحر في هذا المكان، وبقي جسده تحت هذا التراب الذي هو بقايا بنيان الرايخستاغ، الذي كان يقيم فيه، ويصدر منه أوامره إلى قواته، فدكته طائرات الحلفاء بقذائفها الكبيرة والكثيرة.

بعد ثلاثة أيام حدّد لي الاجتماع في اليوم الرابع وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، وأخبروني أن طاولة البحث والمناقشات مؤلفة من اثني عشر شخصاً ألمانياً كفريق مقابل الفريق الثاني وهو أنا. وسيتطرق البحث في الاجتماع إلى الأسعار، وما يخص الشركة من أمور، وما طلباتي، ووضع الأطر النهائية لإقامة المصنع.

في الساعة الرابعة من اليوم التالي جلسنا إلى طاولة مستطيلة، وطلبوا مني أن أبدأ الكلام بتحديد طلباتي وما أريد بدقة.

بدأت الكلام سائلاً المهندسين الثلاثة الذين زاروا لبنان لرسم خطط بناء المصنع: إذا كانوا قد وجدوا في تلك المنطقة الواسعة من سهل البقاع مصانع أو معامل تستطيع أن تلبي حاجات الشعب؟ وجاء الجواب أنها خالية من المصانع والمعامل، ونظراً لسعتها وطبيعتها الجغرافية فهي توافق لقيام مصانع عديدة، وأن الموارد الزراعية ضئيلة والصناعة معدومة تماماً، وأن هذا المعمل الذي يعمل السيد حيدر على تأسيسه في تلك المنطقة يمكنه مساعدة هؤلاء الناس ومدّهم بالقوة وتحسين معيشتهم.

أحسست أني أصبت الهدف في سؤالي، وأمسكت بطرف الخيط الذي أريده، فطرحت السؤال الثاني: أرجو الإيضاح.. هل الاشتراكية برأيكم خاصة بألمانيا الشرقية فحسبْ، أم أنها نظام عالمي يجب أن يستفيد منه بنو الإنسان أينما وجدوا، وفي أي زمن؟

أجاب رئيس الشركة بحماس: لا؛ إن الاشتراكية للجميع، وتعمل من أجل الإنسان في أقطار الدنيا.

وصلت إلى ما أنشده، وقلت: لقد أثلجتم صدري بهذه الإجابات التي تنمّ عن اشتراكية حقة.

والآن أطلب منكم وكلّي أملٌ بتلبية طلبي أن تقدموا لنا هذا المعمل بسعر الكلفة، وأعدكم بأني حين أبني هذا المصنع سأضع لوحة مكتوباً عليها بخط عريض يراه الناس ويقرأونه «إن ألمانيا الاشتراكية أهدت هذا المعمل بسعر الكلفة للشعب اللبناني.»

فأجابني كبيرهم:

نحن الموجودين هنا لا يمكننا إعطاء قرار نهائيّ في هذا الموضوع، لأنه من صلاحيات مجلس الإدارة الذي يجتمع ويبتّ في الأمر.

انتهى الاجتماع لأدعى بعد ثلاثة أيام إلى اجتماع آخر.

اجتمعنا كما في المرة السابقة وفي الغرفة ذاتها، وبدأ الحديث كبير المفاوضين قائلاً:

برهاناً على أن الاشتراكية للجميع وليست حكراً على بلد دون آخر، ولا شعب دون شعب، ومنفعتها يجب أن تعمّ المعمورة كلها لا بلاد الاشتراكية وحدها، وإجابة لطلبك الذي أخذ باهتمام زائد، قررت إدارة الشركة إعطاءك المصنع بسعر الكلفة تماماً، وهي أربعة ملايين ونصف دولار يدفع منها سلفاً ٥٪ فقط، ويقسط المبلغ الباقي على عشر سنوات، ويعتبر مجلس الإدارة هذه العملية عربون محبة للطبقة العاملة في بلادكم.

شكرتهم وطلبت منهم إبلاغ شكري وامتناني واحترامي لمجلس الإدارة لتجاوبه مع طلبي.

عدت إلى لبنان وكانت لي جلسة مع صديقي الشيخ بطرس الخوري رئيس بنك التسليف الزراعي أخبرته فيها بما جرى معي في ألمانيا.

والجدير بالذكر أن المهندسين أشاروا بدراساتهم إلى أمرين: أن صناعة السكر من الشمندر صناعة خاسرة، وأن تعويض الخسارة يتم بتبييض السكر الأسمر المستورد وتسويقه محلياً وخارجياً.

وبعد عودتي طلب مني وزير الاقتصاد مقابلته، وأثناء المقابلة قال لي: إننا نرسل كميات كبيرة من الشمندر السكري إلى مصنع حمص في سوريا، لاستخراج السكر، وأحيطك علماً بأن رئيس الجمهورية الأستاذ شارل الحلو بحث الطلبات المقدمة إليه لإنشاء مصانع للسكر في لبنان، وطلبك لمقابلته غداً الساعة العاشرة صباحاً.

ذهبت إلى بيت الدين المقر الصيفي لرئاسة الجمهورية وقابلت فخامته، وبعد حديث وديّ شرحت لفخامته الأمر بالتفصيل، فطلب مني تقديم كتاب خطيّ بهذا الخصوص ليتسنى له النظر في الأمر، وأضاف قائلاً: يمكنك مراجعة دولة رئيس الوزراء الأستاذ رشيد كرامي والاتفاق معه على جميع التفاصيل.

كانت تربطني بدولة رئيس الحكومة الأستاذ رشيد كرامي صداقة شخصية ذات جذور قوية تعود إلى صداقتي بأبيه المرحوم دولة الرئيس عبد الحميد كرامي الذي أعتبره من أوائل الأصدقاء، ومن أهم الشخصيات اللبنانية.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فإنه عند تأليف حكومة أحمد الداعوق سنة ١٩٤١ كنت عند شقيقه الأكبر السيد عمر الداعوق وهو جاري في رأس بيروت، نتحدث في أمور كثيرة.، وإذا بعبد الحميد كرامي يدخل علينا، ويقول: قبل السلام، يا عمر إن أخاك أحمد سيؤلف الوزارة. أطلب منك وبإلحاح أن يكون جودت بك حيدر أحد أعضائها لأن وجوده يحقق رغبتي ورغبة الطرابلسيين، وأكمل الحديث عن الوطن والأمة.

كنت ماراً أمام مكتب المندوب السامي في السراي الكبير، ناداني من الداخل المسيو تيسو سكرتير المندوب السامي، والذي كان موظفاً في شركة النفط العراقية في دير الزور يوم كنت مدير التوظيف والعلاقات العامة فيها.

ناداني ليطلعني على أسماء الوزراء الذين شكلت منهم الحكومة برئاسة السيد أحمد الداعوق، فوجدت أن وزارة النافعة قد أسندت إليّ.

بعد أيام، وقبل أن ترى الوزارة النور علمت أن اسمي قد شطب لأسباب أجهلها.

وطلب المندوب السامي من الوزير السابق السيد أحمد الحسيني استلام وزارة النافعة التي كان يشغلها سابقاً فرفض، لإتاحة الفرصة لي، لكن المندوبية الفرنسية أصرت على توزيره، فأصر على وزارة الداخلية، وكانت له.

لذلك عندما قال لي فخامة رئيس الجمهورية شارل الحلو يمكنك مراجعة رشيد أفندي كرامي رئيس الحكومة والاتفاق معه على التفاصيل اعتبرت الأمر قد وصل إلى غايته.

ذهبت على الفور، معتمداً على الصداقة الوطيدة بيني وبين آل كرامي. طرقت الباب كعادتي، وتحادثنا طويلاً عن موضوع المصنع، أخيراً قلت له: أحتاج إلى عشرة آلاف طن سكر أسمر سنوياً لتبييضه، وبذلك نكون قادرين على دفع أجور العمال، وفي منأى عن الخسارة الناتجة عن الفرق بين سعر السكر في السوق المحلي وكلفة السكر المحصّل من الشمندر فأجاب: لا يمكنني إعطاءك السكر الخام لأن الدولة متعاقدة مع أناس آخرين على تبييض السكر في لبنان.

قلت له: كان لبنان يستهلك ٣٥ ألف طن عندما وقعتم على عقد تبييض السكر، واليوم يستهلك ٨٥ ألف طن، لذلك يمكن إعطائي عشرة آلاف طن من هذه الزيادة على العقد والتي تقدر بخمسين ألف طن. وبذلك أستطيع مباشرة العمل في المصنع.

أجابني: غير ممكن.

وهنا كانت نهاية معمل السكر.

يظهر أن منطقة بعلبك الهرمل كانت وما تزال محرومة من عطف الدولة في أيّ عهد من عهودها.

حرمت من عطف الدولة زمن الانتداب الفرنسي، ولما خرج الفرنسيون تنفس الناس الصعداء، وظنوا أن الحكومة الوطنية ستفتح المجال واسعاً أمام العمل والعمال وتحسين الاقتصاد ليعيش أبناء الوطن من كل الفئات ومن كل المناطق عيشاً كريماً. بيد أن ما كان يأمله الناس غير ما حدث، فلم يستطع الحكم الوطني رغم وجود الكثير من

أصحاب الضمائر الحية والنوايا الحسنة في أعلى درجات المسؤولية أن يسير بالبلاد إلى الأمام، وبقيت الحال كما هي.

الحكم في هذه البلاد وللأسف الشديد للمتنفذين، فالانتخابات النيابية تزوّر ويصل إلى المجلس النيابي من يوافق الزعماء على أهوائهم.»

ثم يمضي جودت حيدر يحدثني والأسف بادٍ على وجهه عن مصنع أنابيب الـ Fiber glass فلخصها بما يأتي:

«ذهبت إلى إنكلترا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولاندا والدانمارك، باحثاً عن شراء مصنع لصناعة أنابيب الـ Fiber glass محاولاً إيجاد الشروط المناسبة والأسعار الجيدة.

وجدت أن الدانمارك متقدمة جداً، ويمكن اعتبارها الدولة الأولى في هذا المضمار.

اجتمعت فيها بالمهندس صاحب هذا الاختراع، وربطتني به صداقة، فشرح لي مميزات هذه الأنابيب، وحدد لي موعداً لزيارة المصنع ليريني كيفية صنعها.

ذهبت إلى المعمل، وهناك شاهدت فيلماً عن كيفية صنع الأنابيب. ومما أثار انتباهي أنه بإمكانهم صنع أنابيب بخط مستقيم قطعة واحدة مهما بلغ طولها.

إضافة إلى صناعة الأنابيب كان المعمل يصنع حجارة حمراء شبيهة بحجارة شيدت بها أبنية في الهند منذ مئات السنين وما زالت حتى يومنا هذا صامدة تقاوم عوامل الطبيعة.

حينما وجدت أن سعر معمل الأنابيب في الدانمارك مرتفع جداً، توجهت إلى فرنسا.

وبعد دراساتي للموضوع ولنوع الأنابيب وإتقان الصنع، بحثت مع الشركة الفرنسية في الأسعار، وبين أخذ وردّ توصلنا إلى سعر مقبول، وهو أربعة ملايين فرنك يدفع منها ٥٪ فوراً والباقي يقسط على عشر سنوات بفائدة ٥٪

عدت إلى لبنان لأبحث مع شريكي المهندس جورج فاخوري، من سكان المنصورية، في شراء المعمل، والبناء الذي يجب تشييده. وبعد أن تم اتفاقنا أرسلت

برقية إلى الشركة في باريس أبلغها موافقتنا على السعر الذي توصلنا إليه. وجاءني الجواب بوجوب ذهابي إلى ملهاوس/ الألزاس حيث تتم صناعة الآلات.

في هذا الوقت برزت العقبات بشكل متسارع، حيث بدأت الحرب الأهلية في لبنان، فأجبرتني على التريث في إجابة طلب الشركة الفرنسية، وأرسلت برقيةً أعلمهم فيها أن الحوادث التي لم تَتضح معالمها بعد توجب عليّ التريث قليلاً، وأنني سألبي طلبهم بالذهاب إلى فرنسا حين يستتب الأمر في لبنان.

بقيت في بيروت ثم ذهبت إلى بعلبك منتظراً توقف تلك الحرب البشعة. وذهب الأمل.»

سنة ١٩٤٣ خاض معركة الانتخابات النيابية في لائحة مؤلفة من جودت حيدر، موسى نمور، ألفرد سكاف، فضل اللّه حمادة وغيرهم، و لم يحالفهم الحظ وخسروا بفارق بسيط لأسباب عدة منها تدخُّل المستشار الفرنسي De Salin لصالح اللائحة المناوئة.

أسس الجبهة الشعبية سنة ١٩٤٢-١٩٤٧ وهذه الصورة تضم مؤسسها جودت حيدر وبعض الأعضاء منهم شفيق الطقش «أبو عقيد»، «أبو أكرم» مرهج الجمال وعثمان الشلحه وغيرهم

عاد جودت حيدر وبعد استقالته من شركة نفط العراق سنة ١٩٦٠ ليخوض الانتخابات تلك السنة في لائحة مؤلفة من: جودت حيدر، د. مصطفى الرفاعي، الصحفي رياض طه، السادة مرشد حبشي، حبيب المطران، نايف ملحم قاسم، مقابل لائحة رئيس المجلس النيابي آنذاك صبري حمادة.

يقول جودت حيدر:

«بعد ثلاثة أيام ظهرت النتائج، وكما يحدث غالباً من تدخلات في نتائج الانتخابات في لبنان فوجئت بعدم فوزي والصحفي رياض طه، وفوز بقية لائحتنا، وبسؤالي رئيس الجمهورية آنذاك اللواء فؤاد شهاب، قال لي ما معناه: أنت فزت في الانتخابات غير أن فلاناً أصبح متقدماً في السنّ وله فضل على الدولة، وحُبِس في راشيا، لذلك كانت له الأفضلية.

قلت: على حسابي؟!

أجاب: من هلق ورايح أنت.

وجرت نقاشات طويلة وطالبت بحقي الواضح الصريح لكن من دون جدوى.

فذلك منطق لم أدرك كنهه و لم أقتنع به.»

بدأ التحضير لانتخابات ١٩٦٤، ولكن جودت حيدر لم يتقدم في هذه الدورة لأسباب يذكرها قائلاً:

«في انتخابات سنة ١٩٦٤ أرسل لي رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب معالي الوزير علي بزي وكانت تربطني به رحمه الله صداقة متينة طالباً مني أن يكون فلان ضمن اللائحة التي كنت على وشك تشكيلها، بناء لذلك لم أخض المعركة في ذلك العام».

* * *

ت- نشاطه الأدبي

● انسياب الشعر من قلمه

يتحدث جودت حيدر عن تفجر الشعر لديه فيقول:

«استهواني الشعر وأنا تلميذٌ في الجامعة الأميركية وكنت حينها ألتقي بعض شعراء وأدباء ذلك الوقت أمثال معروف الرصافي، فوزي معلوف وماري عجمي.

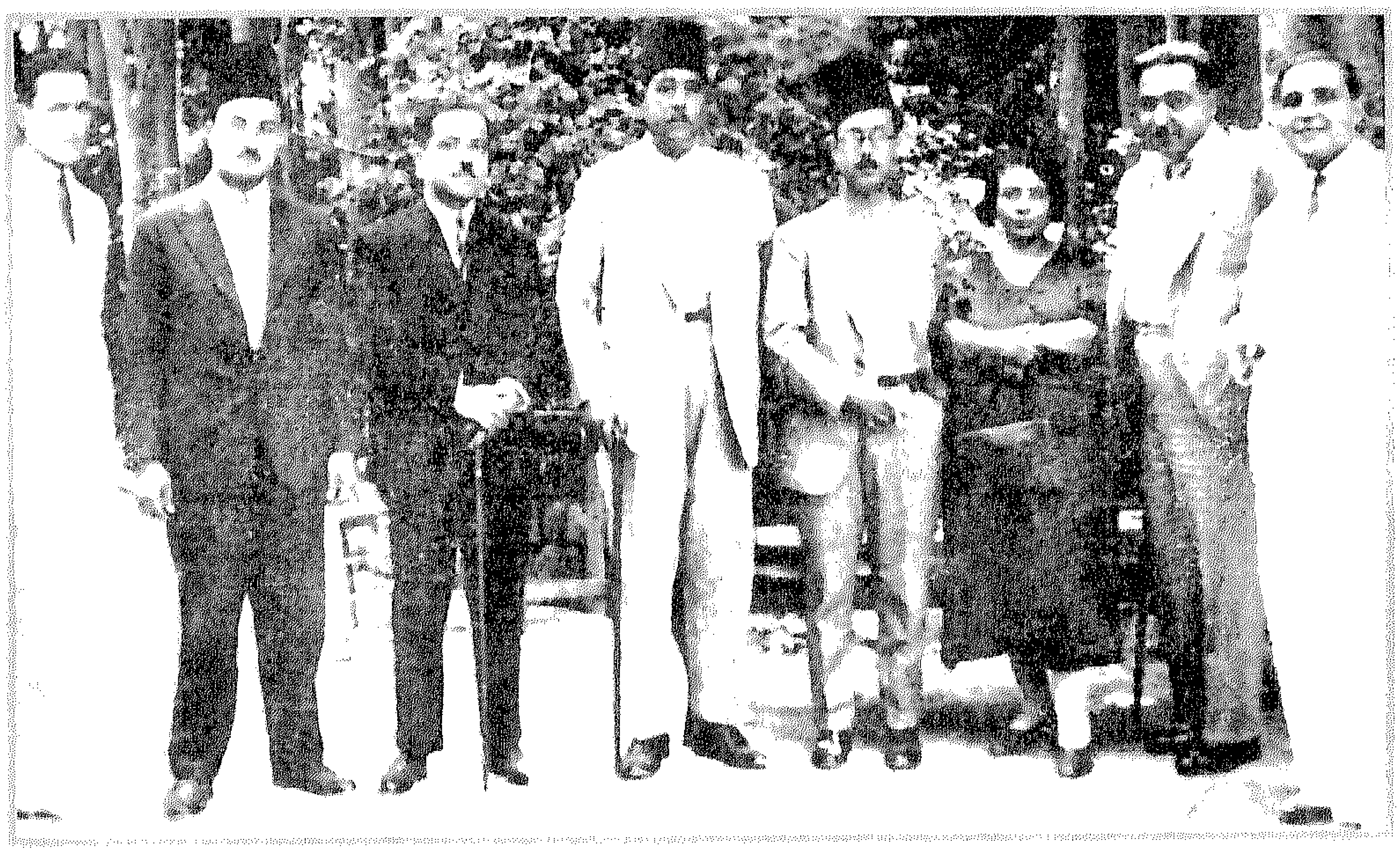

من اليمين-الشاعر فوزي معلوف-صلاح اللبابيدي-ماري عجمي-يوسف يزبك-معروف الرصافي-ندره ألوف-حبيب زحلاوي-جودة حيدر اخذ هذا الرسم في قصر الصنوبر ١٩٢٤ بيروت

وأثناء دراستي في الولايات المتحدة بدأت أتذوق الشعر على يد أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة AM & C كوليج ستيشن في تكساس، الذي كان ضليعاً في قراءة الشعر وتفسيره مما حرك مشاعري نحو هذا النوع من الأدب.

وفي جامعة دانتون، تكساس بدأت محاولتي في كتابة الشعر باللغة الإنكليزية أثناء الدراسة حيث كانت أستاذة الأدب مولعة بالشعر، وبشعر الشاعر الأيرلندي Robert Burns الذي ملك عليها حواسها حتى كانت حين تقرأ لنا قصائد من شعره

يظهر عليها التأثر. ولا تكفّ عن قراءة شعره وعن تقريظه، والثناء على عبقريته وشاعريته.

كتبت لها شعراً، وعصرت فيه كل ما كان لديّ من إمكانات آملاً أن يلقى موافقتها. وقلت: «مس كليفلند» هذه أول تجربة لي في الشعر، أرجو أن تقرئيها بدقة وتعطيني رأيك.

قرأت الأبيات على مهل، وفي الحال قالت لزملائي في الصف: لقد ولد شاعر، اسمعوا، هذا الشعر الذي كتبه جو حيدر وكانوا ينادونني بهذا الاسم بدلاً من جودت وما أن انتهت من قراءة الأبيات بلهجتها الحلوة حتى صفق الطلبة تصفيقاً حادّاً.

مع الأسف، لم أحفظ هذا الشعر و لم أحافظ عليه.. كل ما بقي منه في ذاكرتي أربعة أبيات لا غير، وهي:

Sweet be not proud of thine fair and liquid eyes
Which sparkle like a twin of stars in their skies
The sun goes down then he doth rise
So forget not yet............

وقد أرسلت هذا الشعر إلى صديقي الأديب إبراهيم نجيب حيدر في بعلبك، الذي ترجم القصيدة إلى اللغة العربية ونشرها في جريدة الإيضاحي، لصاحبها الأديب لطفي بك حيدر سنة ١٩٢٦.

أسدل النسيان الستار على هذا الشعر سنين، غير أني بعد عودتي من أمريكا وفي سنة ١٩٧٠ جاء إبراهيم نجيب حيدر من بغداد إلى بعلبك، وزفّ إليّ بشرى كان لها وقع في نفسي، حيث أخبرني أن ترجمته لشعري الذي أرسلته له سنة ١٩٢٦، والمنشورة في «الايضاحي» موجودة ويمكنني أخذ نسخة عنها.

سررت كثيراً ومضيت إلى منزل الأديب الصديق لطفي حيدر، وتفضلت ابنته عزة بإعطائي نسخة عن القصيدة وهي ما تزال موجودة لديّ.

نص مقال الأديب ابراهيم نجيب حيدر الذي يتضمن تعريب القصيدة:

«الروح العربية في الأدب الإنكليزي»

ما عرفت السيد جودت رستم حيدر شاعراً قبل الآن. وما كنت أقرأ في عينيه تلك النظرات. نظرات الشعراء والخياليين، فقد كنت وإياه في مدرسة واحدة أصدق الأصدقاء، وقد درسته وعرفت ما ينطوي عليه فألفيته فتى أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال. فما الذي غير نفسه يا ترى؟ والظاهر أن الغربة ومفارقة الأوطان تقلب نفس المرء رأساً على عقب فتجعل منه رجلاً غير ما كان يحب ويرغب. وهذا ما حدث لصديقي جودت فقد قلبت الغرب أطباعه وأمياله وصيرته شاعراً ليس بالعربية بل بالإنكليزية، وكأني به لم يصل إلى الحقيقة من طريق الحقيقة فأصبح يفتش عنها وراء سجون الخيال جاعلاً الشعر مطيته للوصول إليها.

سافر هذا الشاب منذ سنتين إلى أميركا بعدما نال شهادة الإستعدادية من الجامعة الأميركية في بيروت. وما مضى عليه سنة هناك حتى بارز اقرانه الأميركان في لغتهم ونال الجائزة الأولى في المباراة الشعرية التي أقيمت في مدينة (دنتون) من ولاية تكساس، بقصيدتين ألقاهما على مسامع الألوف من الأميركانيين، وها إني عربت إحدى هاتين القصيدتين وطبعاً فإن الأصل أجود من التعريب:

إذن فلا تنسي
ما ألذ تلك الأحلام المعطرة بالزهور وما
أبدع تلك الأفكار الصافية كالألماس كنت
يا ملاكي آنئذٍ شريكتي الحنون في كل هذه
إذن فلا تنسي

...

حبيبتي لا تفتري عينيك الصافيتين
المتلألئتين كتوأمي نجم في كبد السماء فان الشمس
تغرب ثم تشرق
إذن فلا تنسي
لقد سرى حبك في عروقي سماً فسمم جسمي
وقادني إلى الخطيئة واضطرني أن أنفرد عن العالم
وألتجئ إلى وحدتي وآلامي
إذن فلا تنسي

فكرت فيك مراراً قرب الأقحوان المزهر
ورددت تذكاراتي فإذا بي معها ذاهل وأرسلت
أشواقي إليك مع الأشعار المختفية
إذن فلا تنسي
...
وجلست في حديقة الحب جنب الورود
فإذا بالقمر برز وإذا بالليل انتصف وإذا بي غارق
في التفكير فيك وفي حظي
إذن فلا تنسي
...
ها (باخوس) جالس بين الزهور في الواد وها
الكأس وقع من يده، اسمعي قصف الرعود،
لقد فتحت أبواب السماء وأبواب الجحيم
إذن فلا تنسي
...
عندما تنزل رحمة الله علي، وأصبح وحدي في
أرض لم يطأ ابن آدم بين الملائكة ليعي قلبك
الحنون دعينا نهرول يداً بيد
لنعش معاً لننسىَ
...

يكمل شاعرنا حديثه فيقول:

«لم أنقطع عن الشعر منذ بدأته في تكساس كما ذكرت آنفاً، وإن كانت ظروف العمل الجادّ والمضني تضيّق من مساحة الشعر، فأشعر بأنني مقصّر في حق الأدب والشعر اللذين خلقت لهما.

جاءت سنة ١٩٦٠ وأحسست بأنه يجب أن أتفرغ للشعر فتركت وظيفتي في شركة النفط العراقية، وكان مقدراً لي أن أعمل بعض الأعمال الوظيفية بعد ذلك، وأن أحاول الدخول في معترك السياسة، لكنني عدت أدراجي إلى الشعر والأدب.

مضت أيام طويلة لم أنظم الشعر إلا بالإنكليزية حتى توفي ابني بسام فتفجرت عاطفتي حزناً بشعرٍ رثيت فيه ولدي الوحيد باللغة العربية.

منذ ذلك الحين أي منذ سنة ١٩٨٤ سارت اللغتان الإنكليزية والعربية جنباً إلى جنب لتحتويا شعري، حيناً ينساب بالإنكليزية، وحيناً بلغة الضاد، وإن كنت لا أنكر أن الإنكليزية قد أسلست لي قيادها، فكانت صولاتي الشعرية وجولاتي على صهواتها أكثر.

طاوعتني الإنكليزية، وأعجبت بها، وأحببت اللغة العربية، وكانت أمنيتي وما تزال أن تطاوعني كما طاوعتني الإنكليزية.

بعد أن مارست الشعر بلغة الضاد وبدأت تسلس لي قيادها آثرت الإكثار من الشعر العربي، فاطلعت على دواوين الشعراء العرب، ووجدت عندهم شعراً رائعاً على مرّ العصور، وأيقنت أن اللغة العربية من أعظم لغات العالم، بل أعظمها على الإطلاق لو تسنى لها أبناء يعنون بها كما عني الإنكليز والفرنسيون والألمان وغيرهم من الشعوب بلغاتهم.

لكن للأسف الشديد تقهقر الشعب العربي وسار إلى الوراء حقباً من الزمن طويلة، فلم يستطع أن يقوم بأعباء لغته، ولم يأخذ بيدها خطوة واحدة إلى الأمام فبقيت لغتنا اليوم لغة القرن الخامس والسادس الميلادي، لم تنقح ولم تهذب.

لقد كانت اللغة في فترات من التاريخ موافقة لأبنائها تؤدي كل ما يريدون وتحيط بكل ما يحتاجون ولكنها توقفت وسار الزمن، حتى أصبحنا اليوم ننظم ونقول الشعر بلغة توقفت أكثر من اثني عشر قرناً من الزمن، لم نحاول تطويرها.. توقفت لغة الشعر، والنثر والمعاجم وسارت الأيام، فضاق بعضنا ذرعاً بلغته، وأكثر من انتقادها، والحقيقة أن العيب ليس في هذه اللغة الحية، وإنما في أبنائها الذين تقاعست هممهم وكلّت عزائمهم، ولم يبق لهم من الوقوف إلى جانب لغتهم إلا انتقادها وذكر ما اعتبروه ضعفاً فيها..

لو نظر أبناء العروبة إلى شعوب العالم وما قدمت للغاتها، والخدمات التي يسدونها إلى تلك اللغات في كل يوم. لو نظروا مثلاً إلى الإنكليز والأميركيين

ودراساتهم وتعبهم في سبيل تطوير لغتهم لتوافق الزمن وتساير التقدم، واهتمامهم بشعرائهم وأدبائهم وتخليدهم بعد وفاتهم لذهلوا من إقدام شعوب العالم، وتخاذلنا وضعفنا.

مثالاً في سنة ١٩٩٢ ذهبت إلى إنكلترا بمناسبة تخرج حفيدي جودت بسام حيدر من جامعة أكسفورد، وحفيدتي جنين من جامعة كنت ويممت شطر باكسهل، حيث بيت مارتل ماكينزي أرملة ولدي الوحيد المرحوم بسام.

وشاءت الظروف أن يكون حفيدي جودت في فرصة مما أتاح له أن يرافقني في رحلة واسعة شملت معظم أرجاء البلاد في جنوب إنكلترا.

في يوم من أيام هذه الرحلة كنا نتمشى على مروج «ألبيون هلز»، وبصحبتنا زميل جودي في الدراسة بجامعة أكسفورد وهو من جزر الكاريبي، قال: إن وليم الفاتح «William the Conqueror» مرّ بجيوشه من هنا واحتلّ انكلترا بقوة السلاح.

قلت له: الفكر أقوى، وهو صانع السلاح.

لذلك، فإني سأحتل أنا إنكلترا الآن وبالفكر. ثم كتبت شعراً واحتللتها.

Today I Am Over Ninety Years Old

Without delay I conquered Great Britain

Today I am over ninety years old
Proud of my youth like great William I stood
Arrayed my thoughts in battalions to hold
Against the whole world by a spear of wood

Without delay I conquered Great Britain
Adding to my name more glory and fame
Plus the excellence of what was written
By Shakespeare Milton and others who came

Kipling Tennyson Byron and Shelly
Keats Arnold poets of a matchless fame
Poets who stand time pillars of po'try
Calliope hence resigned and hushed when they came

Oh how oft I joyed by fancy and sighed
For the dreams I dreamt within dreams dreams died.

بعدها ذهبنا إلى بيت الشاعر الشهير كيبلنغ Rudyard Kipling الذي استملكته الحكومة الإنكليزية وسمحت بزيارته لكل من أراد مقابل مبلغ رمزيّ، وعند وصولنا سمح لنا بالدخول مجّاناً عندما علموا من مارتل بأنني شاعر لبناني.

دخلنا إلى البيت فرأينا محتوياته كافة لم تزل كما كانت عليه وتدل على ما كان يفعل في حياته.

مثلاً كرسي عليه تاريخ ١٨٦٤.

في المطبخ أوانٍ كان يستعملها، وفي غرفة نومه سريره.

وفي اليوم الثاني، ذهبنا إلى بلدة شكسبير ودخلنا الكنيسة التي يوجد فيها قبره حيث كان يتوافد المئات من السياح يوميّاً لزيارة هذا المزار الأدبي.

إذاً الشعراء في بلاد الغرب لهم مكانتهم العالية بعد وفاتهم، وهم ثروة معنوية وماديّة لبلادهم.

كم تمنيت أن يعامل الأدباء والشعراء في بلادنا المعاملة نفسها من جانب الحكومات.

لقد زرت قبر أبي العلاء المعرّيّ في معرّة النعمان، فإذا هو كومة من تراب عليها حجران وبجانب القبر شجرتان اصفرت أوراقهما من آثار الغبار الذي تذروه الرياح. مأساتنا كبيرة، بل مأساة ماضينا فينا أكبر من أن توصف.

أين قبر المتنبي؟ أين قبر المعري المهمل أين قبور الشعراء الذين أعطوا هذه الأمة مجدها وحافظوا على كرامتها؟

الشعر في لغات العالم المتقدم ونتيجة لما قدمت له تلك الشعوب من خدمات وطورته نحو الأفضل أضحى كثير الأوزان متغير القوافي، وأضحت القصيدة وحدة متكاملة.. مما يجعل القصيدة مهتمة بالمضمون معنية بالشكل مائلة إلى السهولة واليسر، بحيث لم يعد الشعر الإنكليزي يعاني أعباء القوافي ولا قيود الأوزان كما نعاني نحن... أجل إن القافية في لغتنا وبطريقتنا التي نستعملها في شعرنا أضحت عائقاً في وجه المضمون وعاملاً سلبيّاً في سبيل تقدمه.

أضاف الإنكليز إلى لغتهم كلمات يحتاجها الزمن ويقتضيها التقدم الحضاري، وحذفوا كلمات عفى عليها الزمن، و لم تعد تماشي الأيام والحضارة. أما نحن فلم نحاول أن نمدّ يدنا إلى اللغة. فأضحت معاجمنا ملأى بكلمات ميتة لا نستعملها ولا نعرف معانيها، وليس لها من فائدة ترجى.

وتصدمنا الحضارة كل يوم باكتشافات واختراعات، فنعجز أن نجد لها كلمات تؤدي معانيها. وسبب ذلك توقفنا عند عصور مضت لم نخدم لغتنا و لم نساعدها على التقدم كما يجب.

عصور من الانحطاط، وقرون من الضعف، كلّت فيها الهمم، وضعفت فيها القرائح.. سارت باللغة والأدب بشعره ونثره إلى الوراء، حتى أضحى كل ما لدينا هزيلاً ليس بذي قيمة، وخوى النثر والشعر من الجمال في الأسلوب، والتحليق في الخيال، فلا صورة تروق القارىء، ولا خيال يعجبه، ولا مضمون يتوقف عنده يشجعه على القراءة.

جاء العصر الحديث وسميناه عصر النهضة، ولا أدري كم تنطبق هذه التسمية على الواقع.. ترى هل نحن الآن في نهضة حقيقية؟ هل نهضنا بلغتنا؟ بحياتنا؟ بأساليبنا؟ بتناولنا المعاني؟

كم أتمنى لو نكون كذلك.

لغتنا يا قوم من أروع لغات العالم وأعظمها لو أتيحت لها همم عالية تسير بها إلى مصافّ اللغات العالمية.

لقد تركنا هذه اللغة بعيداً لم نلغ كلمة، ولم نزد كلمة، ولم نعمق قراءاتنا، ولم نستفد مما كتبت الأمم في اللغات وتقدمها والأدب ونقده.. لم نعرف شيئاً عن المدارس الأدبية في العالم المتحضر. وإذا عرفنا فإننا نمتنع عن تطبيق هذه المعرفة على لغتنا التي لو فعلنا لوجدناها قابلة للتجديد، مطاوعة للأيدي الخيرة والعقول النيرة.

العيب ليس في لغة الضاد، إنما نحن المقصرون في أداء ما علينا تجاه هذه اللغة الرائعة.

وقد طلع علينا العصر الحديث برجال في شتى الأقطار العربية يريدون استبدال لغة الضاد بلهجات تلك الأقطار المحكية جاهدين في تحطيم الأمة العربية ولغتها.

اللغة العربية قلعة محصنة بالقرآن الكريم، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء على رسوله الكريم قرآناً عربياً غير ذي عوج، وقال فيه: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وبحفظ القرآن تحفظ اللغة، فلينطح صخرة اللغة الصلبة بقرنيه من أراد أن ينطحها، فإن الصخرة لن تتفتت، ولن تؤثر عليها محاولات الناطحين، وستكون النتيجة أن تتكسر القرون الناطحة، وتبقى اللغة قلعة حصينة قوية.

علينا يا أبناء هذه الأمة أن نأخذ عن الأمم المتحضرة التي حافظت على لغاتها. وعملت على تحسينها وتقدمها، ونعمل دائبين جادّين في إيصال هذه اللغة إلى الذروة بحيث تتربع على عرش اللغات قاطبة.»

ذلك كان المنطلق إلى رحاب الشعر حيث أخذ جودت حيدر يقول الأبيات تلو الأبيات ويطالع الشعر الإنكليزي والأميركي، ويدرس ويراجع، ويعبّ الكتب بأنواعها عبّاً حتى أسلست اللغة الإنكليزية له قيادها، وأخذ يشارك في أمسيات شعرية كثيرة وينال شعره الإعجاب، مما شكل لديه حافزاً قوياً لمواصلة المطالعة ونظم الشعر.

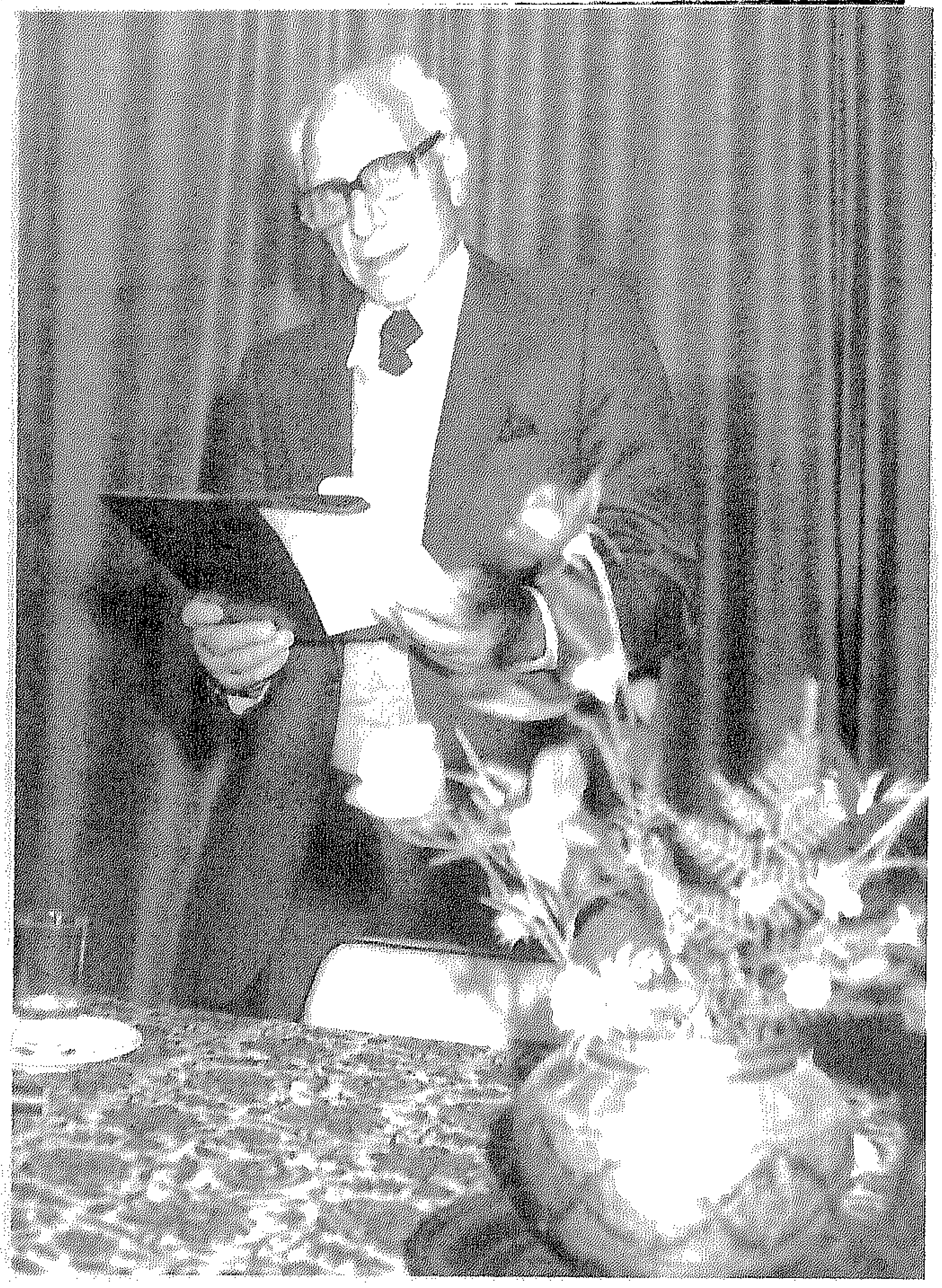

أمسية شعرية في الجامعة الأميركية في بيروت

الدكتور الأديب شوقي خير الله مقدماً الشاعر حيدر في الأمسية التي أحياها في الجامعة اللبنانية الأميركية، بيروت وتبدو الآنسة مليحة عسيران ممثلة «جمعية خريجي BUC»

الحضور يتقدمهم الشخصيات السياسية

آمن أن المواظبة على القراءة أساس في تمتين الشعر وتقويته، فلم يتوقف عن قراءته الشعر الإنكليزي والعربي والمترجم من اللغات الأخرى، وما زال حتى يومنا هذا وهو في السادسة والتسعين يقرأ وينظم الشعر ويقول: «.... وما دمت حيّاً فسأبقى أكتب الشعر وأعمل على تحسينه وتشذيبه».

يتحدث شاعرنا عن دواوينه فيقول:

«بدأ الشعر ينساب من لسان قلمي منذ كنت في تكساس أدرس التربية والتعليم وبقي إلى يومنا هذا فكانت لي دواوين ثلاثة في اللغة الإنكليزية.

أواخر سنة ١٩٧٩ اتصلت بدار نشر Vantage Press في نيويورك طالباً نشر أول ديوان لي «أصوات» .{Voices} فطلبوا إرسال هذا الديوان إليهم لمراجعته. أرسلت مخطوطة الديوان، وعندما جاء الردّ بالإيجاب سررت جداً، وذلك لأن دار النشر هذه لا تنشر سوى الكتب القيمة بعد مراجعتها بدقة. أبصر الديوان النور سنة ١٩٨٠، وبيعت نسخ كثيرة منه في الولايات المتحدة الأميركية، وقرظت جريدة نيويورك تايمز الديوان بما يأتي.

"Jawdat Haydar the intellectual heritage of Lebanon crosses with the American tradition to form the unusual poetry in this aborning cultural collection...".

New York Times
September 10, 1980

واظبت على كتابة الشعر باللغتين: الإنكليزية والعربية. طبعت الديوان الثاني بالإنكليزية «أصداء» **{Echoes}** سنة ١٩٨٦ ببيروت.

عن **(Echoes)** قال الشاعر عمر أبو ريشة في مجلة الشراع في عددها الصادر ٩ أذار ١٩٨٩

«قصائد جودت حيدر ذخيرة عطاء إبداعيٍ نادر».

ثم ألحقته بديوان ثالث بالإنكليزية أيضاً أسميته **«ظلال» {Shadows}** سنة ١٩٩٨.

وجاء في احدى المقالات:

«الشعر عند هذا الشامخ يبدأ بلمعة وينتهي بعبرة. وفي ظلاله عودة إلى الشباب واحتفالٍ بعهودٍ مضت تركت بصماتها على تراب السليقة. إنها خبرة السنين، مخر خلالها عباب الاختبار وما زال ينقب ويبحث كي يغني حياتنا بلغته الإنكليزية الراقية المعبرة ويطلق أشرعته موسيقى خالدة متينة بأبعادها...وسموها»

أما الديوان الرابع في اللغة الانكليزية سيصدر قريباً تحت عنوان: **«الزمن» {Time}**. وهو الان في صدد اعداد كتابًا ادبيًا **«دنيا الفكر»** باللغة العربية.

● واحة الأدب في البقاع

يتحدث أديبنا بتواضعه المعروف عن هذه الواحة فيقول:

«فكرت في إنشاء تجمع أدبي يجمع شعراء البقاع وأدباءه، وبعد أن اختمرت الفكرة في ذهني شاورت بعض الأدباء والشعراء فأبدوا استعدادهم، وكان اتفاقنا على تأسيس **واحة الأدب في البقاع**.»

تشكلت الهيئة الإدارية التأسيسية لـ«واحة الأدب في البقاع» في بعلبك من السادة: جودت رستم حيدر، د. جوزف متري الخزاقة، نظمي تفيد جمَال، روكز جورج المنير، ريمون جان القسيس، وجيه كريم الحداد وسعد حسن كموني ود. يوسف شريم.

أعضاء من الواحة يتوسطهم رئيسها الشاعر جودت حيدر من اليمين: د. جوزف خزاقة، المحامي وجيه حداد، جودت حيدر، الشاعر ريمون قسيس، د. يوسف شريم والسيد روكز منير

في صيف عام ١٩٩٥ وفي مهرجان حاشد حضرته فاعليات سياسية واجتماعية وأدبية ودينية في بعلبك، وفي منزل الشاعر جودت حيدر أعلن عن ولادة «واحة الأدب في البقاع.»

وأهم أهدافها:

- جمع شمل أدباء وشعراء البقاع وإقامة التعارف في ما بينهم
- تشجيع الكتاب تأليفاً وطبعاً ونشراً
- تدارس أوضاع الأدباء والشعراء في البقاع
- معالجة أزمة النشر وخاصة في البقاع
- تسليط الأضواء على أدباء وشعراء البقاع من خلال وسائل الإعلام المركزية
- معالجة قضايا الترجمة
- السعي لضمان حياة الأديب في حياته
- إدخال بعض الأدباء اللبنانيين البقاعيين في الكتب المدرسية للمراحل المختلفة ولقد ادخل الشاعر في كتاب البكالوريا القسم الثاني في الأدب الانكليزي والإنسانيات
- العمل على ترقية الأغنية اللبنانية، وذلك لانتقاء القصائد الوطنية وغير الوطنية ذات المستوى الجيد لتكون مادة للغناء وإدخال الشعر في الأجواء الفنية الراقية.

شعار «واحة الادب في البقاع»

جودت حيدر مشوار العمر

٥
٦

الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية

مصلحة الشؤون السياسية والادارية

علم وخبر رقم /أد

تأسيس جمعية باسم : " واحة الادب في البقاع "
مركزها : بعلبك

ان وزير الداخلية

بناء على المرسوم رقم ٦٨١٢ تاريخ ١٩٩٥/٥/٢٥
بناء على قانون الجمعيات الصادر في ٣ آب ١٩٠٩ ولا سيما المادة السادسة منه
بناء على الطلب المقدم من مؤسسي الجمعية المسماة : " واحة الادب في البقاع
بعلبك والمسجل لدى مصلحة الشؤون السياسية والادارية برقم ٢/٢٣٧٤
تاريخ ١٩٩٥/٥/٢٢
وبعد موافقة المراجع المعنية
بناء على اقتراح مدير الداخلية العام

يقرر ما يأتي

المادة الاولى : يعطى العلم والخبر للجمعية المسماة : " واحة الادب في البقاع"

مركزها : بعلبك - الشارع الرئيسي - ملك الشاعر جودت بك حيدر

غايتها : ١ - توفير المناخ الادبي للشعراء والكتاب والمجازين والفنانين المقيمين في محافظة البقاع

٢ - الاهتمام بالقضايا والشؤون الادبية والفكرية والاجتماعية

٣ - الابتعاد عن المفهوم السياسي

٤ - توثيق عرى التعامل بين المؤسسات الثقافية والمثقفين

المؤسسون السادة :

جودت رستم حيدر - ريمون جان القسيس
د. جوزف متري الخزاقه - وجيه كريم الحداد
نظمي تغيد جمال - سعد حسن كموني
روكس جورج المنير

٢/٠

ممثل الجمعية تجاه الحكومة : السيد وجيه كريم الحداد

المادة الثانية : على الجمعية المذكورة اعلاه التقيد بالواجبات المترتبة عليها بمقتضى احكام قانون الجمعيات والقانون المنفذ بالمرسوم رقم ١٠٨٣٠ تاريخ ١٩٦٢/١٠/٩

المادة الثالثة : يبلغ هذا العلم والخبر حيث تدعو الحاجة

بيروت ، في

عن وزير الداخلية

ميشال المر

يبلغ لجانب

المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء
مصلحة الشؤون السياسية والادارية (مع الملف)
محافظة البقاع
المديرية العامة للامن العام
المديرية العامة لامن الدولة
المديرية العامة لقوى الامن الداخلي
وزارة الشؤون الاجتماعية
وزارة الثقافة والتعليم العالي
اصحاب العلاقة
الجريدة الرسمية

جوزف حيدر مشوار العمر

وفي احتفالٍ لاحق «للواحة» أقيم مهرجان شعري ألقى خلاله الشاعر جودت حيدر قصائد بالعربية والإنكليزية ثم قصيدة للشاعر الأمير صالح حرفوش وكلمة لطوني الراسي فقصيدة لجميل فرحات وللدكتور محمد أبو علي. فيما ألقى الشاعر نجيب جمال الدين قصيدة ارتجالية، وتبعتها الشاعرة ربيعة النعيمي، وكلمة للدكتورة نور سلمان. وتوج الاحتفال بقصيدة للشاعر مصطفى جمال الدين وختم الاحتفال بكلمة للصحفية دنيا المر.

بدأت الواحة تؤتي ثمارها، واستقطبت الأدباء والشعراء في البقاع، وكانت تقوم كل سنة بمهرجان أو اثنين، وتلقى هذه المهرجانات رضا الجماهير والنقاد.

الشاعر حيدر يلقي كلمته في حفل تأسيس الواحة في دارته

جانب من الحضور في أحد المهرجانات الشعرية

كتبت صحيفة المجد في سوريا في عددها الصادر في ١٢ حزيران ١٩٩٥ تقول:

«أقيم في لبنان منذ ايام المهرجان الشعري والادبي الثالث في «واحة الادب في البقاع» وفي مدينة بعلبك بالذات حيث شارك شاعر العرب جودت بك حيدر. وكان لبنان ممثلاً بكافة شخصياته الرسمية والشعبية وشعرائه ومثقفيه ورجال دنيا ودين...

تحدث الدكتور خير الدين عبد الصمد من سوريا حامل لقب ووسام الدفاع عن حقوق الإنسان. وبعد أن أنهى الدكتور كلمته قدم براءة ووسام ولقب المحامي الأول للدفاع عن حقوق الإنسان للشاعر العربي الكبير جودت بك حيدر وسط شلالات من التصفيق وعدسات رجال الصحافة. وكان قد تحدث كلٌ من الشعراء عازر بشارة، جورج الأشقر، سميح حماده، نظمي جمال، سعد كموني، ريمون قسيس، علي فرحات، وحسين حيدر.

وقد اختتم المهرجان بقصيدةٍ نثرية للشاعر حيدر.

كتبت جريدة السفير عن أحد نشاطات واحة الأدب في عددها الصادر في ٣٠ أيلول ١٩٩٣

«حاضر الدكتور حسان حلاق عن رستم حيدر رجل الدعوة والدولة والإصلاح في منزل جودت حيدر، في بعلبك في إطار سلسلة رواد العروبة في لبنان في حضور الوزير السابق محمد صفي الدين، والأديب منح الصلح والنقيب زهير عسيران.قدم المحاضر محمد الحاج سليمان...

مقدمة الحضور من اليسار:نقيب الصحافة الأسبق الأستاذ زهير عسيران، النائب محمد صفي الدين، المفكر منح الصلح والأستاذ خليل ابراهيم بك حيدر.

تحدث الدكتور حلاق عن رستم حيدر مشيراً إلى جذوره التاريخية لافتاً النظر إلى أنه كان موجهاً أساسياً للسياسة العراقية ولسياسة الملكين فيصل الأول وغازي.

● ترميم وإعادة تمثال شاعر الأقطار العربية خليل مطران إلى ساحته في بعلبك

كان أهم أعمال الواحة ترميم تمثال شاعر الأقطار العربية الشاعر خليل مطران الذي فجر أثناء الأحداث الأخيرة وإعادته إلى مكانه في بعلبك في مهرجان شعري وأدبي حاشد.

وهذا ما جاء على لسان الدكتور الأديب شوقي خيرالله عن هذا المهرجان:

«الخلد لم يعط لبشر. لما فوق البشر أعطي. الخلد أعطي لعمالقتنا الكنعانيين والآراميين =وكلاهما عرب = ولنخبة مثقفة من قواديها خليل المطران وجودت حيدر الذي ابتدع، وهو يقارب التسعين، هذا المهرجان الأرقى والأنبل».

تكلم شاعرنا عن الدوافع وجهوده في سبيل ما تقدم فيقول:

«لا بد وأنا أتحدث عن الجهود الكبيرة التي قمت بها في سبيل ترميم تمثال خليل مطران وإعادته إلى مكانه من الحديث عن الدوافع التي دعتني إلى هذا العمل.

في الحقيقة كانت في ذهني مرامٍ شعرية أدبية تتلخص باحترامي وتقديري لشاعر الأقطار العربية مطران، وأبعاد اجتماعية ووطنية، ولعلها كانت الأهم في نظري بعد أن كادت الأحداث أن تفتك بجسم الوطن وتقوض أركانه وتقضي على كل أسسه ومقوماته.

كان الغرض من إعادة تمثال مطران إلى مكانه هو إعادة اللحمة بين الطوائف في لبنان ، والبرهان على أن هذه المدينة رغم ما لحقها من هوان، ورغم ما أصابها من إهمال... هذه المدينة. بقيت وستبقى لؤلؤة الزمن والدرّة الثمينة على الدهر، ستبقى بعلبك أم العطاء وعنوان الفكر النيِّر، ويبقى أهلوها مثلاً أعلى للتعاون والتسامح والتعاضد بشتى طوائفهم ومذاهبهم.

وأردت برفعي لتمثال مطران في مكانه أن أبرهن للملأ.. للبنانيين وغيرهم من الشعوب العربية مكانة بعلبك في التاريخ، وأنها ما نالت هذه المكانة إلا لأنها تستحقها، فهذه المدينة التي جعلت منها روما لؤلؤة الإمبراطورية التي امتدت إلى الهند

شرقاً وجزر الانكلوسكسون غرباً، هذه المدينة كانت نموذجاً في الدنيا، وكانت دنيا من البشر تؤمّها على مدى الأجيال لترى ما فيها من عجائب، وترى هياكل الآلهة التي قطنت فيها قروناً وقروناً، وأحاطوها بالورود ودوالي العنب، وشربوا كؤوس الخمرة المخمرة من عنبها، ورحلوا ورحلت معهم أيام بعلبك الزاهية.»

وهكذا تقدمت «واحة الأدب في البقاع» بطلبٍ إلى فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ الياس الهراوي في ١٢-٦-١٩٩٥ تعلمه فيه عن رغبتها في إعادة تمثال خليل المطران إلى ساحته في بعلبك في إطار مهرجان كبير يقام برعايته في دارة رئيس الواحة جودت حيدر.

فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المحترم

بواسطة سعادة السفير مارون حيمري المحترم

ان الهيئة التأسيسية لواحة الادب في البقاع والمؤلفة من السادة:

الرئيس	:	الشاعر جودت حيدر	:	بعلبك
نائب الرئيس	:	الشاعر ريمون قسيي	:	زحلة
امين السر	:	روكز منير	:	بعلبك.
امين الصندوق	:	د. جوزف خزاقة	:	زحلة
ممثل لدى الدولة	:	المحامي وجيه حداد	:	زحلة
مستشار	:	سعد كموني	:	جب جنين
مستشار	:	نظمي جمال	:	محيدثة

ان هذه الهيئة ترغب في اعادة تمثال شاعر الاقطار العربية الشاعر المرحوم خليل مطران الى قاعدته الاساسية في مدخل مدينة بعلبك بالتعاون مع كافة الهيئات السياسية والحزبية واتحاد الكتاب اللبنانية وال مطران

وذلك ضمن اطار مهرجان كبير - يقام برعاية فخامة رئيس الجمهورية الاستاذ الياس هراوي -

ويدعى الى المشاركة في هذا المهرجان شعراء من دول عربية:

مصر - السعودية - الكويت - السودان - الاردن - العراق - سوريا ولبنان

المكان : ساحة مدينة بعلبك - دارة جورت حيدر

الزمان : ٢٧ آب، ١٩٩٥

لذلك

تلتمس الهيئة التأسيسية لواحة الادب في البقاع من سعادتكم الاطلاع على هذا الطلب وتحديد موعد لقاء مع فخامة الرئيس املة الاستجابة لهذه الرغبة في وضع المهرجان تحت رعاية فخامته

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

التوقيع

جودت حيدر

الرئيس: جودت حيدر

١٢ حزيران ١٩٩٥

ملاحظة:

اسماء اللجنة التي ترغب مقابلة فخامة الرئيس:

- المطران كريللس بسترس
- الشاعر جودت حيدر
- المحامي وجيه حداد
- د. جوزف خزاقة
- د. ميشال جحا
- رياض قاسم
- نخلة المطران

تفضل فخامته بالرد الإيجابي على هذا الطلب وابتدأت الاتصالات على جميع المحاور لإتمام هذا العمل الجبار وعندما استكملت جاء الإعلان عن المهرجان في نقابة الصحافة اللبنانية وبرعاية نقيب الصحافة الأستاذ محمد البعلبكي.

وهنا نص الكلمة الإعلان التي ألقاها رئيس الواحة جودت حيدر من على منبر نقابة الصحافة:

«حضرة نقيب الصحافة

حضرة حملة القلم في هذا الوطن

حضرة أصدقاء الإبداع والثقافة»

نحن ما زلنا بالزمن المتعب الذي ضعضع وخلخل حرمات الجغرافية والتاريخ. ولا شك أن هذا الوطن سيعود إلى بعض أمانه إذا عادت الخريطة والجغرافية إلى تركيبها الأصيل وإذا تركت الكلمة للتاريخ الصادق والواضح.

لذلك أردنا بعودة خليل المطران إلى أرضه وهو إبن بعلبك وأسرته متجذرة في أرض البقاع. هذه العودة ستثبت من جديد أخوة اللبنانيين التي لن تقوى عليها سيوف الانقسامات.

وأضيف قرأت منذ فترة في إحدى المجلات اللبنانية خبراً أوجعني. يقول الخبر: ان عظام خليل مطران موجودة في صندوق حديدي في إحدى القاعات الملحقة بإحدى الكنائس.

هذا طبعاً من واقع يحاول أن يهد ذكريات تغني التاريخ وتفني أمجاده. والمبدعون أبطال هذا المجد. يهزهم الزمن يغيبهم، لكنه لا يميتهم أبداً. وشاعر الأقطار العربية خليل المطران فارس من هؤلاء.

لا تكون بعلبك- بعلبك الشمس إلا إذا عادت هي إليه وفتحت له أبوابها وزرعت شعره في تربتها.

ونحن في هذه المناسبة لا نقف عند قضية تكريم الشعراء في أرضهم وفي بلادهم. بل نتعدى ذلك إلى دور الإبداع في مسيرة الأمم.

ويوم يفصل هذا الإبداع عن هذه المسيرة تتخبط الأمة في هوة من الغربة والجفاف.

نحن اليوم عائدون إلى خليل مطران. عائدون إلى فروسية قلمه وإلى وجدانية شعره الذي اخترق هياكل الحجر بانياً من الشعر هياكل الجمال والحق.

ويلٌ لأمة لا تعرف شعراءها ولا يدخل الشعر ماءها ورغيفها وبساتينها ودروبها. في هذه المناسبة الجامعة يشرفني أن أؤكد للبنانيين أن العودة إلى الشعراء هي عودة إلى الينابيع.

خليل مطران عملاق في مسيرة عمالقة كثيرين، نسيناهم حتى كاد أن ينسانا الجمال في هذا الوطن الجميل. أرجو أن يكون لقاؤنا اليوم حول خليل مطران ابن بعلبك البار واحداً من لقاءات تنهض بثقافتنا وإبداعنا.

وفي الختام الشكر الكبير ترفعه واحة الأدب في البقاع إلى فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ الياس الهراوي راعي الاحتفال. وإلى وزارة الثقافة والتعليم العالي ومعالي الوزير الأستاذ ميشال اده. ووزارة السياحة ومعالي الأستاذ نقولا فتوش للدعم والمشاركة. وإلى اتحاد الكتاب اللبنانيين الكرام.

أما أهلنا في بعلبك فهم رفاق الطريق وأهل البيت. والسلام.»

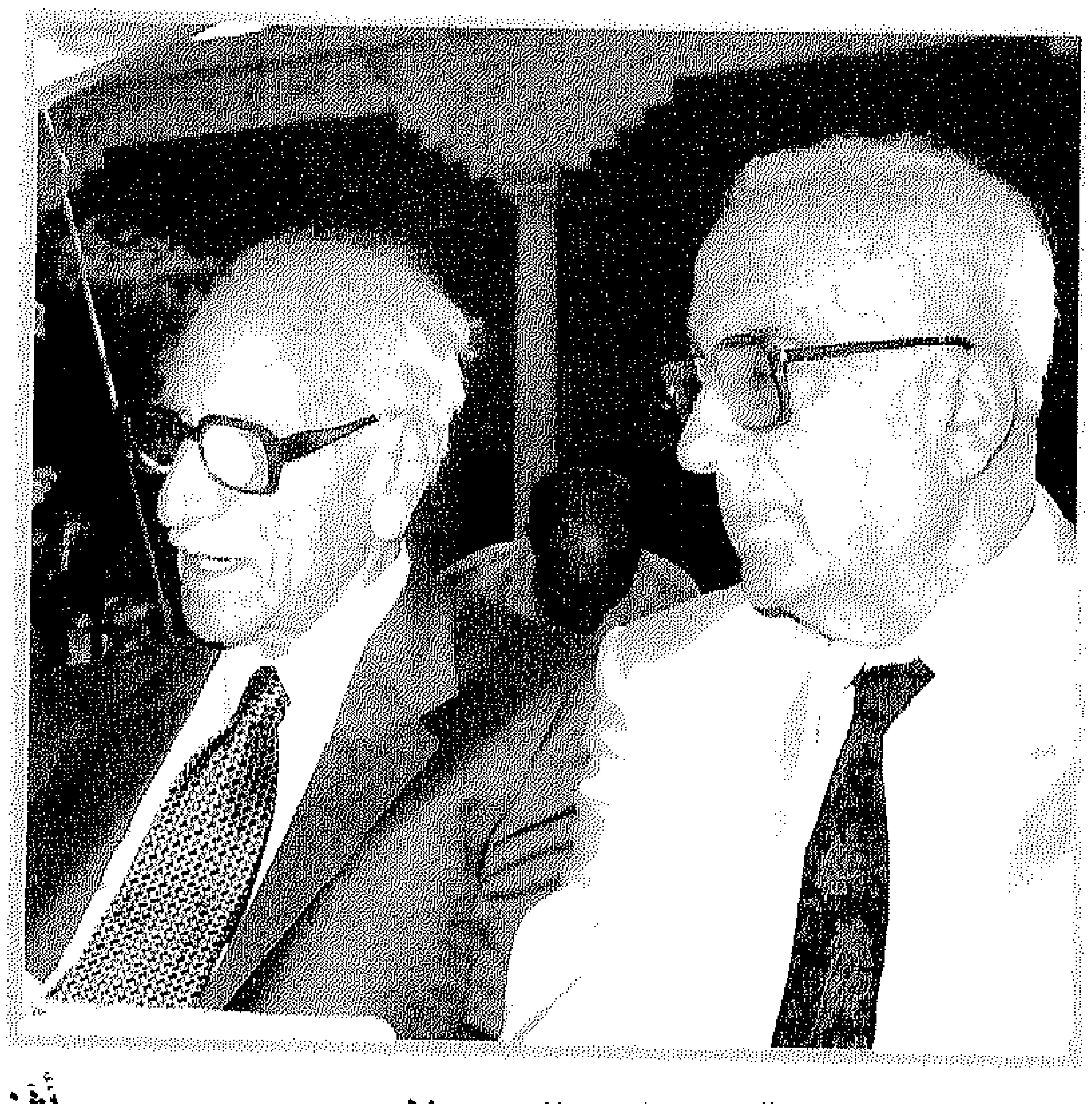

ممثل آل مطران السيد نخلة مطران إلى جانب جودت حيدر أثناء المهرجان

كان هذا المهرجان برعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الياس الهراوي وبمشاركة اتحاد الكتاب اللبنانيين بالتعاون مع وزارتي السياحة والثقافة والتعليم العالي.

حضر المهرجان الذي أقيم في دارة جودت حيدر في بعلبك حوالي خمسة آلاف شخص ونيّف يتقدمهم عدد كبير من الوزراء والنواب وأصحاب الفضيلة والنيافة كما حضر شعراءٌ من معظم الأقطار العربية وكانت لبعضهم كلمات في المناسبة ومنهم: بلند الحيدري، أحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي.

برعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

الأستاذ الياس الهراوي

واحة الأدب في البقاع

وبمشاركة إتحاد الكتّاب اللبنانيين

بالتعاون مع وزارة الثقافة والتعليم العالي

وبمساعدة وزارة السياحة

يتشرفون بدعوتكم الى حضور

مهرجان تكريم شاعر الأقطار العربية خليل مطران

الزمان : نهار الاحد في ٢٧ آب ١٩٩٥ الساعة الرابعة مساء

المكان : دارة الشاعر جودت حيدر في بعلبك

يتبع المهرجان حفل ازاحة الستار عن تمثال الشاعر

في ساحة خليل مطران / بعلبك

برنامج المهرجان

كلمة رئاسة الجمهورية	
كلمة وزارة الثقافة والتعليم العالي	
كلمة وزارة السياحة	
الشاعر جودت حيدر	رئيس واحة الأدب في البقاع
الدكتور روحي بعلبكي	الأمين العام لإتحاد الكتّاب اللبنانيين
الدكتور علي عقلة عرسان	رئيس اتحاد الكتّاب العرب في سوريا
الشاعر الميداني بن صالح	رئيس اتحاد الكتّاب التونسيين
الشاعر محمد الفيتوري	ليبيا
الشاعر بلند الحيدري	لندن
الشاعر احمد عبد المعطي حجازي	مصر
الشاعر عبد الوهاب البياتي	العراق
الشاعر الياس لحود	لبنان
الشاعر نجيب جمال الدين	بعلبك
الشاعر ريمون قسيس	واحة الأدب في البقاع
الأستاذ نخلة مطران	عن آل مطران

عريف المهرجان : الدكتور ميشال جحا

صورة عن الدعوة للمهرجان

تمثال خليل مطران في مكانه من جديد

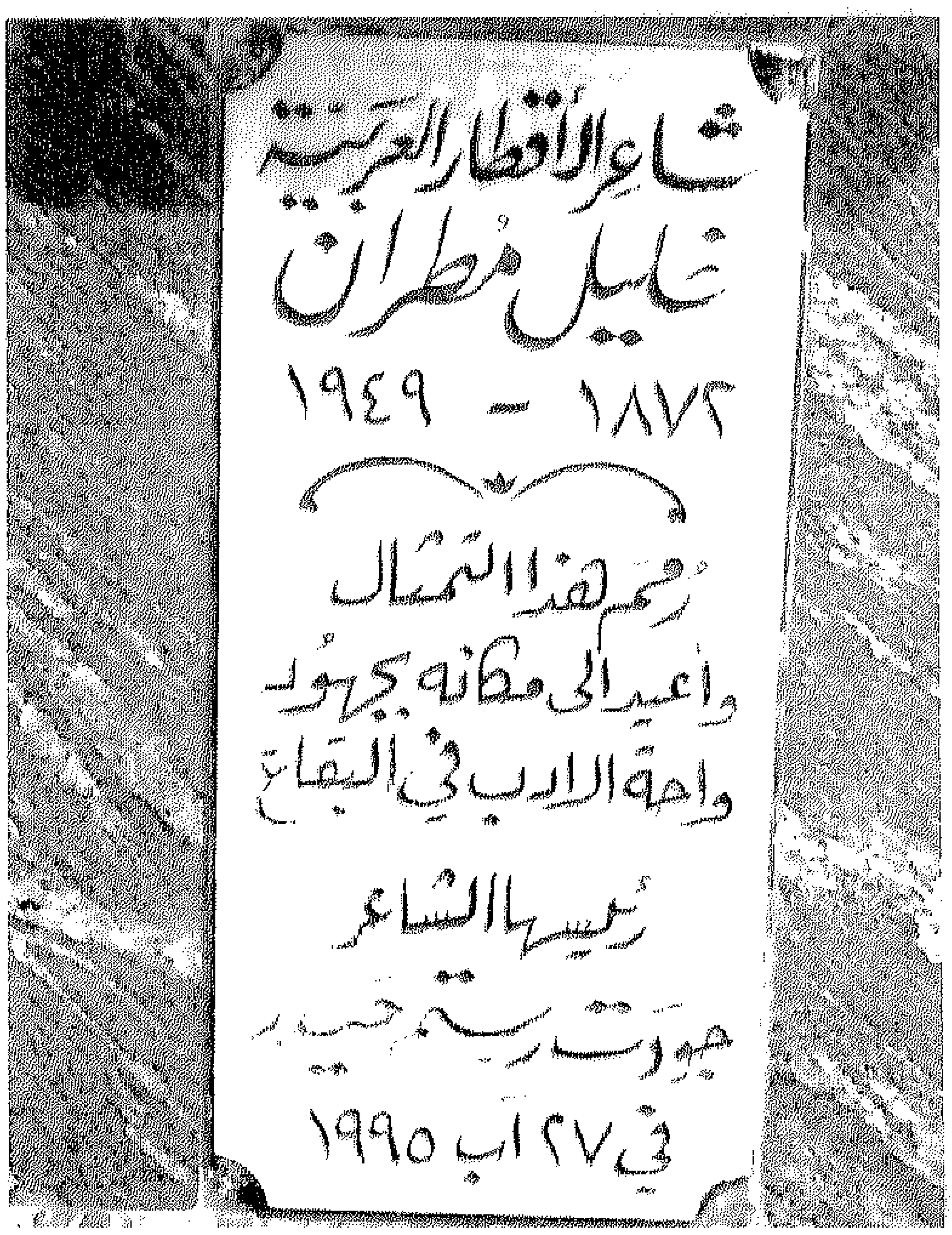

أشادت الصحف بالمهرجان وهذا بعض ما كتب:

في صيف ١٩٨٥، امتدت أيدي التخريب محاولة نسف تمثال الشاعر خليل مطران، المنصوب في الساحة التي تحمل اسمه في بعلبك. ولكن التمثال تضرر فقط في أسفله، ونقل بعدها إلى داخل قلعة بعلبك، ووضع في حماية عمال الآثار.

وفي أواخر آب عام ١٩٩٥ أعيد التمثال إلى مكانه، بفضل جهود الشاعر البعلبكي جودت حيدر وتخلل المناسبة احتفال أقيم في دارته في حضور ممثلين عن رؤساء الجمهورية والحكومة والمجلس النيابي والوزراء، والشعراء بلند الحيدري وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي، والياس لحود وريمون قسيس وميشال جحا وفاعليات سياسية وثقافية واجتماعية لبنانية وعربية.

والشاعر حيدر الذي تحرك لإعادة التمثال قد شكل لجنة لمتابعة هذا الأمر من كل القطاعات، وعقد مؤتمراً صحفياً في نقابة الصحافة أعلن فيه عن خطواته وتحركاته. واستطاع تنظيم هذا المهرجان الثقافي بالتنسيق مع اتحاد الكتاب اللبنانيين، ووزارتي الثقافة والسياحة. وهكذا تحول مهرجان إعادة التمثال ملتقى الشعراء والأدباء، الذين تباروا حول ذكرى خليل مطران.

فقد جاء في كلمة رئيس الجمهورية آنذاك الياس الهراوي والتي ألقاها معالي الوزير شوقي فاخوري»

يا خليل مطران، انك بحق الهرم الرابع والعمود البعلبكي السابع، فهنيئاً لك كل هذا الملك العظيم، وأي زمان يشتهي ان يبتدئ به ولا ينتهي، وليبق شعرك حكايات الحقول وماء الينابيع، وقناديل الغسق، ومزهرية كبرى نزين بها العمر والقدر...»

كلمة الشاعر حيدر في المهرجان:

«حضرة ممثل رئيس الجمهورية معالي الأستاذ شوقي فاخوري

أصحاب المعالي والسعادة

حضرة رجال الدين الأجلاء

حضرة الرسميين والعسكريين

حضرة ضيوف البقاع القادمين إلينا من أنحاء الوطن العربي رسميين ومبدعين ومثقفين.

حضرة حملة القلم في بلادي

أيتها النخبة التي تحلقت اليوم حول ذكرى المطران وإبداعه

نحن كلنا أهل العرس فلا ترحيب ولا مجاملات بل وقفة إجلالٍ أمام إبداع لن يطويه زمن الموت والغياب.

خليل مطران العظيم من الهيكل. والهيكل مجد بقاء.»

«توالفت الأوزان والقوافي اجنحة النظيم بالفكر انطادت رفوف بيان وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها وهوت على ضفاف النيل وبردى بعدما اصطادها الخليل ونقش برياشها على قمم البلاغة كنوز الكون خفايا الطبيعة من الإبداع، وغزا بالشعر المستفيض بحور البيداء. هذا خليل شاعر القطرين الموحى اليه من غدير خزينه الصافي شيد منارة هداية نورها استحال مجرات نجوم وكل نجم منها سراجه شعر من أشعاره سابحات في الفضاء كالغيوم تتصافح وتبتسم ثم تندم وتطبق شفاها فترعد وتمطر دموع المحبة ما بين الإنسان وأخيه الإنسان في وطن واحد موحد إلى الأبد.

لذا أقول الحياة زمان وقدر تحترق كالهشيم والنادر منها يبقى وميض ماس في الرماد. هكذا ودع الخليل الأحبة والجيران وترك أرثه من الرشد لأمة عطشى للإرشاد، ترك محيطات من الثقافة والرموز بعدما أبحر في بحور الأبجدية وأخذ يستقي من هديرها صفاء الفكر ومن عواصفها خبرة الأيام على دروب الأجيال فكان حصادها سنابل يانعة من الروية والإيقاع، ومناهل في الحذاقة بعدما صاغ دنيا الحروف وجعل من قراءتها صلاة ومن بنائها يقيناً، هذا الجهد المبدع اخذ بعقلي إلى الذهول وجعل مسار فكري كمسار الجواثم أسير أحلامي بين قرب وبعد، رحم الله خليل المطران من حاك من شعاع بعلبك أفكاره فكانت ثروته في الحياة والخلود، رحمات الله عليه.»

Khalil Moutran

I have reared the progeny of my mind
A world of thoughts on the campus of time
And I have traveled to Egypt to find
Who turned over the blue Nile into rhyme

Him master of the Alphabet has made
Of the letters rivers of poetry
A unique poet who had a crusade
Crossing the border heights of Poesy

Far across the visioned cloud-land of space
Schooled well of vision by the lore of sci'nce
He had the measure of thought to retrace
The right circumference of circumstance

By the sovereign knowledge of the word
He uttered to go round and'round the world

* * *

بعد مرور سنةٍ على إقامة هذا المهرجان أتى شاعرنا بهذه القطعة الأدبية والتي نشرت في جريدة النهار عدد ١/٢/١٩٩٦:

خليل مطران

في غمرة الليل أيقظني صوت خافت رخيم، خلت أنه يتصاعد من دارة الخلود ويتهاوى بوفرة من الشوق والحنين، حنين حسون ينشد لوعة الفراق أنغاماً لها مرارات الحزن والحزين، ينشد على مدى الحجيج والصوم والصلاة في قلب كل مؤمن وفي كل دين، هذا حنين الخليل من بكاه النيل وانصب في البحار أمواجاً عاتية من الآهات والأنين. هذا حنينه إلى بردى إلى شام العروبة جاه العرب، شام الأسود والعرين، شام الكرامة محط الآمال والعيون الشاخصة إلى السماء والحرية والنصر المبين،

إلى بيروت عظمة التاريخ، بيروت الأم العطوف من تاه على طريق الحياة وجد فيها الحنان، إلى الجنوب الصامد، إلى البقاع، إلى الأرز الخالد، إلى صنين ، إلى بعلبك، إلى قلعتها التي جعلت من التاريخ ومن أعمدتها قيثارة الريح تندف الحان الطيب من الوتر وتدهش شقيقات الإغريق في السماء وهن النجوم في سهر، الى بعلبك الرجولة والجهاد، بعلبك الحضارة، بعلبك لوقا والإمام الإوزاعي وصلاح الدين الأيوبي. بعلبك خليل مطران شاعر الأقطار العربية بل شاعر العصر عاشق النجوم التي امتص من شرايينها أنوار المعرفة وصاغ من شعاعها نضال الفكر واخترق تخوم الإبداع إلى قمة الكمال، ونحت من الطبيعة لوحات جمال زين بها جدران المصير بعدما سما وشارك الوامضات في الوميض ومضى في بسمة الفجر تاركاً شهرته تاريخاً جذوره حياة، هذا ما زادني شوقاً وحنيناً إليه مسرعاً مع باقات من الورود وضعتها على قدمي نصبه وكأني سمعته يقول:

«لبنان» بين جباله ورجاله   طالت ذراه أوج كل عنان

تحنو عليك صلاده بظلالها   وتقر في وادٍ من التحنان

إن المصير إلى الثرى، وإخاله   أندى وارفه في ثرى «لبنان».*

* أبيات مطران في رثاء الكاتب الفيلسوف أمين الريحاني ديوان خليل مطران الجزء الرابع ص ٢٥٦

ملحق

ملحق

أ- عن جودت حيدر

ملأ شاعرنا الدنيا وشغل الناس.. عاش حياته كما يقال بكل مراميها وأبعادها وآفاقها.. جادّاً في أغلب الأحيان مازحاً يوم يكون المزاح جميلاً يروّح عن النفس وينسيها متاعبها، ويكون الحضور أصدقاء يعرف فيهم الصدق والإخلاص.

أحب المطالعة مبكراً، وبقي حتى يومنا هذا يقرأ الشعر والأدب والتاريخ والفلسفة.

كما أحب الموسيقى، وتعلم حين كان في فرنسا، العزف على الكمان، وأكثر ما أحب الرياضة لأنه آمن منذ فتوته وبدايات شبابه أن العقل السليم، في الجسم السليم، ساعده على ذلك جسم قوي متناسق .

مال إلى كرة السلة منذ دخل الكلية الأميركية ببيروت فكان رئيساً للفريق، وتابع رياضته المفضلة في فرنسا، ثم في أميركا، لا يلهيه عن هذه الرياضة لاهٍ ولا يبعده عنها عائق.. مارسها بشغف، وبقي كذلك حتى دخل عالم الأعمال.

يوم كان تلميذاً في الجامعة في الصف الثاني استعدادي انتخب رئيساً لفريق كرة السلة.. وبقي رئيساً لهذا الفريق لعدة سنين.

وفي أميركا بجامعة تكساس تدرب ستة أشهر متواصلة حتى قبل في الفريق الجامعي، وأصبح لاعباً مميزاً.

أهم سماته الطموح فهو الطموح البالغ الذروة في طموحه، يظهر ذلك في كل آونة وكل عمل.. في العمل يطمح إلى الأمثل، وفي الحياة لا يرضى إلا أن يكون في قمتها،

وفي المجتمع يأبى إلا أن يكون الكبير الذي ينظر إليه الناس نظرة الإعجاب، ويولونه الاحترام، وفي الشعر اتخذ مذهباً خاصّاً به، خصائصه وقواعده جعلته في مصافّ الشعراء العالميين الكبار، وفي علاقته مع الناس مثاليّ متمسك بمكارم الأخلاق والعادات والتقاليد.

وهو شخصية متماسكة قوية لا تخشى الفشل مطلقاً، فإذا ما وقفت العقبات في سبيل وصوله إلى غايته أزالها بشجاعةٍ نادرة. وإذا أحس بشدتها وصلابتها تنحى عن طريقها ليختار طريقاً آخر.. وجدناه في عمله الحرّ كيف كانت العقبات تعترضه بكل شراسة، فينتقل إلى عمل آخر لعله يسهل عليه الوصول فيه إلى غايته المنشودة.

وهو لا يقبل الضيم، ولا يهدأ إذا أحس بالظلم، ويرفض أن يأتيه الوعيد أو التهديد من أية قوة في الأرض. رفض تهديد مدير الشرطة الإنكليزي في نابلس يوم كان مديراً لكلية النجاح، حتى إذا لمس الضابط الإنكليزي قوته وصلابته وعنفوانه رضخ واتخذه صديقاً.

ومع المسؤولين الفرنسيين في سوريا منذ مجيئه من أميركا بعد إتمام دراسته وأثناء عمله في شركة النفط العراقية كان قويَّ الشكيمة صلباً عنيداً عالي الرأس دائماً، صامداً.

ويوم لوَّح له رئيس الجمهورية اللبنانية المرحوم بشارة الخوري بالشدة قال له بعنفوان: أنا لا أرضخ للتهديد.

متمسكٌ أبداً بمكارم الأخلاق محبّ للمثل العليا لا يداهن ولا يراوغ، ولا يلف ولا يدور.

صادقٌ في كل آن ولو أوقعه صدقه في المهالك. يكره الكذب ولو كان في مجال مزحة أو نكتة.

كانت له صداقات وطيدة مع معظم الشخصيات العربية أمثال:

جلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية، فخامة رئيس الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الحسيني، فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي، فخامة رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية إميل إدّه، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري، دولة الرئيس عبد الحميد كرامي، دولة الرئيس رشيد كرامي، دولة الرئيس عادل عسيران، معالي الوزير توفيق شامية، النائب نوري الحكيم، السيد إحسان الجابري، دولة السيد سعدالله الجابري، النائب يوسف بك الزين، المؤرخ والفيلسوف جواد بولس، الشيخ قبلان عيسى الخوري، الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي لقيه يوم كان يشرب الشاي مع جلالة الملك فيصل ملك العراق وأخيه محمد رستم في حديقة البلاط الملكي في العراق، العميد ريمون إدّه، النائب موسى نمور، البطريرك المعوشي، النائب عبدالله الحاج، النائب الصحفي عبدالله المشنوق، السيد ألفرد سكاف وغيرهم.

الشاعر أحمد شوقي الذي كان يزور لبنان كثيراً ويلتقيه دائماً، الشاعر السوري عمر أبو ريشة، شاعر الأقطار العربية خليل مطران.

ومن هؤلاء الأصدقاء فريق كرة السلة في الجامعة الأميركية ببيروت الذين بادلوه أسمى معاني الصداقة والوفاء.

أما عن صديقه الأديب سعيد تقي الدين يقول:

«كان سعيد يتردد إلى بعلبك أثناء تولي والده محمود تقي الدين منصب المحافظ هناك. كان سعيد ذا ذكاءٍ حادٍ وثقافة عالية وروحٍ أدبية وقلمٍ سيالٍ ومن أعماله الأدبية مسرحيته المشهورة «لولا المحامي» التي كتبها في منتزه «رأس العين» في بعلبك.

ربطتني به صداقة متينة رغم أنه كان يكبرني سنًّا حيث امتدت أواصرها وتشعبت أغصانها، فأصبحت صديقاً لإخوته.

ترك سعيد بلده وسافر إلى الفيليبين ليمضي سنة كاملة ويعود بعدها الى وطنه.

كم كانت سعادتي به يوم زارني في طرابلس وبصحبته الصديق ميشال سماحة وبعض الأصدقاء، فعدنا إلى ذكريات مضت، واسترجعناها أياماً عزيزةً علينا.

كم يأسف المرء حين يرى الصداقات في هذه الأيام قد اختلطت بالمصالح، وعكرت الأنانية صفاءها.

لقد أصبح الصديق الصدوق نادراً. كم أرجو أن يعود إلى الصداقات صفاؤها، ويعود الناس إلى أصالتهم وطيبتهم فيغمروا الوطن وأبناءه بإخلاصهم أينما كانوا.»

ويستطرد جودت حيدر بالقول:

«أذكر وأنا أقف اليوم على قمة الشيخوخة، وشبابي يناديني من أعماق زماني..

أذكر يوم كنت في الجامعة رياضياً ورئيساً لفريق كرة السلة، وأقفز مائة وثمانية وثمانين سنتمتراً.

أذكر شبابي وقوتي ونشاطي، وتقودني الذكرى إلى المقارنة بين الشباب والشيخوخة، بين النشاط والعنفوان والقفز والهدوء والضعف والاتئاد والسير على مهل. هذه هي الحياة على الأرض.. صعود ثم هبوط.. الإنسان كالدول تبدأ صغيرة ثم تقوى وتشتد وتحكم، ثم تضعف ويدبّ المرض في أوصالها فيتآكلها جزءاً فجزءاً حتى تكون نهايتها.

أين الامبراطورية الإيرانية، واليونانية، والرومانية، والعثمانية والإنكليزية كلها زالت واندثرت، وستندثر تحت أقدام الزمن كل امبراطورية تقوى ويشتد ساعدها وتعمر.. هكذا الإنسان أوجده الله على الأرض ليعيش مع أخيه الإنسان بمحبة وسلام ووئام، لكنه يرجع في كثير من أوقاته إلى ما ورثه من حيوانية فتكون الحروب التي تفترس الناس.

لكم يتمنى المرء أن يسود الشرع، وتندثر شريعة الغاب، ويعيش الناس معاً تجمعهم الإنسانية والحب والوئام.»

مخلص في عمله يرى الإخلاص في العمل عقيدة وديناً وشرفاً..

ولا تسل عن حبه لوطنه وتفانيه في سبيله حتى ليمكن ربط كل مكارم الأخلاق فيه بحبه لوطنه.. أصر عليه رئيس الجامعة التي درس فيها ونال شهادتها بدرجة أثارت إعجاب الجامعة على أن يبقى في أميركا، وأمّنَ له عملاً لائقاً، فأجابه مراراً: وطني محتاج لي وأنا محتاج لوطني.

قويّ البنية لاهتمامه منذ صغره بالرياضة ، وما يزال حتى يومنا هذا وهو على أبواب السادسة والتسعين قوي الجسد كما أنه قويّ الإرادة، يودع أصدقاءه إلى باب بيته منتصب القامة شامخ الهامة.

إلى ذلك كله عالم واعٍ قرأ التاريخ بإمعان، والفلسفة بعمق، وآمن أن العلم ليس ليخزن في العقول فحسب، وإنما ليستعمل في كل زاوية من زوايا الحياة. وكان نتيجة لفلسفته هادئاً يوم يلزم الهدوء، ثائراً يوم تجب الثورة، ساكتاً يوم يكون السكوت خيراً من الكلام.. هادراً كالأسد بأسلوبه الشيق ولهجته الخطابية الرائعة. ولذلك يمكن القول: تطابق أفعاله أقواله.

لم يعرف التعصب الديني، إذا تعصّب فتعصبه لوطنه وأبناء وطنه، وإذا انحاز فانحيازه إلى الحق.. لذلك أحبه الناس جميعاً مسلموهم ومسيحيوهم. كان هؤلاء في نظره أبناء الوطن الواحد فقط، وهذه هويتهم التي بها يعرفهم.

لم يقبل رشوة من أحد، بل وفي سبيل الحرص على نقاء سيرته أبى التعامل مع الأصدقاء أثناء الوظائف التي شغلها. لا يقبل هدية من أحد إذا شمّ فيها رائحة محاولة الإفادة. قدم خدمات للناس كثيرة.. وأهداه أولئك تقديرهم وإخلاصهم.

كثيراً ما يقول: لا لزوم أن نتكلم عن الناس.. ما لنا وللكلام عليهم.. بالرغم من وقوع بعضهم عن قصد أو غيره وفي وقوفهم حجر عثرة أمام طموحاته وآماله.

وحتى يومنا هذا والشاعر يكتب مذكراته يأبى التجريح بأحد، أو يأتي على ذكر أحد، تاركاً ذلك للتاريخ.

أما الاستعمار فهو ضده بشتى أشكاله وحيثما وجد. يقول أنه بالفكر الناضج يستطيع المرء أن يناضل وينتصر وأن أمتنا تحتاج إلى أقلام حاجتها للسيوف. تعاطف مع عبدا لكريم الخطابي في ثورته ضد الإسبان والفرنسيين في المغرب العربي.

وإبان الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي، ويوم كان يدرس في الولايات المتحدة كان لا يترك وسيلة لتسقُّط أخبار الثورة والثوار.

وما يزال شاعرنا حتى يومنا هذا مناضلاً قوياً ، وها هي قصائده تجوب أنحاء العالم بالثورة على الظلم وبتأييد الثوار والمناضلين في شتى أقطار الأرض.

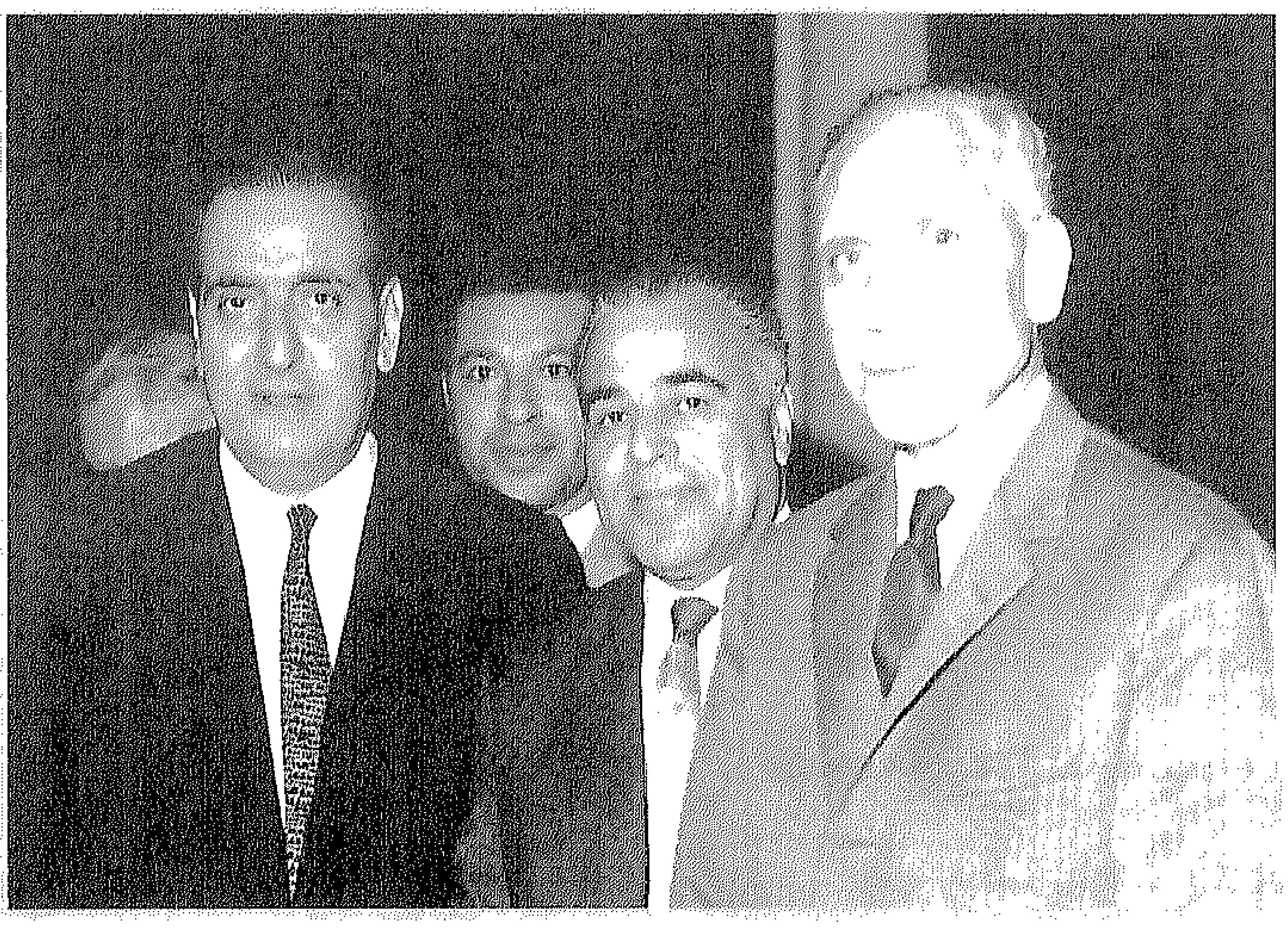

مع فخامة الرئيس شارل الحلو

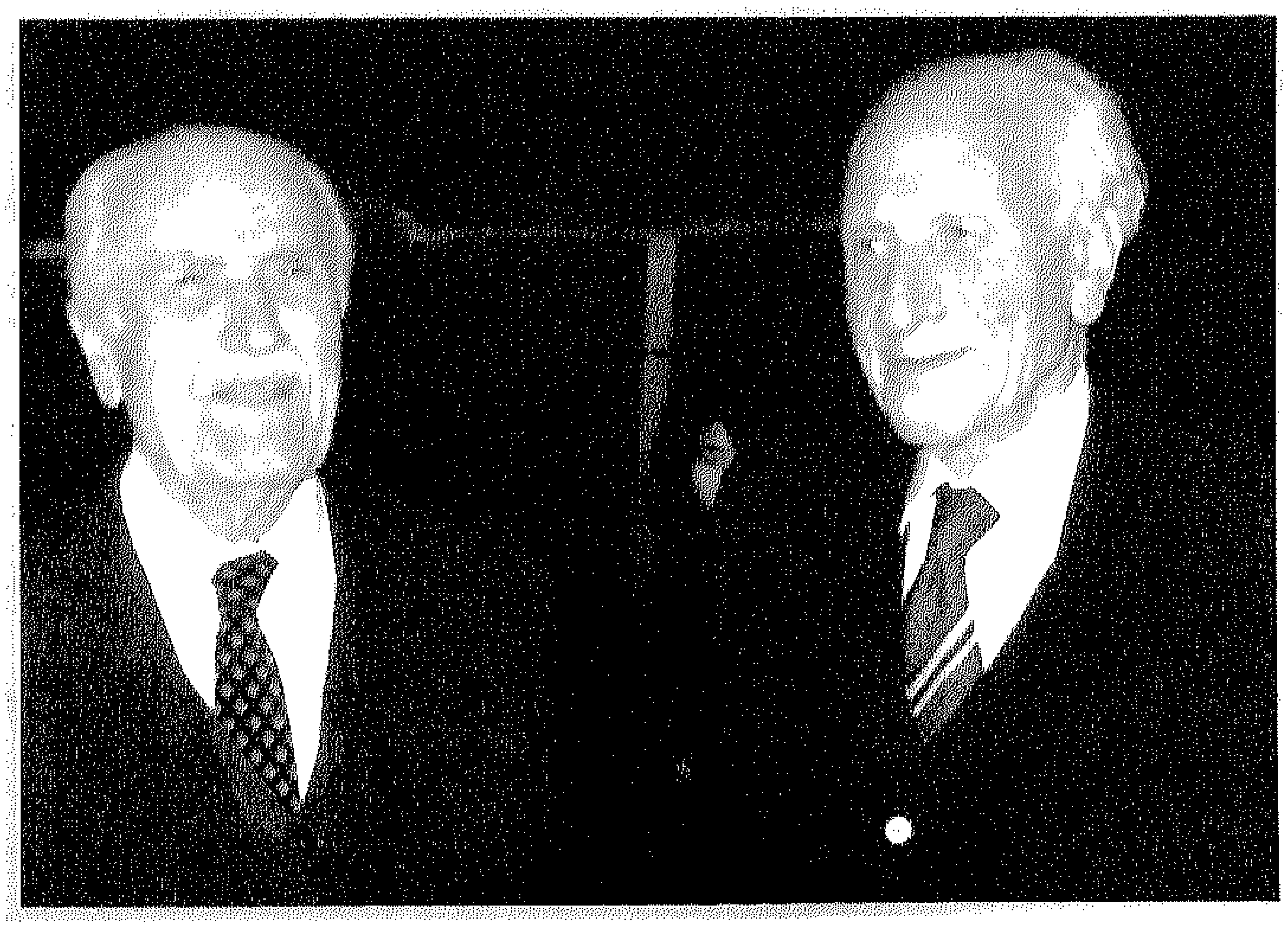

مع دولة الرئيس عادل عسيران

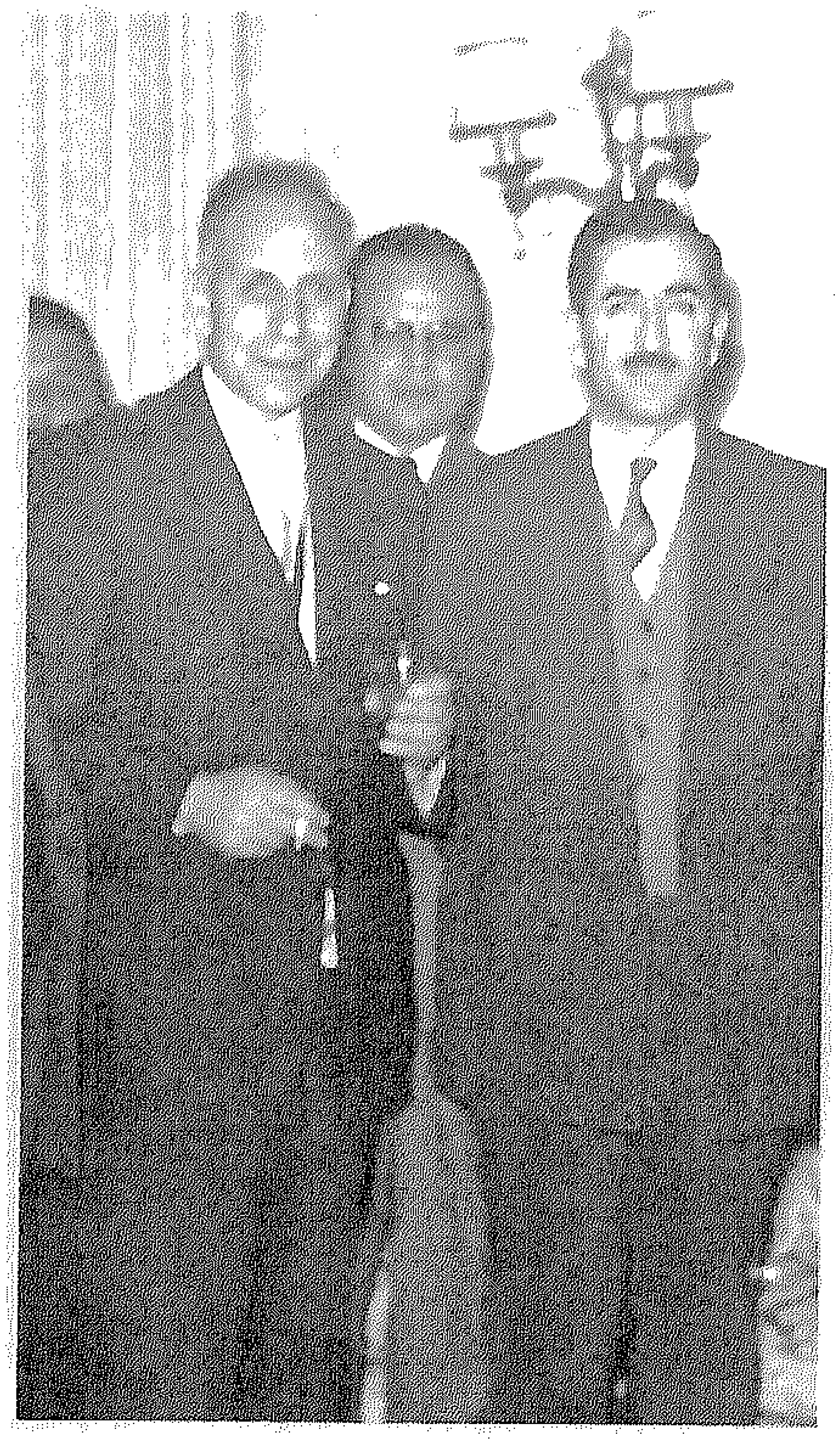

مع دولة الرئيس رشيد كرامي

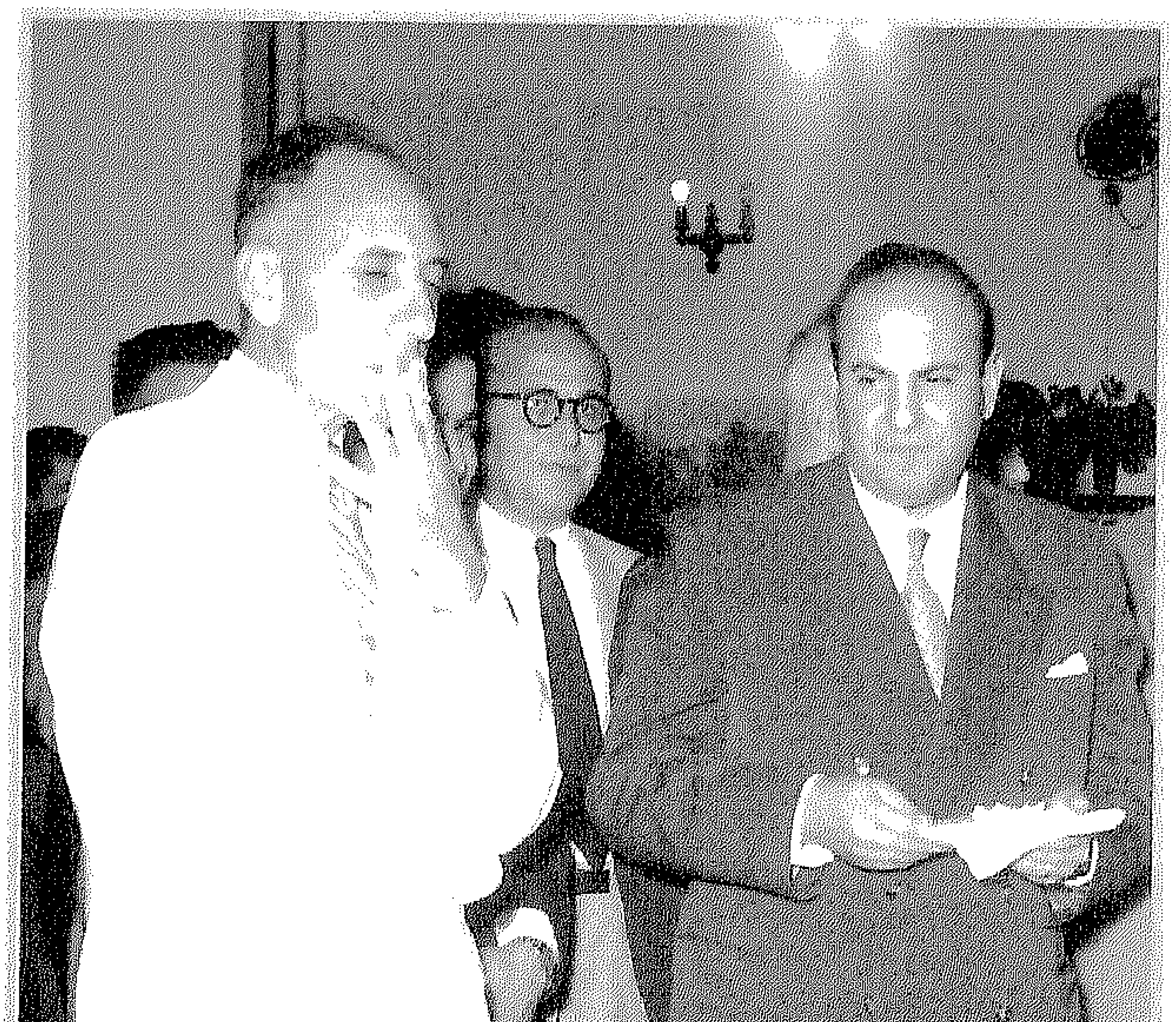

مع معالي الأستاذ جوزف السكاف

مع دولة الرئيس صبري حمادة والعميد ريمون إده

مع المفكر شارل مالك

مع دولة الأستاذ إيلي الفرزلي

يوقّع كتابه لنقيب الصحافة الأستاذ محمد البعلبكي

ب- الأوسمة:

بذل جودت حيدر جهوداً مميزة في سبيل إحقاق العدل وعدم التمييز بين الناس. وكان وقع أعماله في مجال حقوق الإنسان مؤثراً مم استحق التقدير والإستحسان من مختلف الدول والهيئات الدينية والعالمية والوطنية. تبوأ جودت حيدر مركزاً متقدماً بين الشخصيات اللبنانية، لذا وتقديراً لما جاء منح العديد من الأوسمة الرفيعة والتي تدل على المعاني السامية في شخصية وأعمال شاعرنا.

وسام الاستحقاق اللبناني المذهب

في حفل تقليده الوسام وإلى يساره السيد هيريدج»

الوسام التاسع سنة ١٩٥٩ من قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين

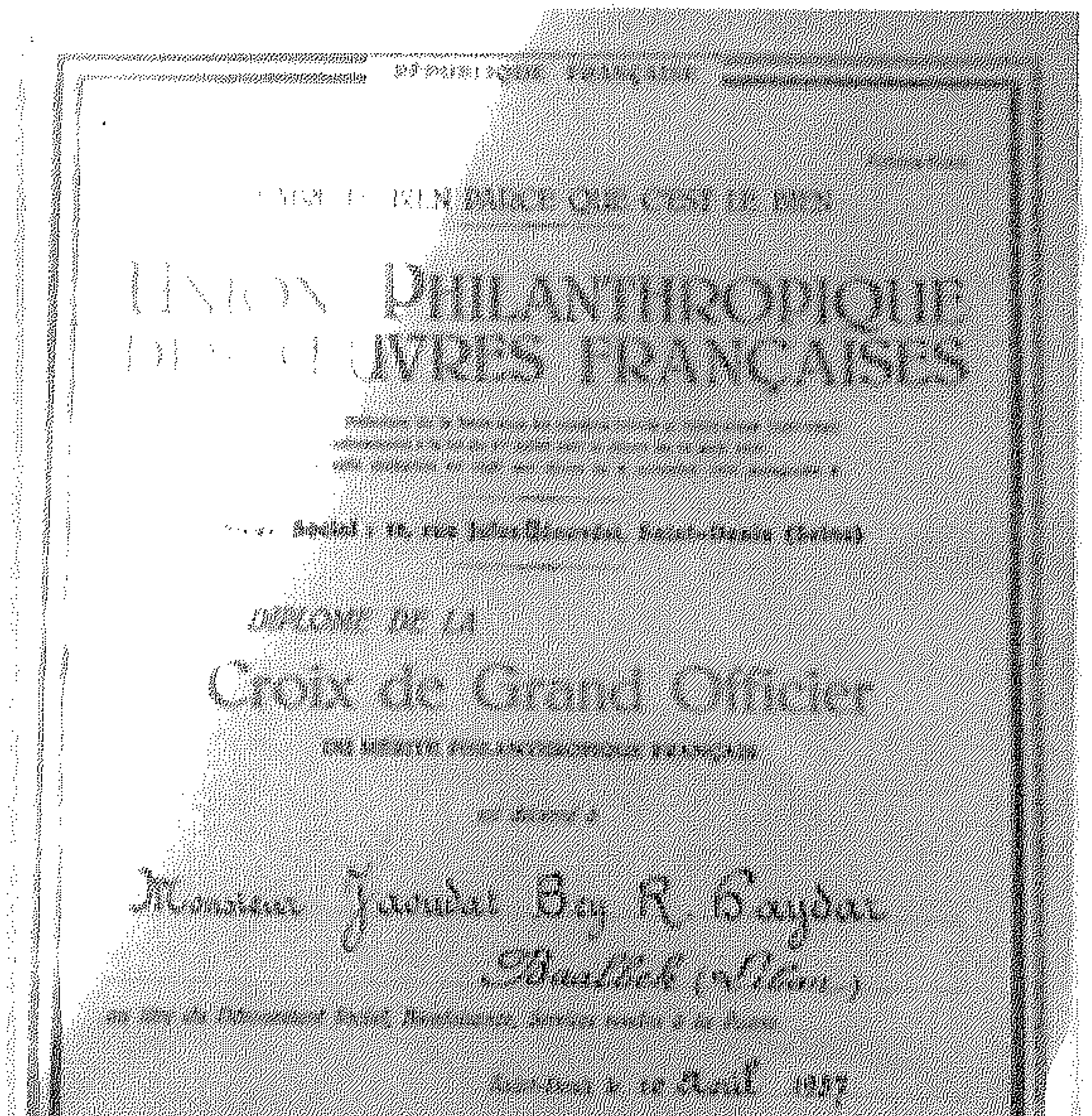

وسام من الدولة الفرنسية **Croix de Grand Officier**

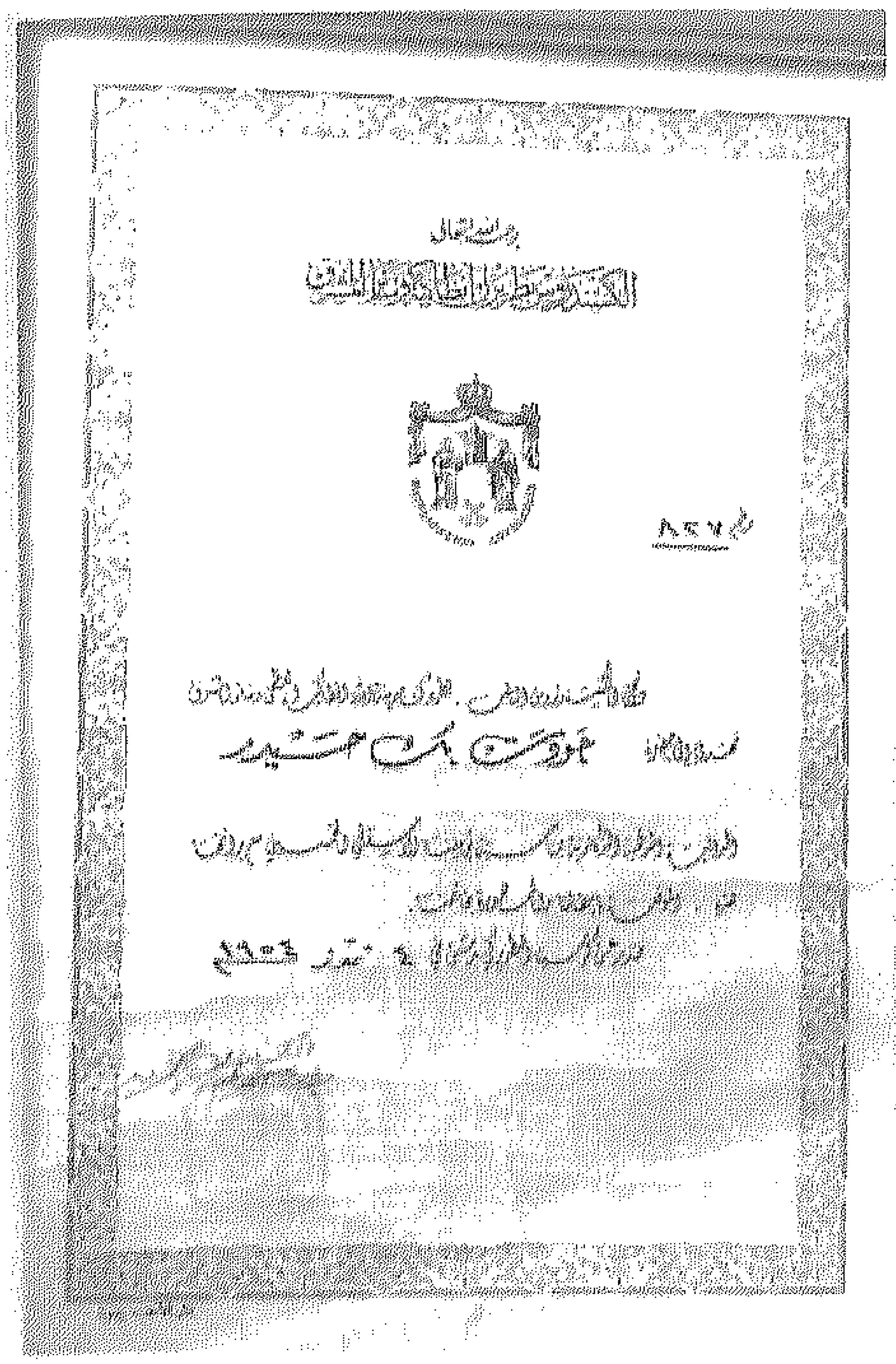

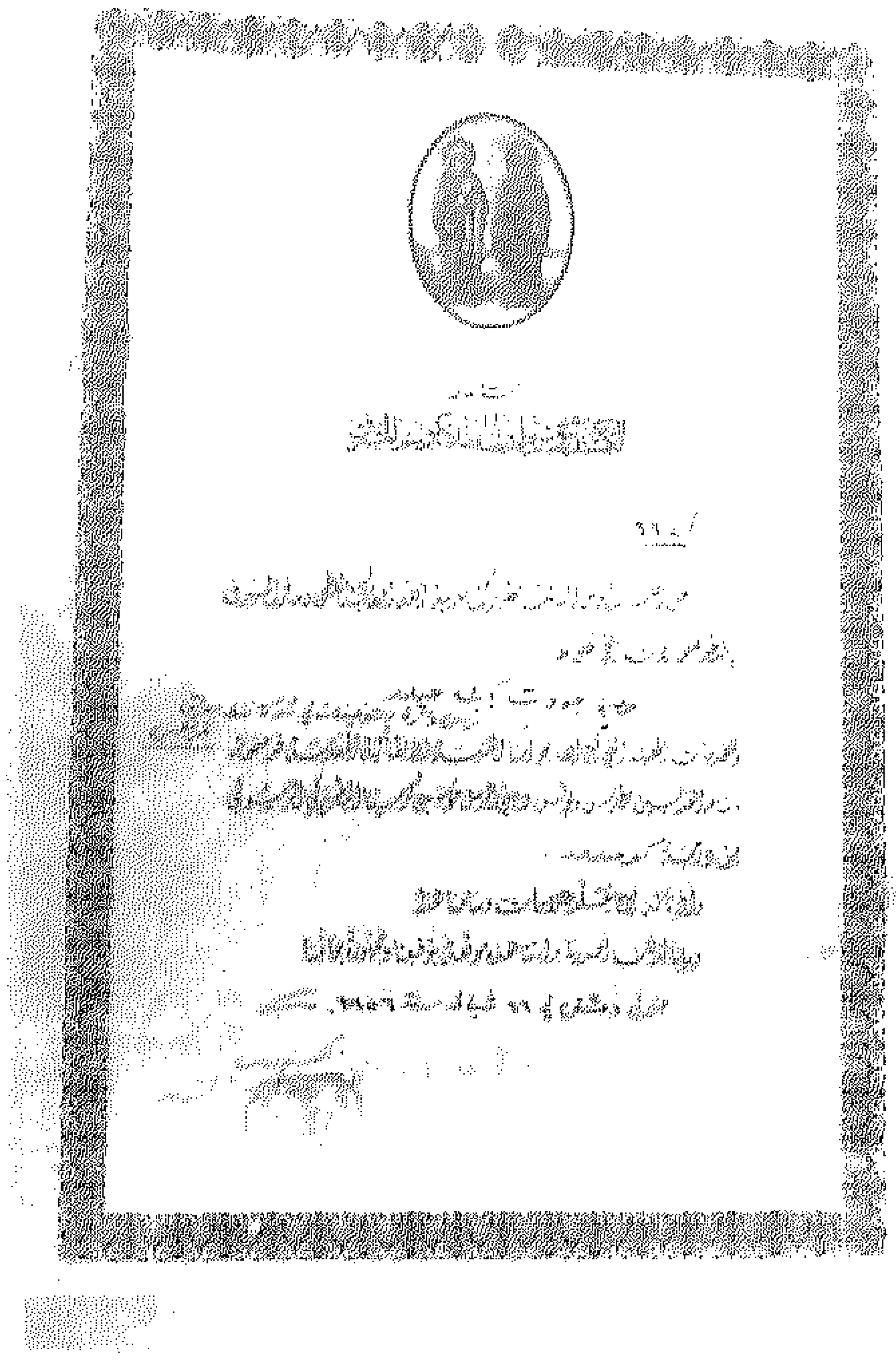

من بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ألكسندروس الثالث في دمشق بتاريخ ١٦/٢/١٩٥٦ وبتاريخ ٤/٧/١٩٥٤

في حفل تسلمه الوسام

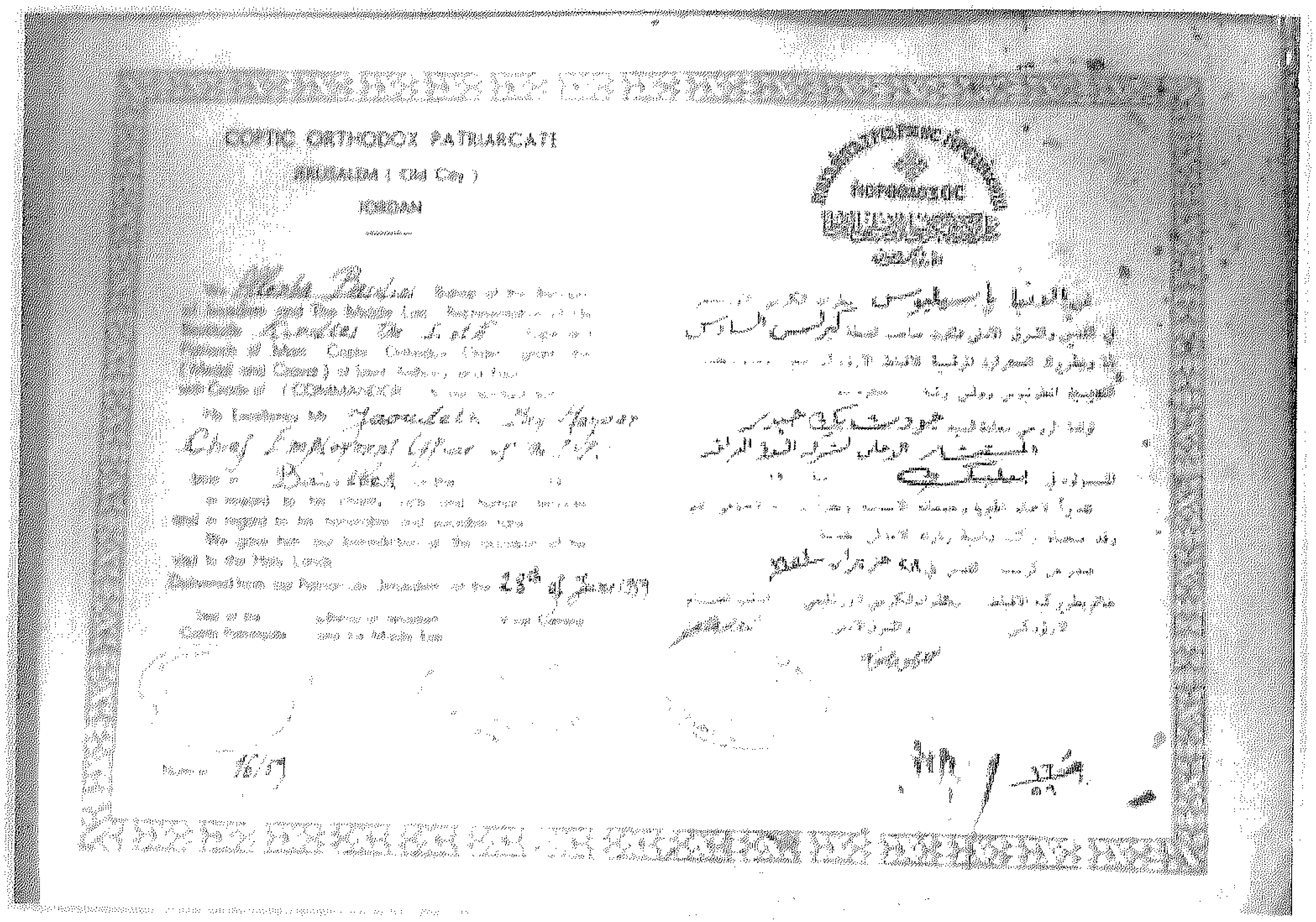
COPTIC ORTHODOX PATRIARCATE

JERUSALEM (Old City)

JORDAN

وسام القديسين أنطونيوس وبولس من غبطة كرياكوس السادس بابا وبطريرك الأقباط الأورثوذكس

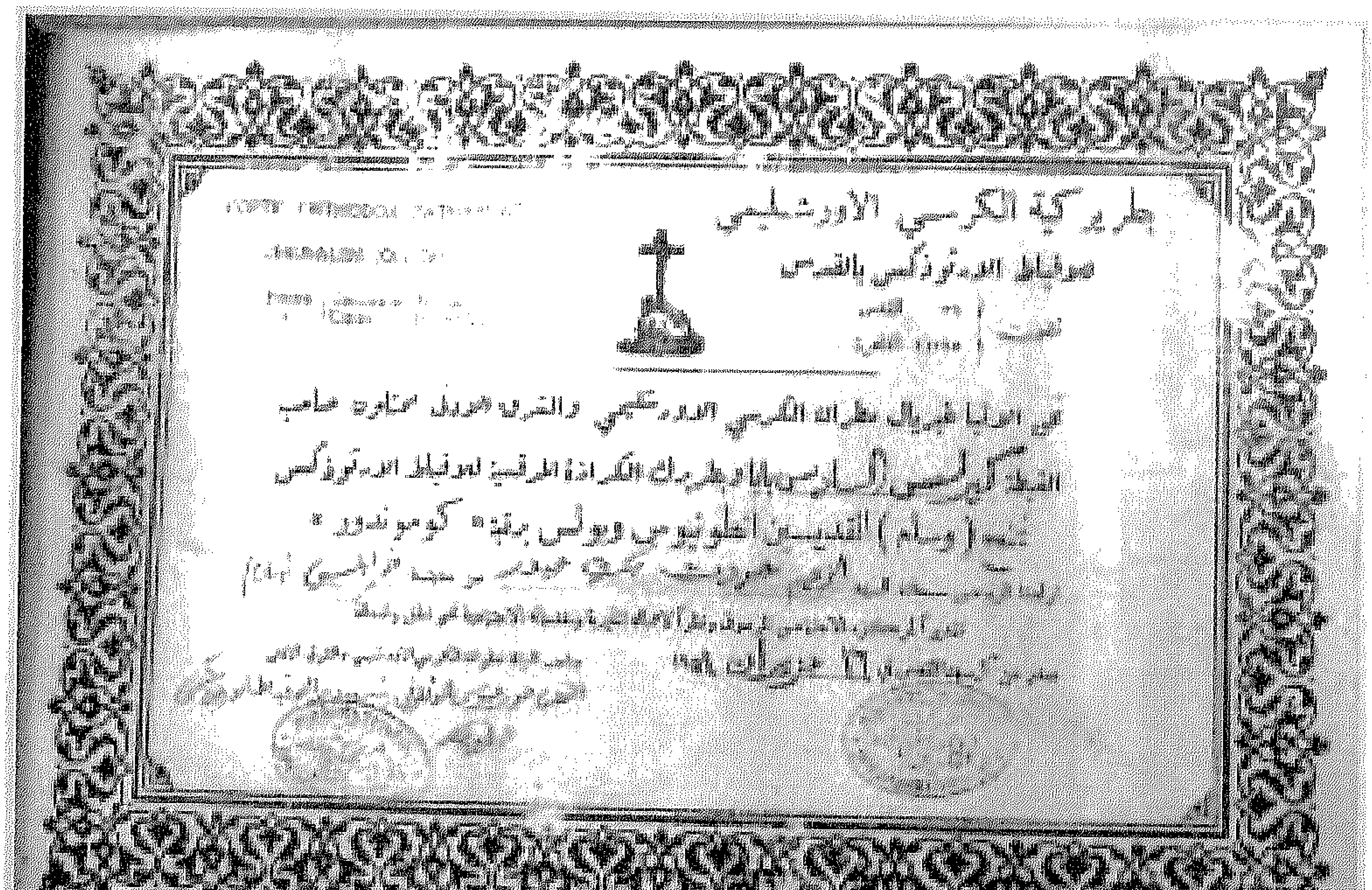
بطريركية الكرسي الأورشليمي

وسام القديسين انطونيوس وبولس بدرجة "كومندور"

وسام من الكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى

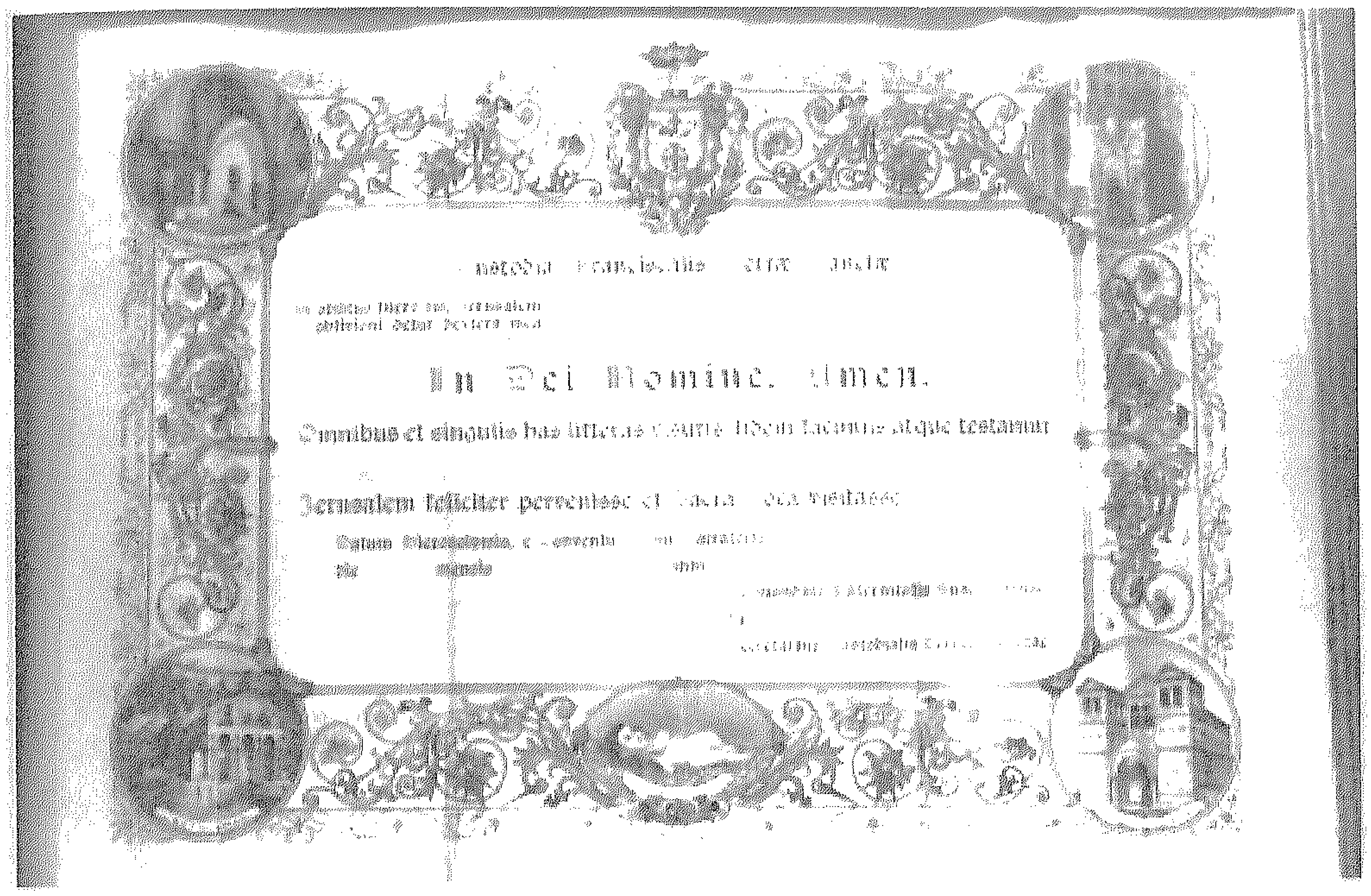

وسام الكرسي الاسقفي في القدس الشريف

جودت حيدر يتسلم شهادة «حقوق الإنسان» من الدكتور خير الدين عبد الصمد

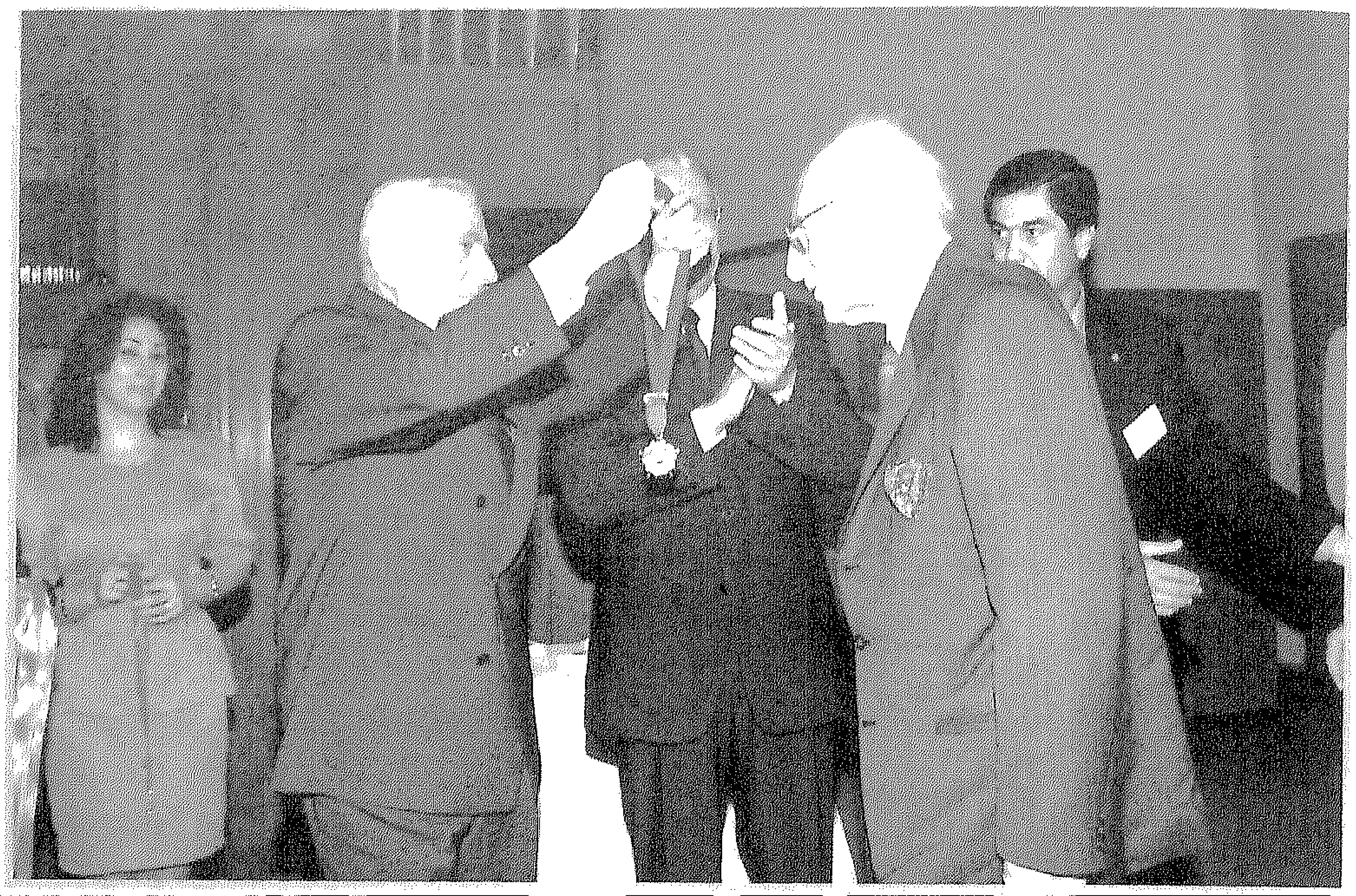

فخامة الرئيس الياس الهراوي يقلده «اليوبيل الماسي» - الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٩٩

الدكتور فتحي أبو عيانة رئيس جامعة بيروت العربية يقدم له «درع الجامعة» في ٨ أيار سنة ٢٠٠٠، حيث دعته الجامعة إلى أمسية شعرية ألقى فيها بعضاً من شعره في قاعة جمال عبدالناصر.

«بيروت العربية» كرّمت حيدر «أمير شعراء القرن العشرين»

لمناسبة مرور اربعين عاما على تاسيس جامعة بيروت العربية نظمت كلية الاداب في الجامعة امسية شعرية للشاعر جودت حيدر في قاعة جمال عبد الناصر حضرها الدكتور احمد طبارة ممثلا رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ووزيرا الثقافة محمد يوسف بيضون والدفاع غازي زعيتر والنواب بهية الحريري وعبد اللطيف الزين وعلي عسيران والعميد محمد فقيه ممثلا مدير عام الامن العام اللواء الركن جميل السيد وحشد من اهل الثقافة واساتذة الجامعات.وقدم عميد كلية الآداب الدكتور فتحي ابو راضي الشاعر فقال: «حمل محبة لبنان ورائحة ترابه عبر البحور ومد الجسور الى اطراف الأرض فكان طائر الارض والبحر استوحى من الاولى الوفاء والكرم والثبات في الموقف الحق ومن البحر اغترف اللؤلؤ وغاص في لججه وتعلم على يديه طول الأناة».

وقدم رئيس الجامعة الدكتور فتحي ابو عيانة درع الجامعة الى الشاعر جودت حيدر «بامير شعراء القرن العشرين». والقى الشاعر جودت حيدر مجموعة من اعماله باللغتين العربية والانكليزية فقدم

□ الشاعر جودت حيدر مكرماً □

قصائد «جميلتي لا تكوني فخورة» و«عبور القناة» و«الأمل الأخير» و«حائط الصين» و«آه يا عالم» المهداة الى قانا وغير ذلك من القصائد باللغة الانكليزية. اما بالعربية فقدم قصيدة «البحر» و«اين نحن اليوم» و«وجودي لا وجودي» و«بعلبك» التي قال فيها: «هنا تاكلت العصور مع الصخور وانتصر الحجر هنا تموت الايام ويموت الانسان... هذا الجمال كتبته فيها حقيقة ومن الحقيقة صغت كلمات وضعت اشعاري لوطن ولدت فيه وفيه قدري».

جريدة اللواء ٩/٥/٢٠٠٠

الحضور في قاعة عبد الناصر/ جامعة بيروت العربية

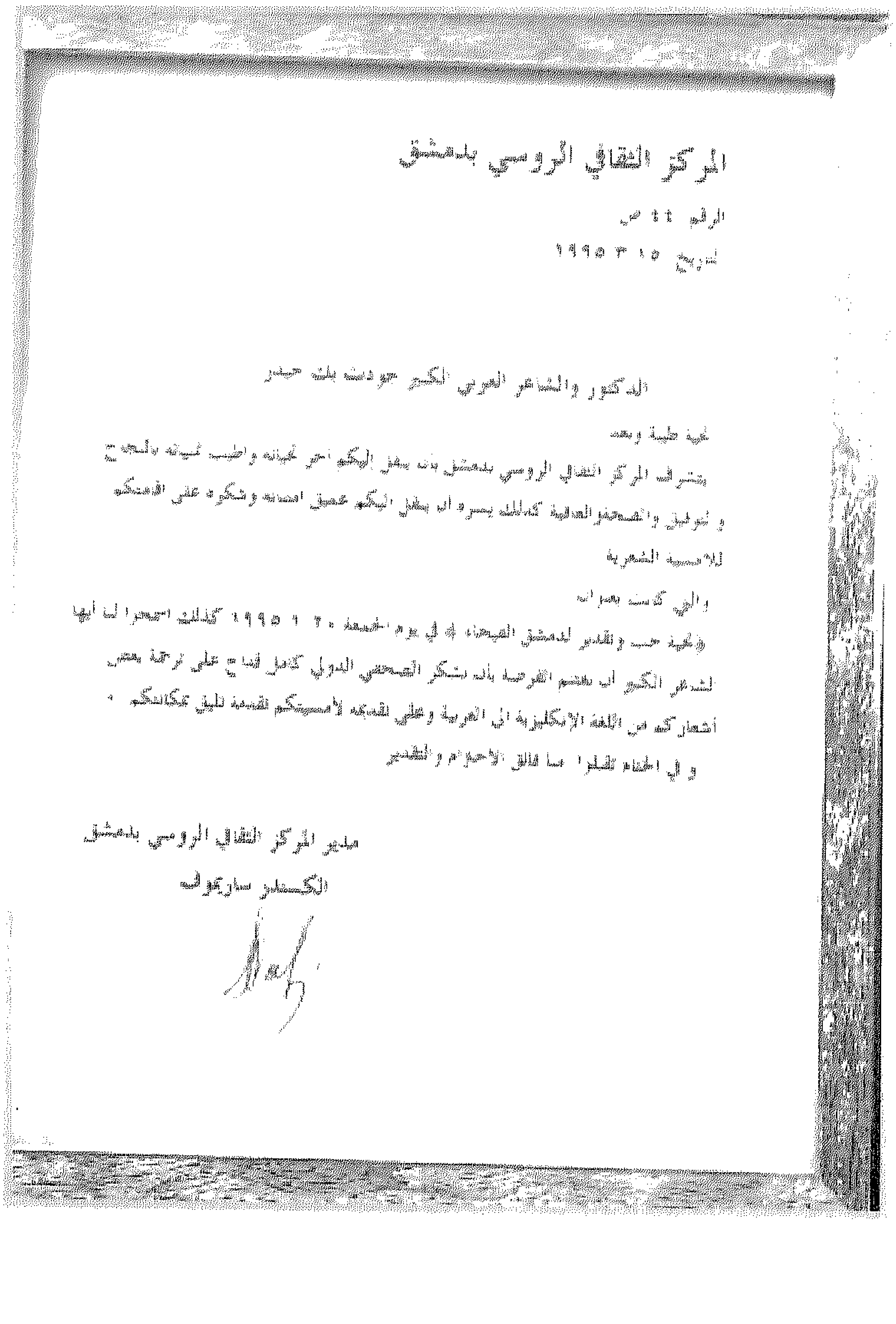

المركز الثقافي الروسي بدمشق

الرقم ٤٤ ص

تاريخ ١٥ ٣ ١٩٩٥

الدكتور والشاعر العربي الكبير جودت بك حيدر

تحية طيبة وبعد

يتشرف المركز الثقافي الروسي بدمشق بأنه يهنئ الكبير احر تهانيه وأطيب تمنياته بالصحة و التوفيق والعطاء الدائم كما يسره ان ينقل اليكم عميق امتنانه وشكره على اهدائكم الأمسية الشعرية

والتي كانت بعنوان

وفيه حب وتقدير لدمشق الفيحاء ، في يوم الجمعة ٢٠ ١ ١٩٩٥ كذلك اسمحوا لنا أيها الشاعر الكبير ان نغتنم الفرصة بأن نشكر الصحفي الدولي كمال قباني على ترجمة بعض أشعاركم من اللغة الإنكليزية الى العربية وعلى تقديمه لأمسيتكم القيمة تليق بمكانتكم .

وفي الختام تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير

مدير المركز الثقافي الروسي بدمشق

الكسندر ساركوف

شهادة تنويه بأدبه من النادي الثقافي الروسي بدمشق

ت- منزله:

أما منزله فكأنه فُصِّل على مثاله، كلاهما يشبه الآخر، ممعن في الأصالة، متمسك بالأفضل من التقاليد، عامر على الدهر، يمثل العنفوان والصلابة والصدق. كلاهما يمثل الإنسانية بكل معاني هذه الكلمة، بعيداً عن متاهات الطرق.

على الطريق العريضة، والجادة الواضحة، وعلى ربوة مشرفة على سهل أفيح وطريق عام.. قريب من قلعة بعلبك التي تمثل الخلود يرتفع منزل الشاعر، تحيط به أشجار تشبهه.. عملاقة.. متحدية هزات الزمان وزلازل الدهر، تنشر ظلالها، وتغمر الجو برائحة السرو والصنوبر.

كلاهما واسع الصدر، يمتد الشبه الخارجي إلى أعماق الداخل.. ثبات المنزل كانتصاب قامة صاحبه، وتاريخه الحافل كحياة صاحبه المليئة بالحيوية والحركة والأصالة والعمق.

كلاهما يشبه الآخر.. فهل جاء ذلك صدفة أم أن الشاعر فتش ونقب حتى وصل إلى مثيله؟

يتحدث جودت حيدر عن شرائه بيته في بعلبك فيقول:

«حينما كنت مديراً لشركة النفط العراقية في حمص صممت على بناء منزل في بعلبك.

قررت أن أبني بيتاً رسمته في فكري، ووسّع أرجاءه خيالي.

رسم مهندسو شركة النفط المعماريون خريطة لبيت رائع الجمال، و لم يبق أمامي إلا البدء بالخطوات العملية وأولها شراء قطعة أرض تصلح لبناء بيت يلبي آمالي العراض.

اشتريت قطعة أرض قرب طريق رأس العين في بستان المرحوم محمد علي قانصوه الذي كان قد باعه لآل سلوم. وسافر إلى البرازيل، و لم يطل الغياب وعاد إلى الوطن بعد عام.

عند رجوعه طلب من السيد سلوم إسترجاع الأرض، عندها طلب السيد سلوم استرجاع الأرض مني فلبيت طلبه، ثم أخذت أفتش عن قطعة أرض أخرى.

أخيراً عثرت على بيتي الذي أملكه اليوم.. كان هذا البيت فارغاً يكاد يكون مهدماً لكنه ذو موقع جميل ومناظر رائعة.

هذا البيت ذو تاريخ حافل، عمره يقرب من مائة وثلاثين سنة. بناه القائد التركي زاهد باشا قائد منطقة البقاع، الذي كان يسكن في بعلبك، وباعه حين أحيل على التقاعد، فآلت ملكيته للسيد الياس سكاف من أهالي بعلبك الذي باعه لآل حريز، فاشتريته منهم وأعدت ترميمه وعدّلت في حدائقه وأشجاره، وأهم ما يروقني فيه سعته وحدائقه وموقعه وطريقة بنائه.

ث- أقوال في جودت حيدر

لقّبه النقاد **الغربيون بشكسبير العرب**، واعتبروه أحد الأدباء العرب الكبار في المهجر، ووافقهم كبار النقاد العرب رأيهم:

يقول الشاعر أديب فرحات في ديوانه «**وحي المجتمع**» ما يأتي:

«الاديب جودت بك حيدر من اكابر الشعراء ...

وقد اطلعت على شيء من شعره فأعجبت به كل الإعجاب وبعثت إليه بالأبيات الآتية:

شاعر الإلهام

روعـــة الـــشـــرق وفـــن المغـــرب — جـمـعـا في «شـكـسبير الـعـرب»
شـــاعـر الإلهـــام والفـكـر الذي — شـق بـالإشـعـاع ستر الـغـيـهـب
شـــاعـرٌ حـلـق في عـلـيـائـه — بـجـنـاحـي قشـعـمٍ ذي مخلب
ظـلـل الشـرق جـنـاحٌ منـهـمـا — وجـنـاح مـدَ فـوق المغـرب
لـج في تحليـقـه حـتـى بـدا — يـتـهـادى بين زاهـي الشـهـب
سـكـبت آلـهـة الـشـعـر عـلـى — رأسـه أقـدس زيتٍ طـيـب
فـانبرى ينـظـم في هـيـكـلـه — لـؤلـؤ الـفـن ودر الأدب
أدبٌ عـالٍ سـبت «جـودتـه» — كـل لب ولـسـان ذرب
وغـذت ألبـابنا حـكـمـتـه — بـعـد أن عـانت ألـيـم السـغـب
فـنـعمنا بالهـنـا بـعـد العـنـا — وظـفـرنـا بـالمنـى والأرب
ونـفـحنـاه بشـكـرٍ عـاطـرٍ — يـخـجـل الأزهـار بين الـعـشب
لا أرى الـشـعـر سـوى وحيٍ ولا — الـتـقـي في شـاعـرٍ إلا نـبـي

"For an Arab to be known for his poetry in the U.S. is an accomplishment in itself. Write in English and draw praise from literary critics in the "New World" is an act seldom paralleled."

Jordan Times
April 12, 1992

كتبت الأديبة الصحفية زينب حمود عن إحدى أمسيات جودت حيدر فقالت:

«جودت حيدر في تلك الأمسية أكد مقولة أهل الغرب بأنه شكسبير العرب وهو كان ذلك حيث قصائده عن الوجود والحياة والكون والرحيل والفراق والسفر والوطن... قصائده وإن دلت على شيء فهي تدل على اشتعال الوجدان وفيضه، إلى درجة التحليق والطيران حتى حدود المستحيل......»

خطر ببال بعض النقاد، ومنهم البرفسور جون مونرو، أن يكتبوا عن تأثره بالشاعر لورد تنسن والشاعر روبرت فروست، «One can hear echoes of Tennyson, the down-to-earth plainness of Robert Frost...» ولكنهم عادوا ليدركوا أنه قرأ وحسب، وليس له شاعر يعتبره قدوة ونبراساً.

ثم يستطرد ويقول:

«In his poetry we hear echoes of the voices of three poets of international rank and acknowledged excellence: Amin Rihani, Mikhail Naimy, and Khalil Gebran.......... as those writers with whom he forms a distinguished quartet.»

يقول البر فسور قاسم شعبان في مقدمة ديوان جودت حيدر «Shadows»:

I took the liberty of showing the manuscript to two friends of mine at the American University of Sharjah, Professors Peter Fallon and Judith Caesar, both were fascinated with "the powerful and original sensibility of the poems." They were impressed also by the variety of themes and the threads of hope interspersed within the melancholic march of time and the approaching demise rings throughout many poems in the Shadows collection.

أنتجت «وزارة الثقافة والتعليم العالي» بالاشتراك مع «تلفزيون لبنان» حلقة عن حياة وأدب جودت حيدر، حيث تحدث خلالها كلٌ من نقيب الصحافة الأستاذ زهير عسيران والدكتور شوقي خيرالله والدكتور روحي البعلبكي، رئيس إتحاد الكتاب اللبنانيين، والأديبة الدكتورة نور سلمان:

تحدث النقيب زهير عسيران في الحلقة قائلاً:

«الرجال هم تتألق اسماؤهم تألق السماء الصافية، جودت حيدر واحدٌ من هؤلاء، فهو من فحول الشعراء، يضاهي شعره وأدبه شعر شكسبير. واكبه زميلي الوزير والسفير الأردني أكرم زعيتر في إدارة جامعة النجاح في نابلس، فكان قمةً في التربية والتعليم. هذا العملاق البعلبكي بل اللبناني، نجح في الشعر والسياسة والأخلاق فهو ابن السهل بسحره وهدوءه وابن الجبل في شموخه وعظمته.»

أما الدكتور شوقي خيرالله فقال:

«نتجه شمالاً نحو بعلبك فيطل علينا عند الشفق عواميد الخلود نرنو إليهم مقتدين بهم جمعاً على أن الأعمدة العجب أحياءٌ يرزقون. فنعرج على قبة دورس الشاهد على حياةٍ تتوالى ومقام خلود. وما الخلود، لقد تنزل الله وما أعطي لبشرٍ ولا لنبي. أنعم عليهم سبحانه برفقة الزمان أبداً وبصحبة الدهر والصدق واختراق الحجب. المشتبه عند ربه أقلومٌ من قائم الزمان، جودت حيدر أقلوم من قائم الزمان. منَ بالرؤية وبالانجذاب الحي أهل القلم وسحرة الكلمة آل الأدب المجنح والشعراء. فالشعراء هنا تناق الرحال عند جودت حيدر كأنه قبلةٌ ومقصدٌ وشاهد. سكنته الرؤية وعمره قطافٌ ومعراج وتجلي. فتفتق وجدانه بأعجوبة ومعجزة لا بالعربية الأم بل بالإنكليزية من عليا أكسفورد مثل عليا معد هبطت من المقام الأرفع. سيظل شاغلاً لنقاد الأدب بغي اكتشاف نفس سبحان الذي أوحى لها. مثال طريق النحل من يخطه لهن مع المسافات إلى رحيق الشوق وقطر الندى ودمع البؤس، مسيرة الطير قارة بعد قارة من يلهمها في أوقاتها والمواسم. خفق قلب الشاعر بكلمات عجب، من يحركه هذا العملاق، ينتخي ويتطاول فيرتفق بهيكل بعل ومجامر بابل.

أتراه يشبه الخالق شاهداً على خير أمة جعل من جعل هذا الرجل الفذ رمحاً سمهرياً مخضباً بالرؤى المستحيلة وبالكلمات العذارى في القوافي الأنف ووشوشات العجب على رمال الأفق. جودت حيدر إهنيء بغرة الخلد وبعرف الزمان عازفاً على مجوز بعلبكي قصبه نثر لم يمتصه قبلك لا إنس ولا جان. إهنئ فإنك حي أبدا.»

قال الدكتور روحي البعلبكي:

«واحدٌ من كوكبةٍ متألقة من الشعراء والأدباء اللبنانيين الذين ذاع صيتهم في البلاد الناطقة في اللغة الإنكليزية من أمثال جبران ونعيمة والريحاني. كتب في جميع المواضيع فهذا الشعر الشامل استحق عليه لقب شكسبير العرب. له روءى ولغة تدعمها. ناضج الفكر متألق الصياغة إنه قارئ نهم.

بنى علاقةً خاصة بالبحر فأحب البحر وناجاه ألفه وأصبح أنيساً له، كما استوحى منه قصائد كثيرة. علاقته مع البحر متبادلة يدخلها التفاعل. أغرم به لأنه يشبهه. فكلاهما يحمل هموم السنين وذكريات الغابرين ونظرات أو هموم الحاضرين من خلال حركةٍ هي حركة الصراع المتواصل. أحب لبنان فحمل معه شهامة اللبنانيين وسائر الشيم والحسنات من نبلٍ ومروءةٍ وكرم. لذلك هوذا الشعر المنظوم يعكس لبنانية جودت حيدر وأصالته وإن كان يرتدي حلة أجنبية. إنه عضوٌ في إتحاد الكتاب.

مبدعٌ من بلدٍ اشتهر يحمل الرسالة الثقافية والقيادة الإنسانية.»

أما الدكتورة نور سلمان فقالت:

«جودت حيدر ظاهرة، علمٌ من أعلام الوطنية شهمٌ نزيه. بدأ حياته بالنفي، إنه عربي النزعة. يتساوى مع الشعراء الأجانب ولا يقل عنهم أمثال روبرت فروست. متصوف ولكن منفتح ومترفع. فعنده الترفع عن كل ما يصغر إبداعه أو شخصيته كفارسٍ من فرسان آل حيدر من بعلبك.»

وفي مناسبةٍ أخرى كتبت الأديبة الدكتورة نور سلمان:

«هو أديبٌ لبنانيٌ عربي كتب لنا وكتب عنا وكتب فينا.»

أسامة خيرلله كتب:

«لا أدري لماذا يذكرني جودت حيدر بالكاتب والشاعر الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس وبخاصة من جهة ثقافته الشمولية الممتدة بجذور الأساطير العالمية شرقاً وغرباً.........والذي يفرض مناخه بفذاذة على القارئ»

لقب بشاعر البحر الذي أحبه ورآه يشبهه فأتى فيه بأعاجيب من شعر راق النقاد ونال إعجابهم..

كتبت مجلة «بسمة/الأردن» في عددها الصادر في ١٩٩٢/٥/٢ تقول:

«أرتبط حيدر بالبحر... وظل هذا الامتداد الازرق جزءا لا يتجزأ من خياله المنبسط لا حدود.

في البحر قرأ حيدر الذات البشرية الحرة وفي البحر رأى سحر الخلق والتكوين.»

من جريدة (السياسة) الكويتية:

«هذه اللغة الصعبة، والمستحيلة، السهلة والممتعة...يرسم الأشياء كلاماً تحدث في النفس الانطباع الحكمي وتدخل الروح في الأبعاد النسبية والأحجام الكونية والماوراء إلى خارج الزمان حيث المكان امتدادٌ للواقع...»

نشرت جريدة الأنوار في عددها الصادر في ٦ أيلول ١٩٩٩ ما يأتي:

«تلقى الشاعر جودت حيدر رسالة مهجرية من الشاعرة جانيت حداد المقيمة في ميشن فييهو، كاليفورنيا. وهنا نصها الذي وصلنا:

بحثت عن قلمي فلم أجده
ولما وجدني ووجدته
قال لقد أهملتني سنين
فلم اليوم عني تبحثين
قلت لم أهملك ولكن الوحي أمهلني
لحين جاء بشعرٍ وشاعر ألهمني

قالوا «عملاق»؟ قلت «أكبر».
قالوا «فنان»؟ قلت «أمهر».
تساءلوا من يكون
قلت أقرأوا ما جاء
ثلاث موسوعات أولها
«أصواتٌ» ثانيها ...«أصداءٌ»
وثالثها «ظلالٌ»

قرأت «أصواتٌ» فسمعت هدير
الرياح
وزقزقة العصفور ووشوشة
الزهور
تواكبها ذكريات ديارٍ
وانطباعات
لا تمحورها الدهور.

قرأت «أصداء» فوعيت عيناً
ساهره
ونفساً رفيعة لا تفوتها شاردة ولا
واردة
تراقب عن كثب وتخط بقلمٍ وتعبر
دون تلون وتذمر
تنشر الحب وتبعث الأمل
تمهد الطريق لجيل أفضل
شيمه التسامح والتعايش
إنطلاقاً مما علمنا الخالق

أما ثالث الموسوعات فقد داعب
خيالي وساق مخيلتي فرأيت
حكيماً، ومؤرخاً، أباً، وجداً
يلتف حوله الجميع: نساءً ورجالاً
أطفالاً وشيوخاً،
ليستقوا الحكمة، الصبر
والصمود
وكيف لا وأنت نبعٌ لا ينضب
وكيل لا يفرغ ومرجعٌ إليه نعود
قلب كبير وعقل أرجح في
شخص نادر الوجود...

معذرة إن سهوت أو أخطأت
فأنا لست كاتبة ولا شاعرة
إنما هذه مجرد خواطر تقدير
من أرباب الشعر المنثور
كما كنت أسمي ما أكتب
منذ زمن ودهور.

ج- بعضٌ من أدبه وخواطره

اطلع على المدارس الأدبية وتعرّف إلى قواعدها وسماتها الرئيسة، لكنه لم يلتزم مدرسة من هذه المدارس، و لم يحصر نفسه وشعره في زاوية من الزوايا، فإنه أبداً نسيج أفكاره في الشعر:

Going Back

We start going back on the road we take
Walking ahead to the outset behind;
That's how of birth we are stepping to make
A ring back, on the track into the blind.

That's a round trip we are destined to run
Climbing the hill and railing down the slack,
And railing we signal the day is done
And what is done, a journey ahead and back.

Sure, we come going with the ticks of Time,
A distance measured by fate and we fall,
Never to stand again, never to climb,
Having been back and gone beyond recall.

That's how travellers ahead walking back
Leaving impressions only of name
A memory of the walk on the track
And the track trails in smoke behind the flame.

أدبه نابعٌ من أصالته العربية وتجاربه المديدة وآماله العراض......

أين نحن قاطنون..؟

خذ النجيع من رعاف الفكر الثاقب و أزرق وريد الضعف في أمة آض يباس ربيعها وهرعت الى خريفها وهي لا تدري، يا ويلتاه كيف مر الزمان بها واستحالت وعرة قمرٍ تستمد نورها الخافت من سراج البداوة وظاهر السراب في شعاع الشمس على الرمال، أمة في ماضي الأيام هبط الوحي عليها واستحوذت على الايمان والعلوم واجتازت عتمة العماء بسلطانها، وحلت في مضافة النجوم يوماً وأسرجت خيول الريح وانطلقت على المجرة إلى الزهرة وصوبت سهام مجدها إلى تخوم الفضاء وصرخت يا قدر لقد أصبحنا بعد اليوم نحن والنجوم جيران. أمة بنت قصور العدالة وقلاع مصير عاشت زمانها بعزةٍ مع القدر وحكمت بالرشد والوجدان وحافظت على حقوق الإنسان كان من كان، هنا ظهر طموح بعض الأفراد والطموح كثيراً ما يكون قاتلاً، وابتدأ العدوان، زعامات حطمت زعامات، وثورات مزقت وحدة الوطن وهوت الأمة فريسة شعوب رسمت لها خرائط الأوهام حدوداً، يا شعب إني أرى الكسوف وأنا في مشيب الحياة لا أرى حدوداً بل أرى هناك هناك في البعيد على النيل والفرات ودجلة سدوداً، أرى من بحر الظلمات إلى الخليج دويلات مبعثرة في أغوار المفازة خيالات في الظل ما لها وجود، يا شعب أين نحن قاطنون اليوم، والجواب عندي نحن قاطنون في قبور الجدود ونواطير القبور علينا شهود والأمم التي وجدت في خفايا المسافات عنا أصبحت في نيرات الشمس وشموس في الوجود، هذا جزاء من يطرح ويضرب ويتوه في الحساب ويشرب عصير الأحلام ويحلم ويمشي وهو يغني أغنية التم ولا يشعر بالحتوف والرحيل، هل هذا هو نظام الكون الذي جعل حياة الأمم كفصول السنين تمر مع الأيام وتسقط أوراق تاريخ على شاطئ الزمان موات أم أن الشيطان الرجيم لعب على حبال الخداع وعتَم شعاع لغة أوحت السماء بها لأمة صاغت من الشعاع تاج النصر في الأندلس لغة الوحي تحيي أمتها كما تحيا العنقاء بعد الحريق من الرماد، لغة هذه الأمة يا قوم ما كانت يوماً إلا منجم العقل مولد الآمال شعلة تراث وقودها من ذاكرة العصور، هاتف الأجيال يصرخ على المدى ويدعو الأمة للنهوض من سباتها من خريفها الحضيض من الأكفان للحياة.

يا سادة اللغة الحياة، من دون غديرها لا تكون، عسى أن يطل الصبر علينا من الصمت جاثماً على قمم الجبال يصرخ يا عرب لما هذا الهجوع في الكهوف وانتم لا تبالون؟؟

خاطب وطنه لبنان قائلاً:

Lebanon

I would that you were with me hence, sharing
This celestial view seen, unseen, before
Where Sannin eternally up staring
At the evening star glaring at the shore.

The deep is rising, the ships heading east
The green mountains capped with snow behind
Perhaps the eye of an artist possessed
May contain such a paradise in mind

Come to me, darling and look at the strand
The edge breaking foam lay miles apart
Amidst a galaxy topping the land
Looming a sky within heaven a heart.

Come, darling, to see what I see, and more
Stars above stars below, moon in between
A brigade of cavalry charging the shore
Falling back on sand in glorious sheen.

O life! There's nothing more to enchant me
Than this vision of growing ecstasy
I feel dissolved and carried fancy-free
Where beauty and dreams meet in poesy.

That's the Lebanon the heart of the world
Where the cedars living for ages unknown
And the flag of liberty always unfurled
In a democracy without a throne.

أراد لشعره ألا ينحصر في مكان ضيق وفي زاوية صغيرة فكتب عن رجال متعدّدي الجنسيات.

قال شعراً في نابليون بونابرت وقد رأى قبره في الأنفاليد بباريس قبل أن ينتقل من فرنسا إلى أميركا سنة ١٩٢٤.

وبعد حوالي الأربعين عاماً، وفي باريس أيضاً وقف على قبره واستوحى من حياته القصيدة الآتية:

Napoleon Bonaparte

Eight-and-forty years ago, at this place
Not alone but with my age at that year
I wheeled back on Time and visioned the face
Of Napoleon with two eyes and one tear.

One Austerlitz, the other waterloo
The true eyes of victory and defeat
The hope and dreams were and were not true
For the great conquest was a great retreat.

Dire Napoleon against Albion and Spain
Unsheathed the sword to fall upon the blade
And wrathfully lose which he seemed to gain
The empire he has made was made unmade.

Excited, by a furious human tide
To a barren island for life to stav

Vexed, he escaped and again took a ride
To hunt bleeding hawks, but this time he was the prey.

That's a lethal glory remaining fame
A memory for those who may forget
The horrors of the earth in smoke and flame
Where the living with the living have met.

Yet he's still a flame in the cave of time
And with the second warm tear in the eye,
I am framing with grief this humble rhyme
Of him who is a world where he doth lie.

كتب للبحر:

«البحر»

«كن سريعاً» كلحاظ العين ارتفاعاً

وانظر من الأفق إلى الهوادي في البحر، أبداً عطشى للحرية

تسجد، وبقدرة قادر تنهض كالمصلين ما بين المد والجزر..

الله اكبر، الله أكبر، الله أكبر...

لقد أيقنت أن الهوادي آمنت بالإنجيل والقران ديناً... وأنا

أنظر إليها تركع بخشوع وتعمد الشواطئ وتصلي

صلاة الغروب والفجر على الرمال.

تتراجع لتبشر بالتقوى ما بين الأسماك وسائر الكائنات في

البحر.

هكذا، عظمة عظام الوجنتين تبقى مع الدين عبادةً، ومع الحرية يقظةً وجهاداً. والخيول أبداً في الطراد تحثها الركاب لتواكب الرياح مسيرة وأنفاسها براكين بخار تتصاعد سحباً سابحات في الفضاء تتلاطم وتتلاحم أصواتها رعوداً، وبرقها يستشعر كسيوف الشعراء بالفكر الثاقب الوضاح.

سبحانك ربي، هذه الحاميات للبحار والغاديات للبراري كيف تحن إلى مرابطها ورضيعها، وتهادن الشواطئ لتلملم عباها وتجري، وهي كالتراب على المحراث تنقلب، عمائم بيضاء، فرق جهاد معمدة موحدة وموحدة توشوش بعضها بعضاً أسرار الخلاص من العبودية، فتنصهر مع التكوين لتكون من لجب البحار مدار قوة كالمرقات على حائط الزمان ترتكز.

ومن أعلى درجاتها سمعت الأسماك وسائر الكائنات في البحر تنادي: «نحن تعمدنا وآمَنّا، وآمن البحر على يد شاعر عربي».

وللبحر أيضاً:

Wash Wash Wash

Wash, wash, wash
Thy sabulous shores, o sea!*
In waves rising and ebbing to die
Like the countless hopes in me

I have heard what I hear now, around
The shores of eternity,
The echo of a voice in the sound
Of the living age in me.

So deep that voice growing in my ears,
A song of life and regret,
Of childhood, the gray hair and the years
I have forgot to forget.

I value the years, the wrinkles deep
On my brow, around my eyes
But o! for he thoughts that come and heap
On my heart, a world of sighs.

I would a day back to live again
A child with children at play
Without envy, without hate or pain
A child, full of cheer and gay.

Wash, wash, wash
Thy old brownish shores , o sea!
But the hopes dead and gone will never
Come again to life in me.

---

* يلتقي الصوت والمعنى في هذا السطر

Lebanese Resistanse

Pull out one from the et'rnal sheets of Time
And sway high in space betwixt earth and sky
There on carve the glory achieved in rhyme
By those men who made self weapons to die.

Could scholars have devised the'ries to make
Of the flesh and bone an egg to explode
That creates a ruinous storm to shake
The recent heathen gods in their abode.

No one can save the believers in God
Who've the dynamite of faith in their vein
Fired at will a sure havoc o'er the sod
Oppressors wondering at heel remain

Stranded like cattle on a desert land
Plague stricken falling palsied on their way
Paralyzed and gyved by fear leg to hand
Looking far south to their homes in dismay.

This Lebanese resistance this great name
Quarried from the boulder mountains of time
Sculptured of pot'ncy by the hand of fame
Raised on a lofty pedestal of rhyme

By the sacr'fice of Sana the brave
By her comrades who before made her grade
To protect the flag of their land all gave
Their own lives at once smiling unafraid

And now let us have a ladd'r to climb
On the trunk of poetry to the sky
There on carve the names on the flag of time
Of those heroes who made self weap'ns to die.

المقاومة اللبنانية

ترجمة الشاعر عبدالله الباشا حيدر

امتشق صفحة من الزمان .
تقهر الفناء
وعاليا
اشرعها ما بين الارض والسماء
ثم انحنت ملحمة المجد
لاؤلئك الرجال
الذين استحالوا سلاحا
ليموتوا.......

أيستطيع أينشتاين ان يصمم نظرية
تصنع من اللحم والعظم
متفجرة
تعصف كيان الالهة الجدد
هباء!!

لا . ليس يقوى على ذلك
سوى المؤمنين بالله
من في عروقهم صاعق الإيمان
يفجرونه عند الطلب

دماراً
يمحق شذاذ الآفاق من اللقطاء
ويهرعون

قطيع أبقار في أرضٍ عراء
ضربت عليهم اللعنة
وارعد هم الرعب
فكبل الهلع منهم اليد والساق
يفزعون بأبصارهم جنوباً
نحو منازلهم البعيدة

يا للمقاومة اللبنانية
يا للاسم الكبير
يقد من صخور جبال الزمان
وينحت، بيد المجد
من معدن البطولات
وينصب عالياً
على قاعدة من شموخ القوافي

سناء الشجاعة
تعطي صباها
ورفاق لها، عبروا قبلها
جسر الخلود
تبرعوا بأعمارهم
باسمين
ليحملوا علم بلادهم

حبذا سلم نرقى به متن الشعر
إلى السماء
نخط على راية الدهر
أسماء أولئك الأبطال
من جعلوا جسومهم سلاحاً
ليموتوا...
ليحيوا.!!

هزته المآسي الكبار وحمّل مسببيها أوزارها وحمل عليهم، وكان عدوّه اللدود دائماً المعتدي على وطنه ، شذّاذ الآفاق هؤلاء الذين اغتصبوا فلسطين من أيدي أبنائها وشردوهم بعيداً عن بلدانهم وأوطانهم.. وقد كتب قصيدةً باللغة الإنكليزية عن مجزرة دير ياسين في فلسطين أيام النكبة.

A Child Forlorn

Men through the ages my story should read,
A child forlorn driven out of my land.
Walking the years in memories to bleed
And the world refused to give a hand

I walked on the desert of time e'erywhere
Not a tree, not a blossom, not a stream
Nothing but the barren sands and despair
And the im'ge of my father in my dream

My father was killed at Deir Yassin
My mother , my sister were also slain,

The world was blind but the blood I have seen
Gushing out from those dearest hearts again.

The UN should have been the sword to shield
The rights of man and his integrity
The heavily armed brigade on the field
To smash the oppressors of liberty

But 'tis a tavern for talk, wine and dice
The superpowers take their drinks and go,
The small and weaker nations pay the price
Then comes Sam and the Bear to close the show

A child I was lost-but now a man found,
I have learned that men since out of the caves
Were the poor serfs of power and the pound
But now they are slaves ruled by master slaves

How could I forget the floor smeared with blood
At home where I was born to live and die
The shattered graves I have seen when a flood
Of images I dream was in my eye

That's why I choose the sharpened sword at last
To regain my land, home and liberty
And show the world that I'm not an outcast
But a hero of might on land and sea.

ومن قصائده قصيدة مهداة الى قانا التي سقط فيها عشرات من الأبرياء.

O World

O world! Our world has become a world of pain
Murder torture empty houses and despair;
Our people herded slaughtered on hill and plain
O world! Is there no world in this world to care?

Grief calls for drinking, let us drink hard tonight
The cup of the future, forgetting our pain
And a cup dripping from the sinews of might
To show the world that our drink was not in vain

Yes, friends tonight the cup tomorrow the blade
Heaven born heroes of the old Cedar land
Be ready to stand unyielding unafraid
To grasp the reins of your destiny in hand

Though our homes have been burned and scarcely remain
Withal out from the flames we shall rise again
With our flags of love and liberty unfurled
Over our dear land to tease this cruel world.

الترجمة:

أيها العالم

أيها العالم! أمسى عالمنا عالم الآلام
والقتل، والتعذيب، والمنازل الخاوية،
واليأس
شعبنا يساق ويذبح في الجبال والسهول

أيها العالم! أليس في هذا العالم من يأبه؟

أجل أيها الرفاق، الليلة الكأس، وغداً

السيف

يا أبطال جنة بلاد الأرز العريقة

استعدوا للصمود غير هيابين

وامسكوا بأيديكم زمام الأمور

ما هم أن أحرقت بيوتنا واندثرت

فسوف ننهض ثانية من اللهب

ونرفع أعلام المحبة والحرية

فوق أرضنا الحبيبة، ونسخر من العالم

الوحشي.

خاطب عبد الناصر سنة ١٩٦٧ قائلاً:

Fear not the rising storm with rage
    Far across the continent born
Nor the White Bear, the Iron Cage
    The Yankee Blade, the land of Morn

Nor the rotting bones in the grave
    Where your men lie heap against heap
Nor the Plague carried by the wave
    From lands unknown beyond the deep

Fear your weakness and division
    Of body and soul, flesh and bone

The deception of ambition
When standing by yourself alone.

Deserts of despair lie ahead
Stand up and be doing again
No stands were watered by tears shed
To yield a hopeful crop of grain

Enough sleep, awake and equip
Your armies and out of the shade
Rights are not won only by lip
But by unity, blood and blade

Never mind a shot fired astray
Another the target may attain
Yesterday's dead, my friend, drill today
Tomorrow aim well and shoot again.

وصف العصافير والنحل والأزهار:

The Nightingales

Go ye to that world of the oak forest green
Where the nightingales hallo nature by song;
That world would be listening then the charm serene
Of a breath living melody the years long

There the wild blossoms in the wood keep straying
Losing petals dancing cancan over the weeds
Days and nights still reveling still out staying
To hear the birds that made spring from the buried seeds

I can't imagine a feather by hand caught
Nor a reed by a fine masterly swain blown
Can feed a pipeline of music so well wrought
To make the elements dance within the stone

What's this bird mothered by mystery and grace
Burning by the flame of sound filling all space
With the spell of a thrilling touch to embrace
The threads of nature and turn the world about face

Lined up marching to reach the oak forest green
Where the nightingales hallo nature by song
That world would be listening than the charm serene
Of a breath living melody the years all along

ولبعلبك قال:

«بعلبك»

مع الفجر باكراً عند فتح واطباق الجفون وسناً على العيون والشوارع* مسرعةً داخل النور للخفاء، طاف نظري وطاح بقلعة جاثمة على صدر الزمان من البارحة إلى غد مع الزمان مديد. هنا تآكلت العصور مع الصخور وانتصر الحجر. هنا تموت الأيام ويموت الإنسان وتبقى عمد البقاء مع الزمان قيثارة الريح تندف مع الريح الحان الطيب فتهبط كالنعاس على الجفون وتكبل الطيور برخم أوتارها تغريداً فتصبح عاجزةً عن النهوض من الوكون.

قلعة تصادقت مع الزمان دهوراً في وسط اخضرار فسيح يمتد مع الغيوم تجوالاً، والغيوم كالشاش والشف الناعم تلف التلال والوهاد وتنخل شعاع الشمس ليهبط مع النسيم بطراوة ولين ويمتد إلى صنين الى جبين الأرز، جبل عال يعيش بعزلة ويطل من

* الشوارع: النجوم التي تختفي عند الفجر

الأفق من القرنة السوداء بعين الود والحنان ويعانق الأرز ويبتسم بسمة حياة نقشت عليها خريطة جمال فرزتها عقلانية الطبيعة...... قطعة من الزمان عاشها القدر.

هذا الجمال سكبته في كأس الخيال حقيقة ومن الحقيقة صغت كلماتي وصنعت أشعاري لوطن ولدت فيه وفيه قدري.

ومن هنا نظرت الى البحر المتوسط، فما كان عجبي إلا من حوامل الخيول في إطراد يمر الزمان من تحت حوافرها وهي لا تدري. كالشعراء يشيدون قصور الإبداع ولا يدرون تاركين تراثهم على ترابهم وميض وسم يبقى في الكون كون له نجوم العلوم، وبحار الشعر طافية على شواطئ الوجود تتصاعد أصواتها بلاغة مطران، وفلسفة نعيمة، ونبوة وحنين جبران.

كتب عن الحب:

Forget Not

Forget not the honey days, dear of yore,
And the souvenirs with which they went by;
Those cherished memories, sweet, are no more,
For yester, darling, was heaven with thou nigh.

The Eglantine, the starry daffodils,
The daisies, roses that I could retrace;
The lilies grown in lakes and by the rills,
All seemed fading with the glance of thy face

The song sparrows, the larks and their sweet lays
The happy swain with the tuneful bassoon;
The Grecian nightingales and the coal black jays
All hushed whence with thy harp thou went tune

Forget not the honey days, dear, of yore
And the souvenirs with which they went by

Those cherished memories, sweet, are no more
For yester, darling was heaven with thou nigh

As the tide of years sweeps by, remember,
Oh darling! those past ecstasies that once we shared
My heart to thee dear, hence did surrender,
And since for thee lone in the world I cared

Recall that I'll love thee ever the more,
And yearn to see thy face and hear thy song;
Oh darling! I'm still waiting by the shore,
Where ships are looming, wilt thine tarry long.

Why Come And Leave

Why come and leave leaving a wound behind
Catch collapse of your courage and believe
In the natural refl'ctions of the mind
Have your dreams satisfied and never grieve
Nor cloak your cherished desire in the blind

Passion should ne 'er be yoked by oppression
We are born naked and should remain free
Our freedom's our right and self possession
Hence we've no bones about our liberty
When the whole world's refusing suppression

Come, come back to me beloved and forget
The worries of your hopes and dreams in mind
And remember our thrill the time we met
And you left leaving a deep wound behind.

وفي الرثاء:

Mikhail Naimy

So sad to've the gloom on a sunny day
With the earth shuddering under my feet
For the sage who left forever yesterday
To join Gibran and Amin in their retreat

He trowed that Time but the breeding of thought
Inherently bred by the human mind
Thereof he weaved threads of glory and wrought
The shroud of knowledge in which he's confined

Thus him who stood on the platform of Time
Holding in his right hand the flag of fame
For his sapient philosophy and rhyme
Which moved the whole world to applaude his name

Na'my the leading light dashing did seem
In the open space of wisdom to find
The equation of the universe the theme
Of creation which are still in the blind

So he turned over the pages of life
And with the wings of thought to the no end
Yon the stars and beyond keeping the strife
To conquer all the more and comprehend

How to climb the slopes of the future heights
There upon penetrate into the core
Of the infinite where the visioned sights
Were his target endeavor to explore.

The Death Of King Faisal

The day darkened hue ere the falling night
Being veiled by the purdah of sorrow
The world has wept at the grief-bearing sight
And time will be soul-searching tomorrow

We blame not destiny nor fate but time
Who in his domain has made the imam
Ordain justice and prohibit crime
Freed a thug to kill the king of sal'am

Feisal who gained power prestige and fame
Lay a bleeding target with a frail hand
Wrote: 'brothers touch perfection and proclaim
Once your trad'tional unity to stand

Take heed of time being austere with fate
And brutal against life and destiny
Be on foot drink a glass of might and wait
To crush the snake biting your liberty

And tell those behind the loophole today
Tell them that he was murdered on his way
To Jer'salem where he promised to pray
Tell them friends blood for blood our law for eye

Tell them of great Greece and Rome who withstood
The earthquakes of nature yet had to yield
Tell them that naught forever can or could
Be safe on the track though bearing a shield

And those who remember their victory
Oblivious of their approaching defeat

Tell them of the laws of morality
And the future destiny all shall meet

Tell them that is never steady to last
Time being on foot wading without end
Stead'ly the present's swallowed by the past
Would those nations in the wings comprehend

That life's but a missile out of the glebe
Reaching to the sun the stars its full height
To bend down as tall to the ground to keep
What we call age with the two wings in flight

Weep Feisal ye mourners weep him the more
Beat the muffled drums and keep them drumming
The notes heard by bereaved Priam of Yore
Sobbing his slaughtered son smeared by the gore
And listen to thousands of throats humming
The sound of billows grieving at the shore

Today all marching to the grave but one
Feisal crossing the bar away away
The others may timely return but none
May withal return long enough to stay

كما كتب عن شعراء أعجب بهم

Shelley

England grieved for a heart buried in Rome
Of a poet glor'fied by rhyme and fame
Cremated ashore far away from home
England high over England carved his name

Shelley who allured the world by his verse
To a skylark he cherished to hear heard
Spheres of harmony the whole universe
A flood of songs in the throat of a bird

'Gain by the wind and the cloud had a flight
Of thought where found the lab of prosody
Thereon he adj'sted rhythm to meaning right
By his computer mind of poesy

Still he had more ambition to explore
Ill fated his boat capsized on the wave
And he died 'gainst his will to live no more
Leaving a lonesome heart still in the grave

For the larks to mourn, for the clouds to weep
For the wind to moan, the muse to sorrow
For the whole world in memory to keep
A name marked on the gates of tomorrow

Gibran Khalil Gibran

(Last Stanza)

Gibran eyed the birds gazing in space
And the sunstruck spray rising veil
Gathering racks fading in the waste
With the wind of indignation playing dice in his mind
One moment of thought, one moment of tears
He left memory keeping the past the future the world to keep
Yon the horizon like a humming bird
Flitting from flower to flower
Plucking the petals of wisdom from the orchard of time
Reaping the field seeded with glints of prophecy in his mind
Where he wrote The Prophet and a Prophet made.

Lord Byron

Byron, lord of verse I prize your wisdom
Isles of thought, you have built out of the sea
By which and of which you've made a kingdom
Of the most efficacious poetry

What po'tic stones you carved out of the wave
To have built your boulder rhymes of the sea
I trow that the Heav'ns that give giving gave
You the sapience of mind to write and be

The sovereign bard of the mighty roar
Who mounted the steeds to Rome, Greece and Spain
Foot in stirrup trotting from shore to shore
A triumph made on the watery plain

Ever since, the world has written your name
On the wave that made the oc'an of your fame

اتسم شعره بشمولية، فلم يترك غرضاً من أغراض الشعر إلا وقال فيه شعراً، ولم يدع موضوعاً إلا قال فيه قصيدة.

عن التلوث:

Pollution

What a bolt from the blue falling in the west,
  Building up the darkest gloom around the world,
Fringed with thunder lightning flaring curves abreast;
  Inside a nuclear weapon yet unhurled.

Look at the mountains of fume muffling the sky,
Spreading everywhere the quietus to make
Of all the life on earth to shrivel and die;
That's the truth, why should we call the truth a fake?

Pollution, gentlemen, say it, why should you blush,
The scientists are racing to catch with fame;
But who will be safe in his boat in the rush
To swim and wallow in the ocean of flame?

Everything that goes to excess is harmful;
We have had enough of this brutality;
We need more common sense to be more thoughtful
Of the human race and its mortality.

Pollution is not a word uttered, but bane
We feel it in our breath, way down to our heart;
The smoke, the sound, the burning gas all contain
Venom, yet we cry here and there that we are smart.

Adam ate the forbidden fruit and fell;
We are not prepared to eat the poisoned one
God when disobeyed, he created a hell;
That's why, we should look always beyond the sun.

The ten commandments said, never kill or thieve;
Thus scientists should ever look far away,
Listen to reason, through the gloom to perceive,
The danger of their deadly arms on their way.

The world is beautiful, with the rose, the grass,
The plum in flower, the bush, and the briar,
The plains, the spring, the winter, the life we pass
With our children, why should we not shun the fire?

عن الأمل الضائع:

A Lost Hope

What's hope but a dream we dream half awake,
A mirage on the desert seen unbound,
Away, beyond away, a gleaming fake
Of a vision, we vision found unfound.

There's nothing in the Hall of Time to find,
But the dreams of today and tomorrow,
And dreaming of hope, we walk in the blind;
A world of joy in a world of sorrow.

We travel with the Caravan of life,
And our journey is determined by fate;
Though we have legions of thought in the strife
To catch a hope, but we are always late.

Whether or not we take it false or true,
There's not a hope built by the beats of rhyme;
Who can make a thing of nothing and who,
Can climb the years up till the end of time.

Who are we, where are we going ahead
Speeding, losing our days and years to fall
In the Tunnel of Time dead pushing dead,
Without hope, without choice, nothing at all.

الترجمة:

الأمل الضائع

ما الأمل إلا حلم نحلمه ونحن شبه مستيقظين
سراب في الصحراء نراه غير محصور
بعيداً في الأفق ومضةٌ زائفة لرؤيا ما
نتصور أننا وجدناها و لم نجدها

لا شيء نراه في رواق الزمان
سوى أحلام اليوم والغد
ونحن نحلم بالأمل، نسير في الظلمة
عالم من الفرح في عالم من الحزن

نسافر مع قافلة الحياة
ورحلتنا يحددها مصيرها القدر
مع أن جيش أفكارنا في نضال
مستمر للإمساك بالأمل
ولكننا نصل غالباً متأخرين

سواء فهمناه خطأً أو صحاً
لا يبنى الأمل على نقرات السجع
من يخلق شيئاً من لا شيء؟
ومن يتسلق السنين حتى نهاية الزمن؟

من نحن؟ إلى أين نحن ذاهبون؟
مسرعين نترك وراءنا الأيام والسنين
لنقع في نفق الزمن فيصارع الموت من دون أمل
من دون خيار من دون أي شيء على الإطلاق.

عن الموسيقى:

Music

Pipe major, I hear the unheard again
The wheat wallowing by the flood of beats
Growing tops, swishing notes, rocking, swaying
With the wind, swarming bees, jazz on the plain.

O the wand! I am etherealized
In heaven I would a touch to remain
Hugging space with my arms folding the air
I hear whilst hung by charm immortalized.

Ah! There the sun in sky a glowing vein
A volcano of molten melodies
Fusing spheres into cadence, pyramids
Floating harmony, falling clouds of rain.

Leave me there on the plateau of my mind
Threading through the gravity of the strain
A breath of the pipes spirited away
Forgetting the major, a dream behind.

ونظم العمر شعراً:

On My Eightieth Birthday

Though eighty years are a burden to bear,
They were the true colorful shades of life;
The lovable world I lived where there were
The sweat of age and labour in the strife.

And now on this high bridge I pass today
Charioted by fate toward the setting sun;
I can't but adore you all and for aye;
You're my happy world, like you I loved none.

Save them dearest three brother son and wife,
Who had no chance to pass on this bridge of time;
To me they were the very breath of my life,
And to them I humbly ded'cate this rhyme.

الترجمة:

في عيد ميلادي الثمانين

اليوم في الثمانين،
أحمل ظل السنين...
عمري الحياة بأيامها تدور
وأيام كدٍ وكفاح
ولؤلؤٍ يرصع الجبين

أنا الآن فوق جسر الزمان،
وخيول القدر مطلقة العنان
إلى شمس الغروب
فلكم جميعاً أقول:
فعل عبادةٍ دائم هو حبي لكم،
أنتم حياتي وكل فرحي
مثلكم لم أحب سوى

أخي وفلذتي ورفيقة عمري

لم يبلغوا هذا الجسر حيث أنا

كانوا نسمة الروح لي

فكيف أرد الجميل؟؟

غمست لهم هذه السطور... بقلبي، فهلاً يقبلون!

The Wonder Man

How I long to saddle my horse and fly
Back over the tracks of life to regain
The age of my youth ere I age and die
Then o then! I'll love and be loved again

And so I pass through the trellis of time
Having my doubts wrestling over my head
Could I on the ladder of the years climb
And go backward while I'm going ahead

Oh God! but why should I age bending wane
Why not by your will live once and again
Shrouded by your blessings and grace remain
The Wonder Man who dies and lives again

الترجمة:

الرجل الخارق

كم أتوق لأسرج حصاني وأطير

فأعود إلى درب الحياة

لأستعيد شبابي الذي شاخ

ومات عندها

آه عندما سأحب وأحب من جديد

ها أنا أعبر شعرية الزمن

والشكوك تتصارع في رأسي

ليتني أستطيع أن أتسلق سلم السنين

وأعود إلى الوراء وأنا سائر إلى الأمام

يا إلهي! ولكن لما علي أن أخضع

لعمري الذي يتناقص

لم لا أعيش بإرادتك ثانيةً

فأبقى مجللاً بنعمك ورحمتك

الرجل الخارق الذي يموت

ويعيش ثانية......

ثم يقول:

الترجمة	*Prince of my Youth*
بالأمس كنت أمير شبابي	Yesterday I was the prince of my youth
واليوم أنا امبراطور سني	Today I'm the emperor of my years
وامبراطوريتي ما هي إلا ميدان الحقيقة	My empire but a domain of the truth
بسمة في الربيع وفي الشتاء دموع	A smile in the spring in winter but tears

عند الوداع

إن رست جبال المشيب على كتفيك وعصفت عواصف الزمان في دنياك يوماً ونال منك الوهن فما لك من نصير يا صاحبي إلا الشجاعة والصبر، حديقة العقل طعم ثمارها حصافة الفكر وبعث الآمال من مناهل الرشد.

لذا خذ المداد من عصارة العصور حكمةً وامسك بصوارم الايمان واكتب على وميض نصالها: العمر كله رمال صحراء وآمال وسراب. لذا كن أشد من الحوام وافرح إن تركت وسم برثن على ورك جبل ليبقى ثروة الحياة مع البقاء. هنا دع الشك عنك وانظر إلى أبواب السماء مؤمناً بالله وأنت على مرقاة الأيام قف وانظر إلى هناك، هناك على طريق السنين أجذال تحترق في غابة الحياة والدخان يغطي السهول والأرياف والعاصفة أبداً عاتية والغيوم باقية خصام بينها وارتطام بريق ثم ظلام. هنا تنشق يا صاحبي رياح الشباب وانسَ الكهولة والعذاب واذكر صهيل الخيل وهمس العذارى وحنين الأحباب. وعند الوداع قف بشجاعة قبل الغروب واستغفر الله عند الغياب.

ج ـ بعضٌ من أقواله وخواطره:

ألعمر يحترق كالهشيم والنادر منه يبقى وميض ماس في الرماد

* * *

«الملايين من البشر تولد وتمر ما بين فكي القدر وتتوارى تباعاً إلى غابة النسيان. والقليل القليل منها يبقى مع العصور وليفاً ومع الأجيال الصاعدة مثالاً يحتذى به، لأن موارد الحياة من الفكر النير هي التي كانت نعمة الذين تركوا كنوزهم الفكرية والحياتية شعلة على طريق الآتين، وذهبوا تاركين وراءهم موسوعة معرفة، على شاطئ الخلود مشعشعة أنوارها في دنيا الحصافة قناديل من الحكمة في مجاهل الكون نجوم.»

* * *

«عسى أن يطل الصبر علينا من الصمت ويجدينا»

«كم وكم من غدٍ وغدٍ
سيبقى سر الحياة
في الكون دفيناً»

* * *

«كل شعر كتبته كان خطوات عبر روحي...
في العقل أكثر من خيالات على هذا الحضر جسداً
معلق بين الحرف والتالي. تمر عليه الحياة عبر وميض وسراب.

* * *

«للعقل مقدرةٌ تختلف من فردٍ للأخر. والعقل عجينة قابلة للتطويع ويمكن أن يطبع على سطحها أي شيء نضعه عليها. والإنسان وحده القادر على تطوير هذه العجينة وتشكيلها كيفما شاء. لقد عشت في أميركا فترة طويلة الأمر الذي سهل علي اكتساب اللغة حتى تطور الأمر في النهاية وأذاب أي فجوة بين اللغة والفكر وأصبحت اللغة هي الفكر والفكر هو اللغة...»

* * *

«ألمرأة ولدت من عيون الزمان ...وحطت في داخلي كما حطت الشمس في داخل الدنيا لتحييها»

* * *

من يحارب ديناً من الأديان السماوية مثله مثل من يطلق النار على نجمٍ ليجعل من شعاعه فيض عتمة من الظلام.

* * *

Be aware of the unawareness to heed the dragnets of time lying down on the road of destiny.

* * *

– You shouldn't recall what you shouldn't remember
– You shouldn't remember what you should forget
– Close your open door to a painful memory

* * *

Literature is a forest of thoughts,
growing trunks of culture
within the perimeter of knowledge
bearing the perdurable fruits
of excellence in a written language.

* * *

Time has no time to time its time while eating itself

* * *

What's nothingness but a nothing of nothing
And the infinite but a limitless space?
What is time but a round of endless motion?
We are all within the infinite a thing

The infinite within time in every place
And time within the nothingness a notion
Thus nothingness, time, and the infinite plod
Together along the way leading to God.

* * *

I have split the veil of wrath to live calm in a world of love and thought

* * *

Man might fly fate his wings distance the theme
Destiny no word how to understand
Hence the view we take of life but a dream
A mirage moving dry water on sand

* * *

The body of a human being but a pot holding the roots of life to nourish the soul.

* * *

"Why leave me darling the time I made the whole world a pedestal for the statue of our love"

* * *

الترجمة

١. إن سكرت فاصمد
تبقى حكيماً.

1. When you take your mum
to keep wise keep mum

٢. الحزن دمعةٌ حارة من العين
يترد بها القلب.

2. Grief but a warm tear falling
From the eye to cool the heart.

٣. الدمعة كلمة حزنٍ صامتة

3. A tear but a silent word of
sorrow.

٤. الفرح معيار الإيمان الصحيح في
القلب

4. Joy is the right measure of faith
in the heart

٥. الإنسان مخلوقٌ ضعيف
ولكنه ما زال يحلق
بأجنحة المنطق السليم

5. Man but a weak creature
Yet still keeping his flight
By the wings of common sense.

٦. عشية الأمس
أبصرت وأنا جالسٌ على الشاطئ
مرتفعاً يحيط بالبحر كالحاجب بالعين
ونفقاً تعبره سفن
تعج بالمسافرين
مع حمولتهم من الهموم والأحزان
والآمال
يقصدون مغيب الشمس
فنهضت مذهولاً
وأنا أمشي في الحلم
نحو ما توقعت

6. Yester eve
Sitting at the shore I saw
A hill eye browed to the sea
A tunnel made passing through
Ships full of passengers
With their cargo of worries
dreams and hopes
Destined toward the setting sun;
Bewildered I got up
Still walking in my dream
Toward what I have expected.

الخاتمة

...... مليحة و بسام:

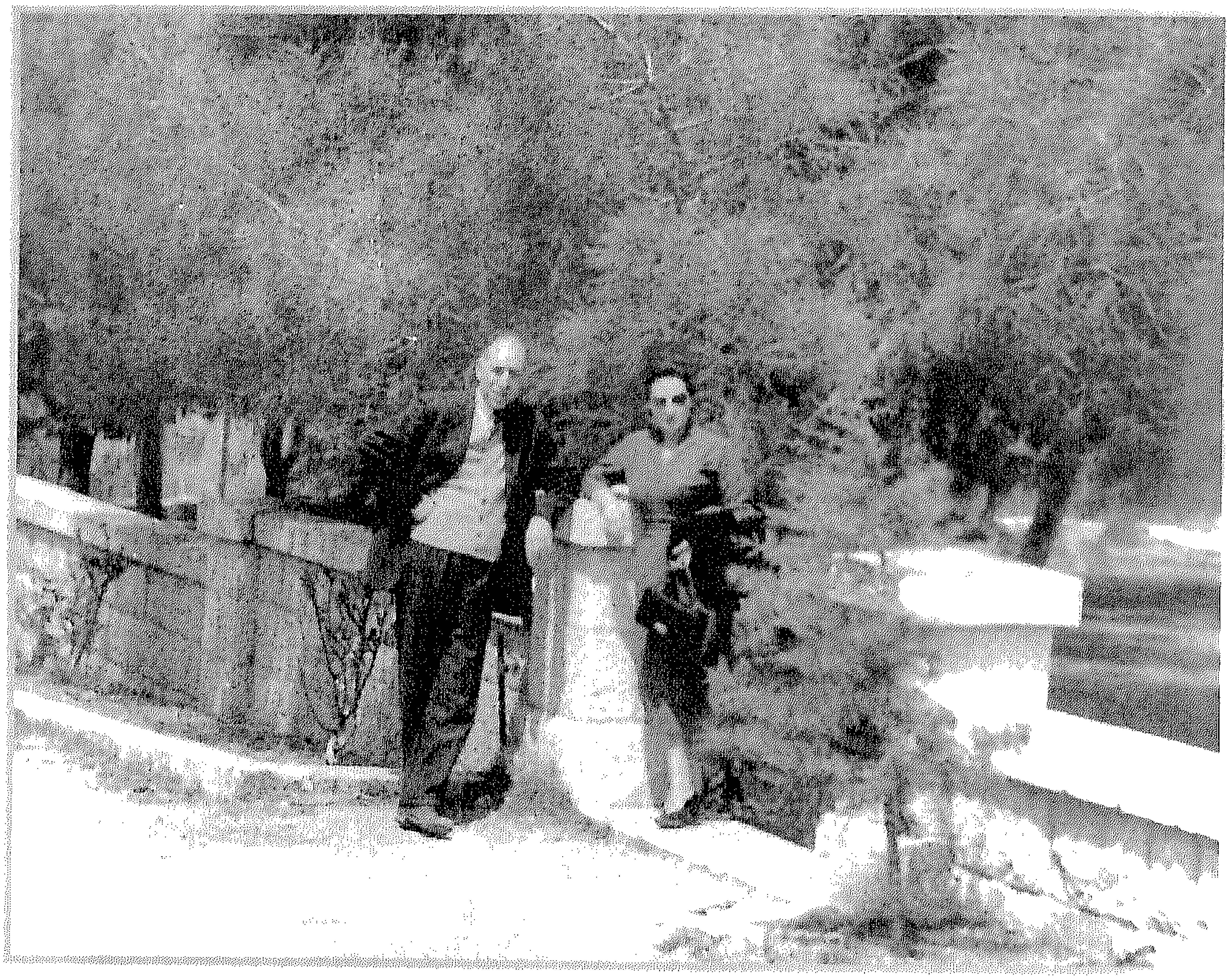

مع زوجته مليحة

«أحن إليكما كل عشية وضحاها وكلما هبت الريح ومر الهواء على ترابكما وتيمم وصلى وناح، وكلما طير الليل على الأغصان شدا وغدا ما بين الأحراج والوديان وبعد ورجع الصدى من التراب أشواق وحنين وأنين. ناديت «يا جيران، يا قلعة بعلبك ، يا حجر، من القاطنون في البيت اليوم» بسام وأمه في سفر... والبيت حزين وخال، ليس فيه إلا الغبار والقضاء والقدر.»

بكيت ومشيت فكراً مع من كان لو كان اليوم ما كان الذي كان ما كان.

جودت حيدر

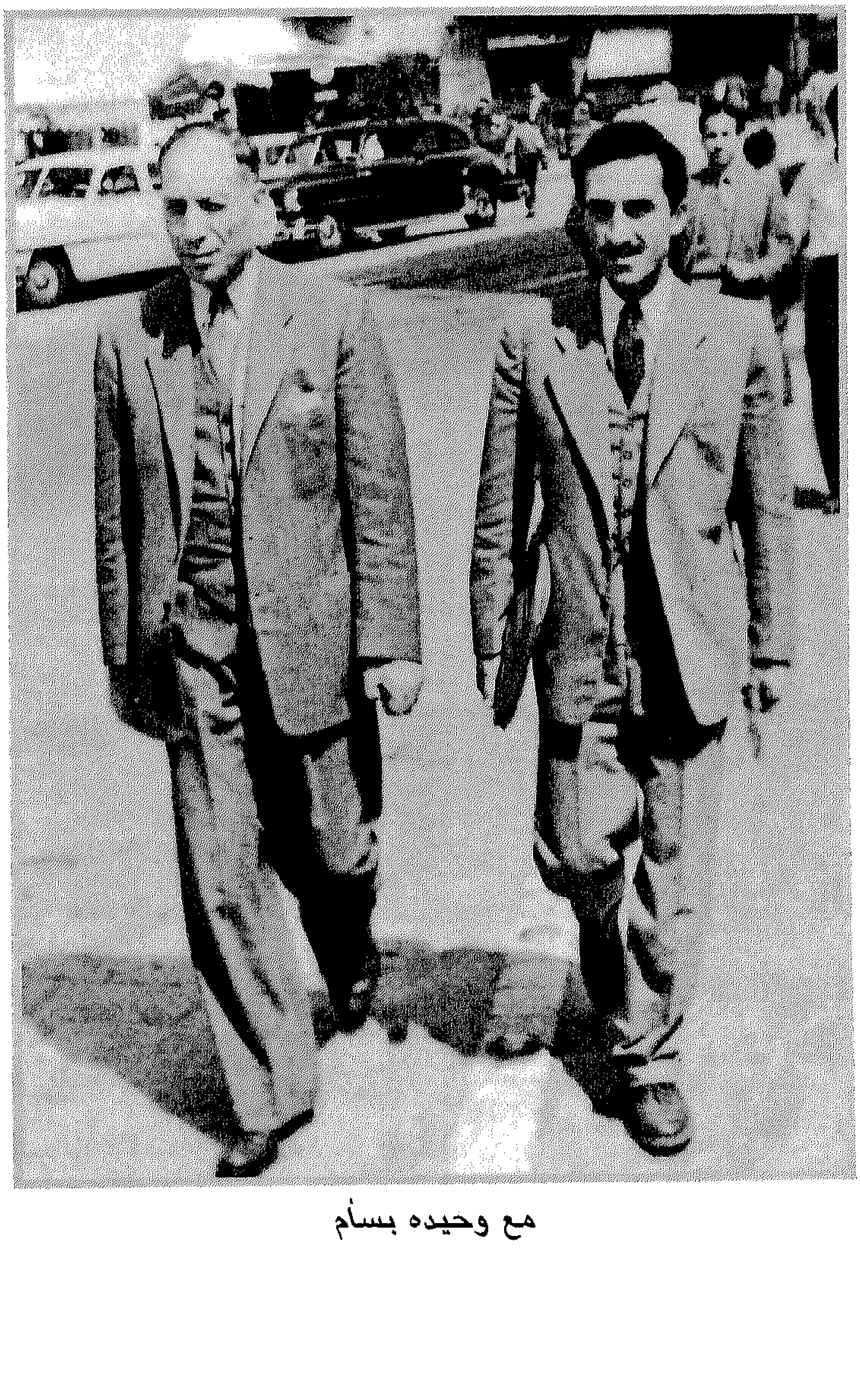

مع وحيده بسام

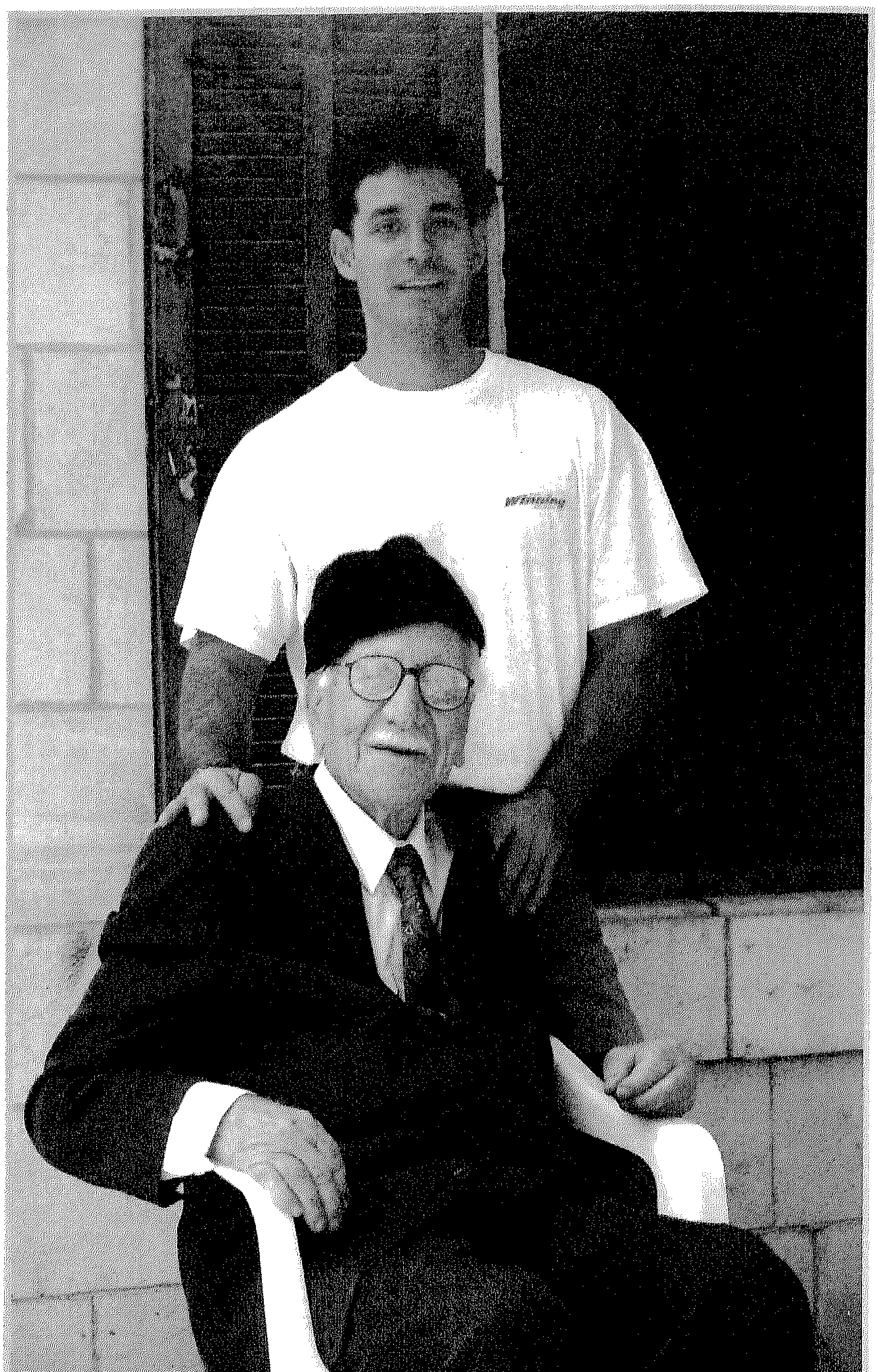

جودت وجودت: الجد والحفيد

أنجز طبع هذا الكتاب
على مطابع شمالي آند شمالي
بيروت ـ لبنان

Bibliotheca Alexandrina
0526827